بسم الله الرحمن الرحيم

لقد قام الطالب يحيى محمد حسان
بإصلاح الملاحظات التي وجهت إليه
أثناء مناقشة هذه الرسالة

أعضاء اللجنة

د. محمود حسن زيني
د. محمود عبد ربه فياض
د. محمد نبيه حجاب

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

منظوم الدرر

للحافظ ابن حجر العسقلاني

الديوان الكبير

مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب

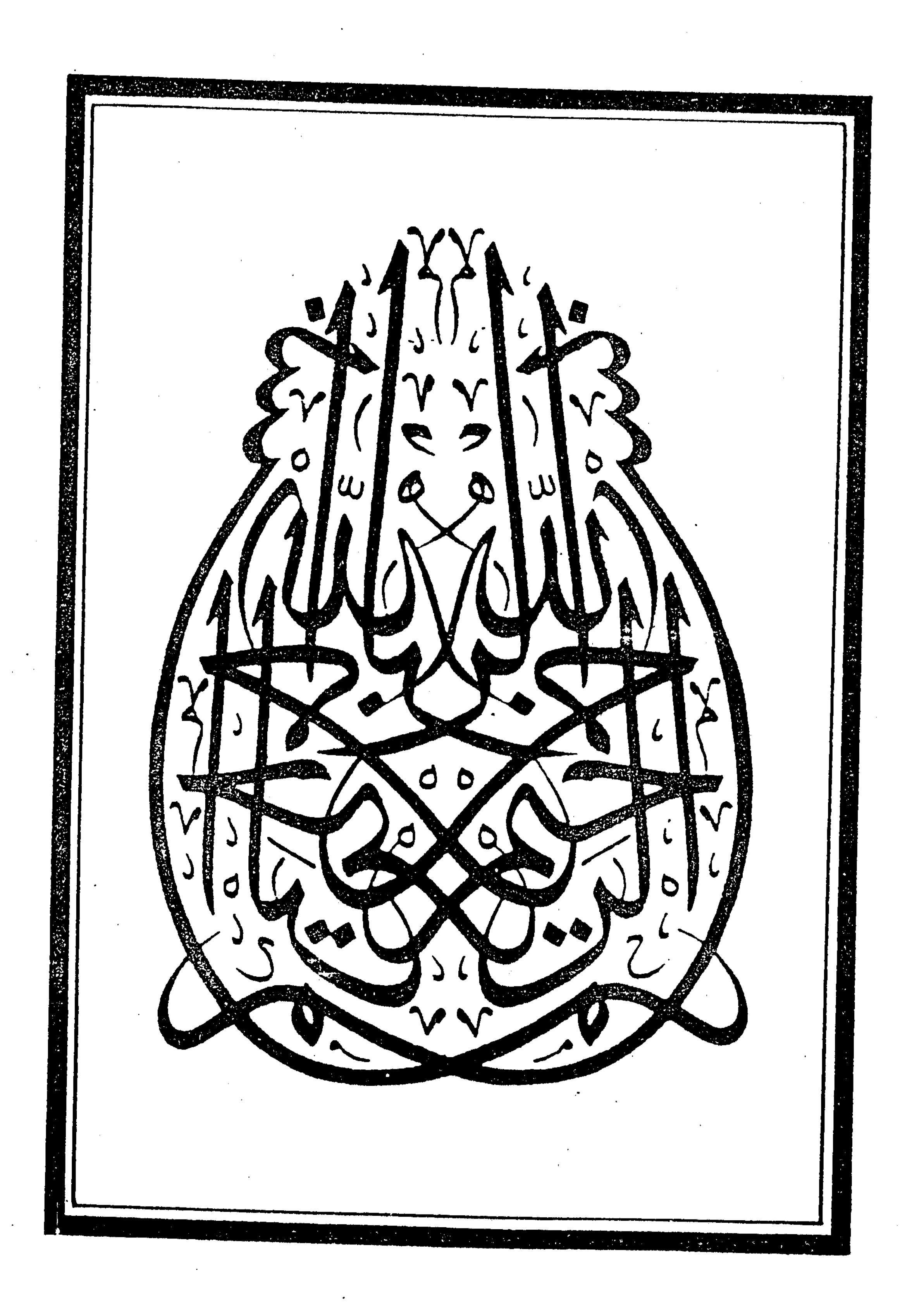
دراسة وتحقيق

الطالب:
يحيى محمد حسان

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور:
محمود حسن زيني

القسم الأول

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

(ملخص الرسالة)

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ..

فهذا موجز لما تحويه هذه الرّسالة المكونة من قسمين . الأول دراسة ، والثانى تحقيق . اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول .

احتوت المقدمة على أهمية الموضوع والدوافع والصعوبات .واشتملت الدراسة على ثلاثة فصول : (١) عصر الشاعر (٢) حياته ، (٣) شعره . الفصل الأول تناول عصره – عصر المماليك – من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية فأشار الى أهم الاحداث السياسية داخليا وخارجيا وتحدّث من الناحية الاجتماعية عن طبقات الشعب المختلفة وما كانت تتميز به كل فئة ثم ماكان يعانيه المجتمع ومايتمتع به . والقى الضوء على الحالة الثقافية وماشهدته البلاد من نشاط ثقافى تمثل فى كثرة العلماء والمؤلفات وإنشاء المدارس والمكتبات . وخص الفصل الثانى لحياة الشاعر من مولده حتى وفاته مع التعرض لنسبه واسمه وكنيته ، وذكر أشهر مشائخه وجمع ماتيسر جمعه من أسماء مؤلفاته . أما الفصل الثالث فقد تعرض لشعره فأشار الى أغراضه الشعرية ، والمؤثرات فى شعره ، ثم الخصائص الفنية ، والأصالة والتقليد . ثم ألقى الضوء على بعض قضايا التحقيق : نسبة الديوان اسم الديوان ، مخطوطات الديوان ،وصف النسخ المعتمدة ، منهج التحقيق .

النتائج :

(١) كان لسقوط بغداد ونزوح العلماء الى مصر ووقوف سلاطين المماليك منهم دور كبير فى ازدهار الحركة العلمية .

(٢) نشأ ابن حجر نشأة علمية واشتغل بطلب العلم منذ صباه واستمر فى الاستفادة من العلم والافادة تدريسا وتأليفا وإفتاء الى أن لقى ربه فبلغ شيوخه ستمائة ، وزادت مؤلفاته عن مائتين وخمسين مؤلفا .

(٣) أنشد الحافظ ابن حجر الشّعر فى مختلف الأغراض الشعريه ، والتزم البناء التقليدى فى قصائده ، وهو وإن كان قد حذا حذو من سبقه من الشُعراء فانه كان أيضا ابن عصره ، فلم يخل شعره من المحسنات البديعية كالجناس والتضمين والاستخدام والتورية . كما كان لعلم الحديث وغيره من العلوم الشرعية أثر كبير على شاعرنا ،انعكس ذلك فى المصطلحات العلمية التى نلمسها فى شعره .

الطالب | المشرف على الرسالة | عميد كلية اللغة العربية

يحيى محمد حسان | أ.د. محمود حسن زيني | د. محمد مريسي الحارثي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان . نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من الهوى والخطل والعجب والزلل ، وأن نتكلف مالايعنينا . وأصلى وأسلم على سيد رسله وخيرته من خلقه من بعثه بأوضح بيان وأقوم تبيان سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان . وبعد ..

فإنّ أهمية الديوان الذى بين أيدينا تنبعُ من كونه تراثا أدبيا يصور مرحلة من مراحل الأدب العربى ولايغض من أهميته أنّ ناظمه محدث أو فقيه . فإذا كان بعض الناس قد درج على انتقاص الأدب الذى غلب على صاحبه الإتصاف بصفةٍ أخرى كالفقه أو الحديث فربما كانت النظرةُ المعاكسةُ هى الصحيحةُ . ذلك أن شعر الفقهاء لايقل عن شعر غيرهم ، ومن الخطأ إطلاق الأحكام عليهم . فشعرهم لايختلف كثيرا عن شعر غيرهم ، وشعر غيرهم لايفضل على مافى شعرهم . وكلاهما لايخلو من جودة هنا ورداءة هناك . يقول أحد الكتاب :

" وأدب الفقهاء مادة خصبة للدراسة وباب واسع يتضمن فنونا وأغراضا مختلفة ، بعضها مما يقل نظيره فى أدب غيرهم (١) . بل لقد تميز هذا الأدب بالاتزان والسمو وروح الصدق والإخلاص المستمدة من تأثرهم بروح علوم الكتاب والسنة . فليس هناك قول مرذول ولا فحش ولا غلو . وإذا كان هناك شيء من المجون كما سنلاحظ فى الديوان الذى بين أيدينا . فإنّ ذلك ليس إلا مرآة عاكسة لما كانت عليه الحياة الأدبية والاجتماعية آنذاك ولما شاع على السنة الشعراء وتبارى فيه الأدباء . فنظم فيه شاعرنا محاكاة ومجاراة لغيره ، فى مرحلة مبكرة من حياته . وهو قليل من كثير إذا ماقورن بشعر غيره من شعراء عصره . وما أحوجنا هنا إلى الإستشهاد بقول ابن قتيبة فى مقدمة كتابه " عيون الاخبار " : " وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم ، لاختلاف شهوات الآكلين ،وإذا مر بك حديث فيه إيضاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلايحملنك الخشوع

---

(١) عبدالله كنون : أدب الفقهاء ص ١٥ .

أو التخاشع على أن تصعر خدك وتعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لاتؤثم وإنما المآثم فى شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب "(١) .

كما تبرز أهمية هذا الديوان من كونه يبرز جانبا من جوانب تلك الشخصية الإسلامية التى تعد مثالا لما كان عليه سلف هذه الأمة من سعة العلم وكثرة المواهب وتعدد الجوانب . فإذا كنا قد عرفنا ابن حجر المحدث والفقيه والمؤرخ والمترجم والنسابة فإننا اليوم ومن خلال هذا الديوان نقف على جانب آخر من جوانب تلك الشخصية . هو ابن حجر الشاعر والأديب .

وإذا كان نظام الجامعات قد جرى على أن يختار الطالب بعد إنهاء السنة المنهجية موضوعا للبحث أو كتابا فيقوم بتحقيقه . فعند تفكيرى فى اختيار موضوع للبحث أو كتاب للتحقيق وفى أثناء بحثى فى أحد الفهارس وقفت على عنوان : " ديوان الحافظ ابن حجر العسقلانى " فلفت هذا انتباهى إذ كنت أجهل هذا الجانب فى الحافظ ابن حجر على الرغم من صلتى القديمة به ، فقد قرأت كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى وسمعته على أستاذى العلامة السيد ابراهيم بن عمر بن عقيل منذ مايزيد عن عشر سنين . فأخذت على عاتقى تحقيق هذا الديوان . وقمت بجمع المعلومات عنه وسؤال أهل العلم وأخبرنى سماحة الوالد العلامة الشيخ طه عبدالواسع البركاتى أن لديه نسخة من هذا الديوان . وعند الوقوف عليها وجدت أنها محققة ومطبوعة . نال بها محققها السيد ابوالفضل ا م - ا ع . درجة الدكتوراه من الجامعة العثمانية بحيدرآباد الدكن سنة ١٩٥٥ م . كما وجدت من خلال الفهارس أن هذا الديوان طبع فى بولاق سنة ١٣٠١ هـ وعندما رجعت الى دار الكتب المصرية للحصول على هذا الكتاب علمت أن الكتاب المطبوع قد تلف وليس له وجود . ومن خلال الاستقراء والبحث فى الفهارس تبين أن الديوان المطبوع والمسمى ديوان ابن حجر ليس الا الديوان الصغير وأن محققه قد جهل أو تجاهل اسمه الحقيقى " النيرات السبع " كما وجد ذلك بخط الناظم على الديوان المطابق له فى مكتبة عارف حكمت فى المدينة المنورة . وأن هناك ديوانا آخر للحافظ ابن حجر هو " الديوان الكبير " وهو

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ١ ص ١٢ .

أضعاف الديوان الصغير فإذا كانت أبيات الديوان الصغير تبلغ قرابة ثمانمائة وألف بيت ، فإن أبيات الديوان الكبير تبلغ سبعة وثمانين وتسعمائة وثلاثة آلاف بيت ، بينت ذلك فى قضايا التحقيق حيث تحدثت عن نسبة الديوان واسمه ومخطوطاته .

وقد استخرت الله تعالى وشرعت فى التحقيق متبعا الخطوات التى ذكرتها فى منهج التحقيق ص ٢٦٨ .

....

ولاقيت فى لم شتات هذه الرسالة صعوبات جمة مما ليس خافيا على أى باحث . فقد واجهتنى كثير من الصعوبات التى تواجه غيرى ممن يتعرضون للتحقيق ولاسيما إذا كان مبتدئا غرا مثلى يجهل كثيرا من معالم الطريق .

ومن أهم تلك الصعوبات :

(١) كثرة مخطوطات الديوان وتشتتها وتفرقها فى بقاع الأرض . فى سوريا ومصر ، والعراق ، وفرنسا ، وأسبانيا ، والمانيا .

(٢) الإنفاق على جمع هذه المخطوطات وتصويرها وتكبيرها . اذ كان ذلك على نفقتى الخاصة .

(٣) عدم التناسب بين المادة والوقت إذ كانت المادة ضخمة والوقت ضيقا . فلا تكفى سنتان أو ثلاث لتحقيق مثل هذا الديوان الضخم .

(٤) صعوبة الحصول على المصادر إذ أن كثيرا من مؤلفات هذا العصر لازالت رهينة المحابس موزعة فى بلدان العالم .

غير أنى تغلبت على ما واجهتنى من صعوبات متخذا من الصبر عدة ومن الاجتهاد سلاحا ، مستعينا بالله تعالى حتى انتهيت من التحقيق ، ثم اتبعته بالدراسة . حيث قسمتها إلى مقدمة وثلاثة فصول .

تحدثت فى المقدمة عن أهمية الموضوع ، والدوافع ، والصعوبات .

وفى الفصل الأول عن عصر الشاعر من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية . فبينت الحالة السياسية التى كانت سائدة وما كانت عليه مصر فى هذه الفترة من الزمن فقد احتلت مكانة الصدارة فى العالم العربى

النبويّة التى افتتح بها ديوانه . ثم المدح يليه الغزل ثم الإخوانيات ثم الرثاء ثم الألغاز .

وعرضت إلى المؤثرات فى شعره فبينت أنّ لحفظه الكتاب الكريم وتضلّعه فى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف أثرا لايخفى على إنتاجه الشعرى . وأشرت إلى سفره ورحلاته ، ثم تأثره بغيره من الشعراء القدامى والمعاصرين له . وحرصت فى كلّ ذلك أن أبرهن بالدليل الشعرى مسندا ذلك إلى مصادره .

وتحدثت عن الخصائص الفنية وذكرت أنه كان شاعرًا مكثرا طويل النفس ولاسيما فى المدح والرثاء ، وأنه كان حريصًا فى قصائده على حسن الابتداء وحسن التخلص والختام . مستدلاً على ذلك من شعره .

ثم تطرقت إلى التكرار فى شعره وأشرت إلى قلته فى الديوان وأنه لايعدّ مأخذا على شاعر بلغ ديوانه سبعة وثمانين وتسعمائة وثلاثة آلاف بيت .

وعرضت إلى ذكر الصور البلاغية وذكرت أنها شاعت فى هذا العصر وأنّ الديوان الذى بين أيدينا لايخلو منها . وأوردت أمثلة من الديوان لأهم الألوان البلاغية فيه كالتورية والجناس والاستخدام والاكتفاء والمقابلة والطباق .. الخ .

ثم أشرت إلى الأوزان التى نظم فيها ، وبينت أنه نظم فى أغلب الأوزان المعروفة ومجزوآتها . غير أنه فضّل الأوزان الطويلة وبخاصة فى المدح والرثاء ، وأنّ أكثر قصائده فى الغزل والشوق كانت من الطويل والبسيط .

وذكرت أنّ الألفاظ العامية قليلة فى الديوان وأنّ لغة الشاعر جمعت بين القوة والسهولة كما ابتعدت عن الغرابة وترفعت عن الابتذال .

وفى الختام تعرضتُ للأصالة والتقليد عند الشاعر فذكرتُ أنّ المحاكاة والتقليدَ كانا سمتين غالبتين فى هذا العصر ، وإذا كان شاعرُنا قد سلك مسْلكَ غيْرِه من شُعراء عصرِه إلا أنّه كانت له شخصيّتُه كما كان ميّالا إلى الابتكار توّاقا إلى التجديد .

وفى الختام فإنى أشكر اللّه تعالى علَى ماوفّق وأعان وسهّل .

واعْتِرافا بالجميل واسنادًا للفضل إلى أهله فلا يفوتُنى أنْ أتقدّمَ بكلمة شكْر وامتنان ومحبّة وتقدير إلى فضيلة الوالد العلامةِ الشيخ طهَ عبْد الواسع البركاتي لِما قدّمه مِنْ عوْن مادى ومعنوى لولا اللّهُ ثم ماقدّمَه لما قدّر لهذه الرّسالة أنْ تتمّ معانيّها وتلتئمَ حواشيها فلَه منّى جزيل الشكر ومن اللّه حسْن الثّواب وجزاه عنّى وعن إخوانى مِنْ طلبة العلم خيرا .

كما أتقدّم بكلمةٍ شكْرٍ وامتنانٍ لأستاذى القدير فضيلةِ الأستاذ الدكتورِ محمود حسن زينى لإشرافه علَى هذه الرّسالةِ . ولِمّا حبانِى به من عطْف ورعايةٍ وماقدّمه من نُصْح وتوجيهِ ، ولما بذله من جهْدٍ ووقتٍ . فجزاه اللّه عنّى خيْرا .

كما لايفُوتنى فى ختام هذه العُجالة أنْ أتقدم بجزيل الشّكر للقائمين علَى هذه الجامعة المعْطاءة . وأخص بالشكر كافة القائمين على قِسم الدّراسات العليا فى كلية اللغة العربية .

كما أنه من واجب العلم علَىّ أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذَىّ الكريميْن لتفضّلهما بقراءة هذه الرّسالة وتوجيهها ومناقشتها :

الاستاذ الدكتور / محمود عبد ربه فياض

والاستاذ الدكتور / محمد نبيه حجاب

وبعْد فهذا ديوان الحافظ ابن حجر العسقلانى أضعه بين أيديكم لم أدّخر فيه جهْدًا ولا مالا ولا وقْتا ، سهرتُ فيْه الليالى الطّوال وبذلتُ فى سبيل

تحقيقه وتصحيحه وتنقيحه ما يَعجز عن التّعبير عنه اللسان . ولست أدّعى أنى وصلت فيه إلى الغاية أو ملكت زمام الإحسان . فقلّما يخلو كتاب بل لا يخلو كتاب من سهْو أو زلل سِوَى كتاب اللّه المنّان .

فإنْ كان فيه خيْرٌ فذلكَ بفضل اللّه وحسْنِ توفيقه وإنْ كان فيه نقص أو خلل فذلك لسهْوٍ أَو تقصير منى . شأْن بَنِى الإنسان .

وحسْبِى أنّى بذلتُ الجهْد وأَخلصتُ القصد . وحسبنا اللّه ونعْم الوكيل .

والحمد للّه فى البَدْءِ والختام وصلّى اللّه وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحْبه أجمعين .

الفصل الأول

عصر الشاعر

١ - الحالة السياسية

٢ - الحالة الاجتماعية

٣ - الحالة الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان الإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى قد ولد سنة ٧٧٣ هـ ومات سنة ٨٥٢ هـ ، فذلك يعنى أنه ولد إبان حكم المماليك البحرية فى عهد السلطان الأشرف شعبان ابن السلطان الأمجد حسين الذى حكم من سنة ٧٦٤ - سنة ٧٧٨ هـ ، وفى هذا التاريخ كانت شمس المماليك البحرية قد شارفت على الغروب ، لتبدأ مرحلة جديدة من عصر المماليك البرجية (الجراكسة) باستيلاء الملك الظاهر برقوق على السلطنة عام ٧٨٤ هـ ، وفى هذا التاريخ يكون الحافظ ابن حجر فى الحادية عشرة من عمره ، ليعاصر المماليك البرجية فى النصف الأول من عصرهم ، ويعايش الأحداث حتى سنة ٨٥٢ هـ أى قبل نهاية السلطان الظاهر جقمق الذى توفى سنة ٨٥٧ هـ .

ولما كان الأمر كذلك كان مايعنينا بالدراسة هى تلك الفترة التى عاشها الحافظ ابن حجر ، وهى أخريات عصر المماليك البحرية و النصف الأول من عصر المماليك البرجية فى مصر التى هى موطن مولده ونشأته ووفاته .

* * *

الحالة السياسية :

لقد خلف المماليك (١) اسيادهم الأيوبيين ، فاستولوا على الحكم بعد ان قتلوا توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين ايوب «شر قتله». (٢) فقد كان الترك الذين يؤسرون فى الحروب(٣) يشكلون اكبر نسبة للرقيق ، وكانوا يجلبون من بلاد ما وراء النهر . وقد كانت هناك اسواق وخانات يباع فيها الرقيق مثل (خان مسرور فى القاهرة)(٤) ولم يكن الأيوبيون هم اول من اعتمد على المماليك فى الشئون العسكرية ، فقد كان المعتصم الخليفة العباسى ٢١٨ - ٢٢٧ هـ اول من شكل فرقا عسكرية مملوكية (٥) من الأتراك ، رغبة التخلص من نفوذ الفرس ومنافستهم الشديدة مع العرب .

ودأب الأيوبيون على شراء المماليك(٦)، " غير ان السلطان الصالح نجم الدين ايوب استكثر من مشترى المماليك الأتراك (٧) "، وإذا كان هؤلاء المماليك هم الذين ضاقت بهم القاهرة لما يسببونه من «تشويش على الناس ونهب البضائع من الدكاكين حتى كثر الدعاء على الملك الصالح بسببهم» (٨)، فانهم هم الذين وقفوا فى وجه الحملة الصليبية عل مصر بقيادة

---

(١) المماليك : المقصود بالمماليك تلك الطبقة من الرقيق الأبيض التى حكمت مصر والشام فى الفترة من سنة ٦٤٨ - سنة ٩٢٣ هـ .
(٢) ابن اياس : بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٢٨٤ .
(٣) انظر محمود شاكر : التاريخ الاسلامى ص ٢١ ، على سالم النباهين نظام التربية فى عصر دولة الممليك ص ٩٨ .
(٤) المقريزى : المواغظ والاعتبار جـ٢ ص ٩٢ .
(٥) انظر ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٢٣٣ ز
(٦) انظر احمد فوزى : لهيب الحركة الشعرية زمن المماليك ص ٢٩ ،د. على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ص ٢٣ ، شوقى ضيف : عصر الدول والامارات ص ٣٤ .
(٧) بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٢٦٩ ، المقريزى المواعظ والاعتبار :جـ٢ ص ٢٣٦ .
(٨) بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٢٦٩ .

ملك فرنسا لويس التاسع ، عندما وصل بجيشه الى دمياط طمعا فى مصر ، وازداد طمعه عندما اشيع موت الملك الصالح نجم الدين ايوب . فوقف المماليك وقفة حازمة حاسمة ، ومعهم السواد الأعظم من العربان والعوام والفلاحين تحت قيادة توران شاه ابن الملك الصالح ،" فحمل المماليك على الفرنجة بالسيوف والطبار والنشاب ، وحمل العربان بالرماح ، والعوام بالمقاليع والحجارة ، وقاتلوا قتال الموت وهجموا عليهم هجمة واحدة ، فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسرت الفرنج انحس كسره ، وكان النصر للمسلمين واسر لويس التاسع وقتل من جيشه نحو اثنى عشر الف انسان ، حتى قال القائل :

لله در فوارس يوم الوغى
تهوى الخياطة لا إليهم تنتمى
ذرعوا الفوارس بالرماح وفصلوا
بالمرهفات وخيطوا بالأسهم" (١)

وكان الملك الصالح قد خرج من القاهرة لملاقاة الغزاة وهو يعانى من الأسقام ، فوافاه الموت فى المنصورة اثناء المعارك وكُتم امر موته وحمل فى زورق الى القاهرة ، وكتمت زوجته شجرة الدر نبأ وفاته وقامت بتدبير امور المملكة وشؤون القتال يساعدها بعض الأمراء واستمر ذلك الى ان حضر الأمير مغيث الدين توران شاه ابن الملك الصالح وكان فى حصن كيفا باطراف العراق فاعلنت وفاة الملك الصالح وتسلطن ابنه توران شاه عوضا عنه (٢) .

* * *

(١) المرجع السابق جـ١ ق١ ص ٢٨٠ .
(٢) انظر نفس المرجع جـ١ ق١ ص ٢٧٩ .

انتقال السلطة الى المماليك :

بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب انتقلت السلطة الى ابنه توران شاه حيث تمكن من القضاء على الحملة الصليبية السابعة وأسر ملك فرنسا لويس التاسع .

وظن أن الأمر قد صفا له فأظهر نواياه فى حقده على مماليك أبيه البحرية وعلى شجرة الدرّ التى كانت لها دور كبير فى حفظ ملك أبيه وإيصاله إليه ، فأخفت موت السلطان ، وقد قامت بتدبير شؤون الدولة ، وأرسلت تستدعيه وكان غائبا ، وأصدرت أوامرها لكبار المماليك البحرية الذين يكنّون لها الولاء أن يبايعوه على السلطة ، فلم يحمد لها ذلك ، وأرسل يتهددها ويتوعدها (١) ويطالبها بمال أبيه فخافت منه وذهبت الى القدس فكاتبت المماليك البحرية واتفقوا على قتله فقتل فى المعسكر الذى(٢) أقامه فى فارسكور ، وبمقتل توران شاه انقرضت دولة بنى أيوب من أرض مصر ، وغدا المماليك أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة فى شئون البلاد ، ووقع الاتفاق بين المماليك على سلطنة شجرة الدر فبايعها القضاة والأمراء وخطب على المنابر باسمها وذلك فى سنة ٦٤٨ هـ (٣) .

وقد كان قيام شجرة الدر فى السلطنة البداية العملية لدولة المماليك لأنها كانت - بحكم أصلها - أقرب الى المماليك منها الى الأيوبيين ويمكن القول بأن دولة المماليك قامت فعلا عام ٦٤٨ هـ على يد امرأة ذكية أرمنية أو

---

(١) النجوم الزاهرة جـ٦ ص ٣٧٠ - ٣٧١ .
(٢) نفس المصدر جـ٦ ص ٣٧١ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ١٣ ص ١٧٧ - ١٧٨.
(٣) انظر بدائع الزهور جـ١ ق١ / ص٢٨٦ .

تركية الأصل(١) ، غير أن تسلطن امرأة قوبل بالرفض والمعارضة فى الداخل و الخارج وكان على راس المعارضين الخليفة المعتصم بالله فى بغداد(٢) .

وامام معارضة الخليفة فى بغداد ، والأيوبيين(٣) فى الشام وعامة الشعب فى مصر لم يسع شجرة الدر الا التنازل عن العرش لزوجها الجديد عز الدين ايبك(٤) فبويع بالسلطنة سنة ٦٤٨هـ وتلقب بالملك المعز . وكان اصله من مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب ، وهكذا انتقلت السلطة من الأيوبيين الى المماليك ليستمروا فى الحكم الى مايزيد عن قرنين ونصف من الزمان .

* * *

(١) نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك ص١١١ ، وانظر النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٧٤.
(٢) انظر ابن اياس بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٢٨٦ .
(٣) انظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٢٣٧ .
(٤) انظر النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣، المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٢٣٧ .

أبرز الأحـــــداث :

لقـد واجهت هذه الدولة الأحداث الجسام من أول يوم ، داخليا وخارجيا ، وتتلخص هذه الأحداث فيما يلى : -

أولا : المعارضة والرفض لشجرة الدر كونها امرأة (١) ، وبعد أن حلت تلك الأزمة بزواجها من عز الدين أيبك وتنازلها له عن السلطنة ، توجهت تلك المعارضة لعز الدين أيبك ذاته لأنه من المماليك ، فاستمرت معارضة الأيوبيين فى الشام وتأهبوا للقضاء على دولة المماليك فى مصر ، فكانت المعركة بينهما عند بلدة العباسية بين مدينتى بلبيس والصالحية فانهزم المماليك أولا ، ثم أعادوا الكرّة فانتصروا ، وفر الناصر ومن معه الى الشام منهزمين ، وبقيت الجيوش الأيوبية فى غزة وجيوش المماليك فى الصالحية ، كل منهما يتأهب لقتال الأخرى ، الى أن تدخل الخليفة العباسى ، فأصلح بينهما على أن يكون للمماليك مصر وجنوب فلسطين بما فى ذلك غزة وبيت المقدس ، وما بقى بعد ذلك من البلاد الشامية تكون للملك الناصر صلاح الدين يوسف(٢) .

ثانيا : ثورة عامة الشعب ضد حكم المماليك :

وبعد عودة الملك عز الدين أيبك الى مصر بعد انتصاره على عساكر الناصر فى العباسية ، " مال و من معه من المماليك الصالحية على المصريين قتلا ونهبا ، ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وفعلوابهم مالم يفعله الفرنج بالمسلمين " قلت سبب ذلك أنه لما بلغهم كسرة المعز فرحوا وتباشروا بزوال

(١) انظر بدائع الزهور جـ ١ ق ١ص ٢٨٧ .
(٢) انظر نفس المرجع جـ ٧ ص ١٠ .

المماليك من الديار المصرية (١) .

ويقول ابن إياس عن عزالدين أيبك :" ولم ترض أهل مصر به فكان اذا ركب يسمعونه العوام مايكره ، يقولون له : نحن مانريد الا سلطانا رئيسا ولد على فطرة الاسلام فكان أيبك يغدق على العوام بالعطايا الجزيلة حتى يسكتوا عنه" (٢) .

ثالثا : ثورة العربان :

فقد ثارت فيهم النخوة العربية ، رفضوا أن يحكمهم مماليك فاجتمعوا على شخص من ذرية الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، هو حصن الدين بن شعلب الذى يقول عنه القلقشندى :" فلما ولى المعز أيبك التركمانى ، أول ملوك الترك بالديار المصرية السلطنة ، أنف من سلطنته ، وسمت نفسه الى السلطنه ، فجهز اليه المعز جيوشا فجرت بينهم حروب لم يظفروا به فيها "(٣) .

رابعا : الخلافات التى كانت تثور بين المماليك أنفسهم :

وانقضاض كل من أحس من نفسه القوة والغلبة على سلفه وانتزاع السلطة منه ، وان كانت هذه الظاهرة قد كثرت فى السنوات الأخيرة من حكم المماليك .

ومن ثم فقد ظهر على المسرح السياسى أمير من أمراء المماليك هو فارس الدين أقطاى الذى بلغ درجة من السطوة والنفوذ فاقت نفوذ السلطان أيبك ، فأخذ يعمل على التقليل من شأن السلطان أيبك ويسميه باسمه دون لقب السلطنة ، وأصبح لايظهر فى مكان الا وحوله حرس عظيم .

(١) النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٩، المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٢٣٧.
(٢) بدائع الزهور جـ١ ق ١ ص ٢٨٨ .
(٣) القلقشندى :صبح الأعشى جـ ٤ ص ٦٩ .

عند ذلك عزم السلطان المعز على التخلص منه "فطلبه وقت الظهر ، فلما طلع القلعة اكمن له كمينا عند قاعة الأعمدة ،وقرر معهم اذا مر بهم فارس ان يقتلوه بسرعة من غير معاودة ، فلما طلع الأمير فارس ووصل الى باب قاعة الأعمدة ، وثب عليه المماليك المعزية واذاقوه كأس المنية "(١) وقد كان مقتل فارس اقطاى سببا لأخطار حقيقية ، اذ خرج جماعة من المماليك نحو سبعمائة رجل عن طاعة عز الدين ايبك واتجهوا ناحية الشام ، واخذوا يحرضون الأيوبيين على غزو مصر " ووقعت الوحشة ثانية بين الملك المعز وبين الملك الناصر صلاح الدين يوسف (٢) ".وعندما تم الصلح بين مصر والشام اتجه المماليك المعارضون الى المغيث عمر ملك الكرك ، وبعضهم اتجه الى سلطان سلاجقة الروم .

وقد اراد الملك المعز لأغراض سياسية، منها حصر المغيث عمر صاحب الكرك ، ان يخطب ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ،فوقعت الغيرة فى قلب شجرة الدر ، فعملت على التخلص من زوجها " واخذت تتزعم حركة المعارضة الداخلية والخارجية لسلطنته" (٣) ، وراسلت الملك الناصر يوسف تحرضه على غزو مصر فلما لم تجد عنده الحماس قررت ان تتولى بنفسها القضاء على الملك المعز فدبرت لذلك مع من يناصرها من المماليك ، ونجحت فى قتل اول سلطان من سلاطين المماليك وذلك عام ٦٥٥ هـ(٤) .

---

(١) بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٢٩١ .
(٢) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٢.
(٣) احمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر ص ١٣٨ .
(٤) انظر بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص ١٣ .

خامسا : المغول :

لايذكر المماليك الا و يذكر معهم موقفهم العظيم والمشرف ووقوفهم فى وجه الخطر الداهم القادم من الشرق عبر دجلة والفرات فبعد مقتل الملك المعز تولى ابنه الملك (١) المنصور ولكن كان حديث السن لم تحنكه التجارب مما جعل أمراء المماليك يتحفزون للوصول الى السلطنة ، "ولكن الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة وأقوى الامراء نفوذا وقف بالمرصاد لكل تحرك مريب" (٢) وفى الوقت الذى كان فيه الوضع الداخلى للمماليك فى حالة تنافس وتنازع على الحكم كان هناك خطر أكبر لا يتهدد المماليك فحسب بل يتهدد الأمة العربية والأمة الاسلامية عامة ، ألا وهو خطر المغول والتتار "فقد جاءت الأخبار أن هولاكو لما أخذ بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله ، وجرى منه ماجرى ، طمع فى أخذ مصر أيضا ،فعدّى الفرات وتوجه الى حلب ، فملكها ، وكذلك حماة ، وقد زحف على البلاد الشامية (٣) ". وقد اتخذ الأمير سيف الدين قطز من هذا الخطر الداهم وسيلة للانقضاض على الحكم ، فجمع الأمراء والعلماء والقضاة وبعد المشاورة كان الاتفاق على خلع السلطان المنصور وتولية سيف الدين قطز سلطانا ولقب بالمظفر سنة ٦٤٧ هـ ، وعين بيبرس البندقدارى نائبا له ، وفوض اليه أمور المملكة .

فى هذه الأثناء كان غزو التتار يزحف نحو الشام ، وبعد أن أخذ بغداد وقتل العباد ، وعاث فى الأرض الفساد فأخذ الملك المظفر قطز بالإستعداد لملاقاة التتار ولا سيما

---

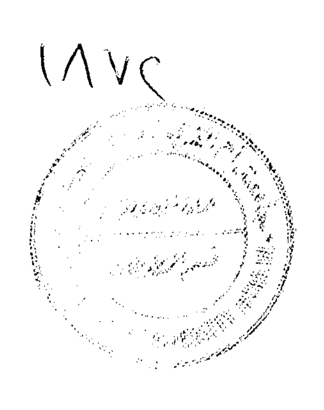
(١) انظر بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٢٩٦ .
(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك . جـ١ ص ٤٠٥
(٣) بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٣٠١ .

بعد وصول رسالة من هولاكو تتضمن التهديد والوعيد وتطلب الاستسلام ، فما كان من قطز الا ان مزق الرسالة وقتل الرسل (١) واعد جيشه وخرج لملاقاة عدوه "فالتقى الجيشان عند (عين جالوت) فى يوم الجمعة خامس عشرين رمضان من سنة ٦٥٨ هـ فكان بينهما ساعة تشيب منها النواصى ، انتصر فيها المماليك وانكسر فيها التتار وفروا منهزمين فتبعهم المماليك فى بيسان ، فكان بينهما على بيسان واقعة اعظم من الأولى ، وقتل من عسكر التتار نحو النصف ، وغنم منهم عسكر مصر غنيمة عظيمة من خيول وسلاح (٢) " .

" وتعد هذه المعركة من المعارك الفاصلة فى التاريخ ، اذ صدّت التتار نهائيا عن مصر والشام ، وقد ثبتت اقدام المماليك لافى حكم مصر وحدها ، بل لقد انضوت الشام جميعها تحت لوائهم (٣) " ، "فقد دخل الملك المظفر الشام فى موكب عظيم وجلس للحكم فى الميدان ... ثم استخلص البلاد الشامية من ايدى اولاد بنى ايوب ، وكان غالبها فى ايديهم ،فمهد البلاد الشامية والبلاد الحلبية ، وولى بها من يختار (٤) "

«وكان الملك المظفر قد وعد الأمير بيبرس بحلب واعمالها ، فلما انتصر على التتار انثنى عزمه عن اعطائه حلب ، وولاها لعلاء الدين (على ابن بدر الدين لؤلؤ) فكان ذلك سبب الوحشة بين بيبرس وبين الملك المظفر» (٥) . فلما قفل الملك المظفر عائدا من الشام بعد انتصاره العظيم وثب عليه الأمير بيبرس البندقدارى فقتله غدرا ، واعلن نفسه سلطانا

(١) انظر بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٣٠٤ - ٣٠٦
(٢) نفس المصدر جـ١ ق١ ص ٣٠٦
(٣) عصر الدول والامارات ٣٥ .
(٤) بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٣٠٧ .
(٥) النجوم الزاهرة ج٧ ص ٨٢ .



عوضا عنه ، وتلقب بالملك الظاهر ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ ، وقد أخذ الملك الظاهر بيبرس على عاتقه محاربة الصليبين والتتار ، فعمل أولا على تحصين البلاد من أى هجوم ثم على بناء جيش قوى يمكنه من مهاجمة الأعداء وتصفية الثغور(١) فحارب الصليبين والتتار ، وغزا أرمينية والسلاجقه بآسيا الصغرى ، وغزا النوبة فى الجنوب .

الصليبيون :

أما الصليبيون فاستولى على كثير من قلاعهم وحصونهم ومدنهم مثل قيسارية وأرسوف وصفد وتبنين والرملة ويافا وحصن الاكراد ، والقرين القريبة من عكا ، وصافيتا وصفا والشقيف ولم يلبث أن استولى على أنطاكية سنة ٦٦٧هـ فانهارت المملكة الشمالية التى كان قد أقامها الصليبيون (٢) وقد ذكر ابن اياس الفتوحات التى تمت فى عهد الظاهر بيبرس فقال :"وأما فتوحاته التى افتتحها فى أيامه وهى : قيسارية وأرسون وصفد وطبرية ويافا والشقيف وأنطاكية ، وبفراس والقصير ، وحصن الاطراد والقرين وحصن عكا وصافيتا والمرقية وجلباء وبانياس وطرسوس،وكانت هذه البلاد كلها بأيدى الفرنج"(٣) .

وهنا تجدر الاشارة الى حدث هو من أبز الأحداث وأخطرها فى العصر المملوكى ، وهو تحول الخلافة العباسية الى مصر ، فقد رأى الظاهر أن كل هذه الانتصارات لاتكفى فى تثبيت سلطانه،ولكى يتم ذلك لدولته فلابد من ربطها بالخلافة الاسلامية

(١) انظر نظام التربية الاسلامية ص ١٢٤ .
(٢) شوقى ضيف : عصر الدول والامارات ص ٣٦ .
(٣) بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٣٣٩ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٨٦ - ١٨٩ .

وكان الخليفة العباسى احمد بن محمد الظاهر والذى لقب بعد مبايعته بالخلافة فى مصر بالمستنصر ، فارا فى دمشق ، فاستدعاه الظاهر بيبرس وبعد التأكد من نسبه بايعه هو والأمراء عام ٦٥٩ هـ. وبذلك ثبّت عرشه ووطد سلطانه ضد أى محاولة قد يحاولها احد الأيوبيين لاستعادة ملك آبائه ، وهكذا انتقلت الخلافة العباسية الى مصر ، وحملت الدولة فى مصر اسم الخلافة ، فاتجهت اليها انظار المسلمين فى كل مكان .. وظلت الخلافة العباسية قائمة بمصر طوال حكم المماليك الى أن أخذ السلطان سليم الأول العثمانى معه آخر خلفائها الى القسطنطينية "(١) .

" وهكذا استطاع الظاهر بيبرس بأعماله واصلاحاته الواسعة النطاق أن يحول دولة المماليك الى دولة قوية ذات نفوذ وسلطان وان يمهد الطريق لخلفائه من بعده كى يتموا رسالته ، ويصلوا الى الهدف المنشود وهو القضاء على المغول والصليبيين»(٢) ويتوفى الظاهر فى عام ٦٧٦ هـ ويأتى ثالث سلطان بعده وهو الملك المنصور سيف الدين قلاوون سنة ٦٧٨ هـ - ٦٨٩ هـ فلا يقل عن سلفه الملك الظاهر حزما وبأسا وحبا للجهاد .

«وقد اتبع سياسة الظاهر بيبرس فى الايقاع بالتتار والصليبيين ، أما التتار فنازلهم مرارا وأنزل بهم خسائر فادحة حتى رضخوا وطلبوا منه الصلح مدحورين ، وأما الصليبيون فقد صمم على ازالة مملكتهم الرابعة والأخيرة فى طرابلس ونازلها سنة ٦٨٨ هـ وفتحها قهرا بالسيف وملك

---

(١) عصر الدول والامارات ص ٣٥ .
(٢) قيام دولة المماليك الأولى ص ٢٣٩ .

ماجاورها من القلاع والبلدان مثل جبيل وبيروت وكان قد حدث شغب فى بلاد النوبة فذهب اليها بعض قواده ورمىابهامن شغب (١) وقد وافته المنية وهو يعد العدة لفتح عكا سنة ٦٨٩ هـ ، فقام ابنه الملك الأشرف خليل ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ باتمام ماكان قصد والده من حصار عكا معاقل الصليبيين ، فأعد جيشا عظيما ونصب حول المدينة خمسة وسبعين منجنيقا وحاصرها حتى فتحها بالسيف يوم الجمعة سابع عشر من جمادى الأخرة من سنة تسعين وستمائة (٢) . وانحلت عزائم الفرنج بعد عكا وأخذ السلطان خليل صور وصيدا وحيفا واستسلمت قلاع الصليبيين الأخرى وتطهرت البلاد من رجسهم واثمهم ، فلم يبق لهم بالشام بلد ولا قلعة ولا قرية ولا جزيرة (٣) وهكذا دالت دولة الصليبيين ، وانتهت قصة الدول الصليبية فى الشام ولكن المؤامرات الصليبية لم تنته طوال عهد حكم المماليك وتمثل ذلك فيما قامت به البابوية من دعوة لتحريم الإتجار مع الدولة المملوكية ، والدعوة الصليبية مجددا الى فكرة مهاجمة مصر عسكريا (٤) .

* * *

(١) عصر الدول والامارات ص ٣٦ ، وانظر بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ .
(٢) انظر بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٣٦٨ ، النجوم الزاهرة جـ٨ ص ٥ - ١٠ ، المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(٣) عصر الدول والامارات ص ٣٧ .
(٤) انظر سعيد عبد الفتاح عاشور بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ١٥٣ - ١٦٣ .

سلاطين المماليك فى الفترة من سنة ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ

(١) السلطان الأشرف شعبان :

وكما سلف فقد ولد الحافظ ابن حجر فى ٧٧٣ هـ وفى هذا العام كان يحكم مصر السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، واما الخليفة فكان المتوكل على الله محمد بن ابى بكر المعتضد بالله .

وتسلطن الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٦٤ هـ بعد خلع ابن عمه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجى ، وكان له من العمر لما ولى السلطنة نحو اثنتى عشرة سنة(١).وهو من احفاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون الذى كانت فترة حكمه تمثل نقيضا لما كانت عليه فترة حكم ابنائه واحفاده ، يقول ابن تغرى بردى : " وهو اطول ملوك الترك مدة فى السلطنة ، فان اول سلطنته من سنة ثلاث وتسعين وستمائة الى ان مات نحو ثمان واربعين سنة بما فيها من ايام خلعه ، ولم يقع ذلك لاحد من ملوك الترك بالديار المصرية ، فهو اطول الملوك زمانا(٢)" فاذا كانت فترة حكمه امتازت بطولها فان ماتلاها من سلاطين كانت لا تزيد فترة حكم احدهم عن سبع سنوات عدا الآشرف شعبان الذى حكم ١٤ سنة .

واذا كان قد استطاع فى فترة حكمه الأخيرة ان يتغلب على معارضيه وان يقبض على زمام الحكم ، ويخمد كثيرا من الفتن والاضطرابات ، فان فترة حكم اولاده واحفاده كانت فترة اضطرابات وفتن داخلية بسبب عدم استقرار الحكم وتزايد

(١) بدائع الزهور جـ ٢ ق ١ ص ٣ ، وانظر النجوم الزاهرة جـ ١١ وص ٢٤ ، المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٤ .
(٢) النجوم الزاهرة : جـ ٩ ص ١٦٥ .

تنافس الأمراء على السلطة . وقد حدثت فى أيامه مواجهات خارجية مع المغول انكسر في الأولى منها سنة ٦٩٩ هـ ، ودخل جيش قازان الى دمشق ودعى له على منابرها (١) وكانت المعركة الثانية سنة ٧٠٢ هـ فى مرج الصّفر قرب دمشق فكان النصر للمماليك ومن معهم ،"حتى حصدوا رؤوس التتار عن أبدانهم ووضعوا فيها السيف ، ومروا فيهم قتلا وأسرا وكتب بهذا الفتح العظيم الى سائر الاقطار" (٢)، وكان هذا الانتصار الحاسم مانعا للتتار من التفكير فى غزو الشام ثانية ،بل أن الخان أبا سعيد ملك التتار قد حاول التقرب من المماليك وكاتب السلطان (٣) الناصر مسالما وطالبا العون ، وظلت مصر والشام فى أمن من غارات التتار منذ سنة ٧٢٣ هـ حتى عهد تيمور لنك.

واذا كانت هذه الفترة من حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون قد تميزت بالثبات والاستقرار فى الحكم و الادارة ، "فبسطت امبراطوريتها و نفوذها على بلاد اليمن والحجاز وخطب وده ملوك أوربا وآسيا عن طريق إبرام المعاهدات و المصاهرات وارسال الهدايا" (٤)،حتى اعتبر عصر الناصر محمد بن قلاوون من أزهى عصور دولة المماليك البحرية . فان مرحلة حكم أولاده وأحفاده كانت على العكس من ذلك ، فكان الواحد يتولى الحكم فترة قصيرة ثم يخلع أو يقتل بسبب صغر سنهم وتسلط الأمراء عليهم . وفسد الحكم فى عهدهم فسادا شديدا لانشغالهم باللهو

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٢١ - ١٢٥ ، بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .
(٢) نفس المرجع ج ٨ ص ١٥٧ - ١٦٤ ، بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٤١٣ - ٤١٥ .
(٣) انظر صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٧٥ .
(٤) تاريخ المماليك البحرية ص ١٠٥ ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٤٨٢

والطرب والعبث عن مصالح الناس(١) ولم يقتصر الامر على الفساد الداخلى بل عادت المناوشات الخارجية " فقد فقدت تلك الدولة مكانتها التى كانت قد بلغت اوجها على عهد السلطان الناصر محمد(٢) " .

وهكذا ففى عهد الملك الأشرف شعبان عاد الصليبيون من جديد يهاجمون الثغور الاسلامية ، ففى سنة سبع وستين وسبعمائة اخذت الفرنج مدينة اسكندرية . " فقد طرق الفرنج مدينة الاسكندرية على حين غفلة فى سبعين قطعة ومعهم صاحب قبرس وعدة الفرنج تزيد على ثلاثين الفا ... فقتل من المسلمين نحو اربعة آلاف نفس واقتحمت الفرنج الاسكندرية واخذوها بالسيف واستمروا بها اربعة ايام يقتلون وينهبون ويأسرون ، واسرع السلطان الأشرف شعبان لانقاذ الاسكندرية . فلما سمعوا بقدومه تركوا الاسكندرية وهربوا(٣) " وقبل هذه الحادثة وفى أول عهد السلطان الأشرف شعبان فى ٢٧ شعبان سنة ٧٦٤ هـ تعرضت ابو قير من جهة البحر لغارة صليبية اذ دخل ميناءها مائة قرصان على سفينة فعاثوا فسادا فى القصور و البساتين ، واسروا ستة وستين شخصا مابين رجل وامراة وطفل (٤)".

كذلك فان الأعراب عادوا الى التذمر " ففى يوم الاثنين سابعة اشتهر الخبر عن الجيش بأن الأعراب اعترضوا التجريدة القاصدين الى الرحبة ووافقوهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا(٥) " ولم يقف الامر عند الفتن والاضطرابات بل انتشرت

(١) انظر ابن اياس بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٤٩٠ - ٤٩٢ ، ٥١٨ ، ٥٧٩ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ جـ٢ ق١ ص ٥٢٤ .
(٢) بحوث ودراسات فى العصور الوسطى : ص٢٣٧ .
(٣) النجوم الزاهرة جـ١١ ص٣٠ .
(٤) د. على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ص ٢٢٥ .
(٥) البداية والنهاية جـ١٤ ص ٣٠٢ .

الأوبئة والأمراض وعم الطاعون ، وداهم الجراد .« فغلت الأسعار ، وقلت الثمار ، وارتفعت قيم الأشياء فبيع الدبس بما فوق المائتين القنطار ، والرز بأزيد من ذلك(١) ». وقد عاود الصليبيون هجومهم على بلاد الشام «ففى عام ٧٦٩ هـ قصدت الفرنج طرابلس الشام فى مائة وثلاثين مركبا من الشوانى والقراقير و الغربان والطرائد ، وصحبتهم صاحب قبرس .... واستشهد فيها من المسلمين نحو أربعين نفرا وقتل من الفرنج نحو الألف والقى الله تعالى الرعب فى قلوبهم فرجعوا خائبين(٢)»،وقد قتل السلطان الأشرف شعبان عام ٧٧٨ هـ وولى ابنه عوضا عنه(٣) .

٢ - السلطان المنصور على ابن الأشرف شعبان : ٧٧٨ - ٧٨٣ هـ

بويع بالسلطنة سنة ٧٧٨ هـ وهو فى السابعة من عمره "وكان الملتزم بتدبير أمور المملكة الأمير أقتمر نائب السلطنة ، الذى أنعم بتقدمة ألف على الذى قتل السلطان الأشرف والد السلطان الجديد ... واتفق فى هذه الدولة من ارتفاع الأسافل مافيه عبرة لمن اعتبر . وصارت المماليك الأجلاب فى هذه الأيام يتحكمون فى المملكة بما تهوى نفوسهم(٤)". ، وزاد الصراع بين أمراء المماليك و المنافسة بينهم على السلطة ، وكثر تمرد العربان " فقد قدمت الأخبار بأن عربان البحيرة خرجوا عن الطاعة ونهبوا الجرون(٥) "

وعاود الفرنجه هجومهم على طرابلس «فقد ورد البريد

(١) البداية والنهاية جـ١٤ ص٣٠٨ .
(٢) النجوم الزاهرة جـ١١ ص٥٢ .
(٣) نفس المرجع جـ١١ ص١٤٨ .
(٤) بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص١٨٨ ، وانظر النجوم الزاهرة جـ١١ ص ١٤٨ .
(٥) نفس المرجع جـ١ ق٢ ص٢٣٥ ، ٢٦٦ - ٢٧٢ ، ٢٧٩ .

من طرابلس بقدوم الفرنج اليها فى عشرة مراكب (١) "، ثم يتوفى السلطان المنصور على فراشه بالطاعون وله من العمر نحو اثنتى عشرة سنة . "وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية خمس سنين وثلاثة أشهر و عشرين يوما ، وليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم فقط ، وكان له من النفقه قدرا معلوما ولا يمكن من شيء غير ذلك ... فلما مات لم يجسر برقوق أن يتسلطن بعده ، فأخرج سيدى أمير حاج ، أخا المنصور على ، فسلطنه عوضا عن أخيه"(٢) .

٣ - السلطان الصالح حاجى بن الأشرف شعبان ٧٨٣-٧٨٤،٧٩١-٧٩٢هـ

بويع بالسلطنة بعد وفاة أخيه ولقب بالملك الصالح ، وكان له من العمر نحو احدى عشرة سنة ، وسارت الأوضاع فى عهده على ماكانت عليه فى عهد أخيه . وساد الضعف والاضطراب وعمت الفوضى حتى انتهى الأمر بسقوط دولة المماليك البحرية ، " وطبيعى وقد فسد حكم آل قلاوون فسادا لاصلاح بعده أن يحاول المماليك التخلص من هذا الحكم ، وكانت مجموعة المماليك البرجية قد أخذت تظهر على مسرح الحوادث ، وأخذوا يسيطرون على اداة الحكم منذ وفاة الناصر محمد بن قلاوون ، وأخذ نجم برقوق من بينهم يعلو فى سماء مصر(٣) .

٤ - السلطان الظاهر برقوق : ٧٨٤ - ٧٩١ ، ٧٩٢ - ٨٠١ هـ

واستمر برقوق يدبر للأمر هو وأعوانه حتى أطاحوا بالسلطان الصالح حاجى ، آخر أحفاد قلاوون وآخر سلاطين المماليك البحرية . فتسلم مقاليد الحكم عام ٧٨٤ هـ وتلقب

(١) نفس المرجع جـ١ ق٢ ص ٢٣٠ .
(٢) بدائع الزهور جـ١ ق٣ ص ٢٨٤ .
(٣) عصر الدول والامارات ص ٣٨ .

بالظاهر ، وبذلك كان أول سلاطين المماليك البرجية الذين ظل الحكم فى أيديهم الى نهاية دولة المماليك على يد السلطان العثمانى سليم الأول .

وقد تولى السلطة وسط اضطرابات وتنافس متزايد بين أمراء المماليك على الحكم حتى استطاعت ثورة الشام بقيادة منطاش نائب ملطية ويلبغا الناصرى نائب حلب من خلعه وإعادة السلطان الصالح حاجى الى الحكم ٧٩١ هـ (١) . واستقر الأمير يلبغا أتابك العسكر(٢) وانفرد بتدبير السلطة وتصريف أمور الحكم ، فتنكر له منطاش وأخذ يدبر للقضاء عليه والتف حوله المماليك الظاهرية والأشرفية ، وتمكن من ازالة خصمه والانفراد بتدبير الأمور دون منافس ، ولكن لم تمض عليه سنة حتى خرج عليه الملك الظاهر من الكرك ، وكان منفيا فيه وحاصر دمشق ، فتوجه اليه منطاش بصحبة السلطان الصالح حاجى ، ودارت المعركة قبل دمشق ، وكان النصر من نصيب الظاهر برقوق ، فقبض على السلطان الصالح والخليفة والقضاة وخلع السلطان الصالح نفسه ، وبويع الظاهر برقوق سلطانا ، وعاد الى مصر منتصرا(٣) وذلك عام ٧٩٢ هـ .

ومن أبرز الأحداث فى عهد الظاهر برقوق ذلك الاعصار التتارى الجديد بقيادة تيمور لنك ،الذى اقتحم بغداد ٧٩٥هـ ، فينجو حاكم بغداد أحمد بن أويس ، هاربا بنفسه الى حلب ثم يصل الى مصر فيستقبله الملك الظاهر أحسن استقبال(٤)

---

(١) انظر النجوم الزاهرة جـ١١ ص ٢٦٤ - ٢٨٨ ، ٣٣٦ ، ابن حجر العسقلانى :انباء الغمر جـ٢ ص٣١٣ - ٣٢٦ .

(٢) انظر النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٣٣٦ .

(٣) انظر انباء الغمر جـ٣ ص١-٤ ، النجوم الزاهرة جـ١١ ص٣٦٨ - ٣٦٩.

(٤) انظر انباء الغمر جـ٣ـ ص١٥٦ ، ١٩٤ ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص٤٦١ - ٤٦٥ .

ويقوم باعداد الجيش والإستعداد(١) لمقاتلة التتار .

وبينما هو كذلك اذ يرد الرسول من تيمور لنك برسالة (٢) فيها تهديد ووعيد ، فيرد الملك الظاهر على الرسالة بأشد منها ويخرج بجيشه الى الشام للقاء تيمور لنك ، ولكن ينسحب تيمور لنك عائدا ، ويعود الملك الظاهر الى مصر ، ويعود كذلك أحمد بن أويس الى بغداد(٣) .

وهكذا فقد تميزت الفترة الثانية من حكم برقوق عن فترة حكمه السابقة بالهدوء والاستقرار ، اذ تغلب على كثير من معارضيه في الداخل والخارج كما أنه غير من سياسة القتل والبطش التي سار عليها في الفترة الأولى من حكمه . ولم يعاود التتار هجومهم على الشام الابعد وفاة الظاهر برقوق الذى توفي عام ٨٠١ هـ ، فخلفه ابنه فرج بعهد(٤) منه ، وبويع وله من العمر نحو ثلاثة عشرة سنة .

....

(١) انظر انباء الغمر جـ٣ ص١٦٦ ، بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٤٦٦ .
(٢) انظر انباء الغمر جـ ٣ ص ٣٠٦ .
(٣) انظر نفس المرجع جـ٣ ص٣٠٢ ، ٢١٠ - ٢١٣ ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص ٤٦٩ .
(٤) انظر انباء الغمر جـ٤ ص ٢٦ ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص ٥٢٤ - ٥٢٦ .

٥ - السلطان الناصر فرج(١) بن برقوق : ٨٠١ - ٨٠٨ هـ ، ٨٠٨ - ٨١٥ هـ
السلطان المنصور عبد العزيز بن برقوق :٨٠٨ - ٨٠٨ هـ

حلف له الخليفة والقضاة والأمراء فى حياة والده الذى استدعاهم لذلك عند احساسه بقرب نهايته ، وقرر أن يكون الأمير الكبير أيتمش هو القائم بعده بتدبير دولة ابنه فرج ، الذى لقب بالناصر . وكثرت الفتن والشرور والغلاء والوباء(٢) ، وزاد تنافس الأمراء على الحكم حتى كان جل قصد كل أحد منهم مايوصله الى سلطنة مصر ، وإبعاد غيره عنها .

فى هذه الأثناء علم تيمور لنك بموت الظاهر فعاد ثانية نحو الشام ، ولكن تأخرت استعدادات الملك الناصر ورحيله لملاقاة اللنك " وكان الأليق خروج السلطان من مصر بعساكره ووصوله الى حلب قبل رحيل تيمور من سيواس ، كما فعل الملك الظاهر برقوق(٣) " ، وقد عبثت عساكر تيمور لنك بحلب وأشعلت فيها النيران وأخذوا فى الأسر والنهب والقتل ، ثم وصل الناصر فرج الى حلب وتهيأ لقتال اللنك .

وبدأت المعركة ، فثبت جيش الملك الناصر أول الأمر حتى هم اللنك بالانسحاب والعودة ، فعلم بحصول انشقاق وخلاف بين أمراء المماليك فرجع عن قرار الانسحاب ، وقوى العزم على أخذ دمشق ، ثم اختفى جماعة من أمراء المماليك وأشيع أنهم عادوا الى مصر ليسلطنوا شخصا غير الملك الناصر ، فاتفق الأمراء من أنصار الملك الناصر بأخذه ورده الى مصر سرا(٤) . وبالفعل ينفذون ذلك ويعودون الى مصر تاركين دمشق لقمة

(١) انظر النجوم الزاهرة جـ١٢ ص ١٦٨ .
(٢) المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٢٤١.
(٣) النجوم الزاهرة جـ١٢ ص ٢٢١.
(٤) النجوم الزاهرة جـ١٢ ص٢٣٦،بدائع الزهور جـ٢ ق١ ص٦٠٩.

سائغة لجنود تيمور لنك ، فدخلها بجنوده وقتل النساء والأطفال وحرق ودمر ، وتركها خرابا. "واحتدم التنافس بين أمراء المماليك ، فثار بعض امراء المماليك على الملك الناصر فرج وخلعوه وولوا أخاه عبد العزيز ، وبايعه الخليفة والقضاة .والأمراء سنة ٨٠٨ هـ ولقب بالمنصور وله من العمرعشر سنين .... وقام ابن غراب بأعباء المملكة ، يدبر الأمر كيفما يشاء والمنصور تحت كفالة أمه ليس له من السلطة سوى الاسم فى الخطبة وعلى أطراف المراسيم (١) "، وبقى فى السلطة سبعين يوما ثم ظهر الملك الناصر ثانية وتقاتل مع معارضيه من أمراء المماليك وتغلب عليهم ، ثم خلع أخاه ، فبايعه الخليفة ثانيا وكذلك فعل القضاة والأمراء وبقى هذه المرة فى الحكم من ٨٠٨ - ٨١٥ هـ .

وكان عهده عهد فتن واضطرابات كما أنه كان مدمنا للسكر (٢) مغرما بسفك الدماء ، مما أدى بالطامحين الى الحكم من كبار الأمراء الى القيام بخلعه (٣) متخذين من تصرفاته مبررا لذلك .

٦ - الخليفة المستعين بالله أبى الفضل العباس ابن الخليفة محمد سنة ٨١٥ - ٨١٥هـ :

اتفق أمراء المماليك على توليته (٤) بعد الخلاف الشديد بين الأميرين شيخ ونوروز فبويع فى محرم من عام ٨١٥هـ وكان أول خليفة فى مصر يجمع بين الخلافة والسلطنة ، وقد

(١) بدائع الزهور ج١ ق٢ ص٧٣٦ .
(٢) نفس المرجع جـ١ ق٢ ص٨٢٢ .
(٣) نفس المرجع جـ١ ق٢ ص٨١٨-٨١٩ .
(٤) انظر إنباء الغمر جـ٧ ص٤٦ - ٦٤ ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص٨٢٣ .

مدحه ابن حجر العسقلانى بقصيدة يقول فيها :

فاستغن بالسمع عن مرآهم عظة

فأصبحوا لاترى الا مساكنهم (١)

"ثم ان الخليفة خلع على بعض الأمراء ، وجعل الأتابكى شيخ نظام الملك ، وفوض اليه أمور المملكة ، يعزل من يعزل ويولى من يولى من غير مراجعة (٢)" وبقى فى الحكم عدة أشهر لم يكن له فيها من الحكم الا الاسم ، ثم خلع فى نفس العام وتولى السلطة شيخ المحمودى .

٧ - السلطان المؤيد شيخ المحمودى سنة ٨١٥ - ٨٢٤ هـ :

بويع بالسلطنة (٣) سنة ٨١٥ هـ ولقب بالمؤيد واتفقوا على تكنيته أبى النصر (٤) . وما كاد يستقر فى الحكم حتى خرج عليه الأمير نوروز فى الشام وأعلن تمرده ، فخرج اليه (٥) الملك المؤيد وقاتله وقضى عليه ثم عاد الى مصر منتصرا ، ثم تابع حملته الى أطراف الشام الشمالية لاعادة تبعية الامارات التركمانية الى الدولة المملوكية ، واستطاع المؤيد أن يجبرها على العودة الى التبعية ، ولكنها لم تلبث أن نقضت العهد ، فعاد اليها ثانية فى سنة ٨٢١ هـ فأسرع أمراء تلك الدويلات وقدموا الطاعة ثم نقضوا العهد ثانية فأرسل اليهم حملة بقيادة ابنه ابراهيم عام ٨٢٢ هـ فحققت هذه الحملة أهدافها وعادت منتصرة (٦) " وكان الناس فى أيامه فى لهو وفرح ومخلعه (٧) ". ولم يخل عهده من الإضطرابات والمناوشات

(١) بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٨٢١ - ٨٢٢ .
(٢) نفس المرجع جـ١ ق٢ ص٨٢٦ ، انظر انباء الغمر جـ٧ ص ٦٤
(٣) انظر بدائع الزهور جـ٢ ص ٣ .
(٤) انباء الغمر جـ٧ ص٧٠.
(٥) انظر نفس المرجع جـ٧ ص ٢٥٢ - ٢٦٢ .
(٦) انظر انباء الغمر جـ٧ ص٣٤٣ ، ٣٥٤ - ٣٥٦ .
(٧) بدائع الزهور جـ٢ ص٦٣ .

الصليبية على السواحل ، ومن تفشى الأمراض والأوبئة ، ورغم هذا فقد اهتم ببناء المساجد والمدارس والمارستانات (١). وقد توفى فى مطلع سنة ٨٢٤ هـ وخلفه ابنه المظفر احمد بعهد منه (٢) .

٨ - المظفر احمد ٨٢٤ - ٨٢٤ هـ ، الظاهر ططر ٨٢٤ - ٨٢٤ هـ ، الصالح محمد ٨٢٤ - ٨٢٥ هـ :

بعد وفاة الملك المؤيد شيخ بويع ابنه المظفر احمد وله من العمر سنة وثمانية اشهر ، وكان الأمير ططر هو القائم بشئون الدولة وتسيير الأمور واستمر على ذلك سبعة اشهر ، ثم خلع الملك المظفر احمد وتولى السلطنة وجمع الخليفة والقضاة والأمراء لمبايعته وتلقب بالظاهر فى يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمائة (٣) .

" وفرح غالب الناس بسلطنته ، فانه كان رجلا عاقلا قليل الأذى ، وكانت المماليك المؤيدية جاروا على الناس ، فلما تسلطن الظاهر ططر قمعهم وقتل منهم جماعة (٤) كثيرة " "وكانت سلطنته بالشام ومصر خمسة وتسعين يوما ثم توفى فى رابع ذى الحجة سنة ٨٢٤ هـ . وكان قد اوصى بالملك لولده وقرر الدويدار الكبير برسباى اتابك العسكر .... فاستقر فى السلطنة بعده ولده الملك الصالح محمد وهو ابن تسع سنين (٥)" وبايعه الخليفة والقضاة والأمراء ، وحاول بعض الأمراء

(١) انظر بدائع الزهور جـ٢ ص ٦٢ - ٦٣ ، انباء الغمر جـ٧ ص ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٤٧ .
(٢) انظر انباء الغمر جـ٧ ص ٣٩٣ .
(٣) انظر انباء الغمر جـ٧ ص ٤٢١ .
(٤) انظر بدائع الزهور جـ٢ ص ٧١ .
(٥) انباء الغمر جـ٧ ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

التمرد فتغلب عليهم الأمير برسباى وانفرد بتدبير المملكة بمفرده (١) ، غير أنه مالبث أن انقلب على الملك الصالح ططر ، فخلعه وتسلطن عوضا عنه سنة ٨٢٥ هـ .

٩ - السلطان الأشرف برسباى : ٨٢٥ - ٨٤١ هـ

بعد خلع الملك الصالح بويع برسباى وتلقب بالأشرف(٢) فى ربيع الآخرمن عام٨٢٥ هـ وظل فى الحكم حتى توفى عام٨٤١هـ. وفى عهده عاد الصليبيون يهاجمون الاسكندرية ويعيثون فى السواحل والمسافرين ، فأمر بتركيز الجند فى السواحل حفظا لها من عادية الفرنج ، ثم أرسل عدة حملات (٣) الى جزيرة قبرس تمكنت الثالثة (٤) من أخذ مدينة قبرس وأسر ملكها وإحضاره الى القاهرة أسيرا ذليلا فقبل الأرض بين يدى برسباى ، فهدده برسباى بالقتل أو يشترى نفسه بمبلغ معين من المال ، ويدفع عشرين ألف جنيه سنويا (٥) ، وقبل ما اشترط عليه ، فخلى سبيله وعاد الى بلده سنة ٨٣٠ هـ ،

وعندما علم صاحب رودس بهذه الأحداث وأن السلطان برسباى تجهز لغزوه أرسل الى السلطان بالهدايا وطلب الأمان أما التتار فان رسل ملكهم شاه رخ ابن تيمور لنك قد تتابعت الى السلطان الأشرف برسباى بعدة مطالب منها أن يجرى العيش بمكة وأن يكسو الكعبة ، ويطلب بعض الكتب منها كتاب شرح

---

(١) انظر انباء الغمر جـ٧ ص٤٣٢ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٧٦ .
(٢) انظر انباء الغمر جـ٧ ص٤٥٣ .
(٣) انظر بدائع الزهور جـ٢ ص١٠٠ - ١٠١ ، النجوم الزاهرة جـ١٤ ص٢٧٨ - ٢٧٩ ، انباء الغمر جـ٨ ص٤٨ .
(٤) انظر عصر الدول والامارات ص٣٩ .
(٥) انظر انباء الغمر جـ٨ ص٧١ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، بدائع الزهور جـ٢ ص ١٠٧ -١٠٩ ، النجوم الزاهرة جـ١٤ ص ٣٠٤ .

صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى(١) . فكان يقابل بالمنع والرفض فى كل مرة وفى ذلك يقول صاحب النجوم الزاهرة : " ولا أعرف للملك الأشرف فى سلطنته حركة بعد افتتاحه لقبرس أحسن من ثباته مع شاه رخ المذكور فى أمر الكسوة، وعدم اكتراثه به(٢) ".

وقد توفى برسباى فى ذى الحجة من عام ٨٤١ هـ ، وكان عهده عهد قوة واستقرار وغزو(٣) ، فقد استطاع التغلب على كثير من معارضيه ، واخماد نار الفتن التى كانت تثور هنا وهناك داخليا ، وردع المعتدين خارجيا ، فأخمد فتنة جانى بك وقضى عليه، وقبض على القراصنة الذين كانوا يهددون التجار وأجبر ملك قبرس على تقبيل الأرض بين يديه ، وأرسل جيشا للاستيلاء على الرها ، لم يخل عهده من تفشى الأوبئة والأمراض فى الناس ومن الغلاء فى بعض السنين .

(١٠) السلطان العزيز يوسف(٤) : ٨٤١ - ٨٤٢ هـ .
السلطان الظاهر جقمق(٥) : ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ .

بعد وفاة الملك الأشرف برسباى بويع ابنه الملك العزيز يوسف بعهد منه فى ذى الحجة من سنة احدى وأربعين وثمانمائة ، وكان له من العمر أربع عشرة سنة . وقد أخذ أمراء المماليك بالانقسام والتنافس والدس فيما بينهم والتآمر .

---

(١) النجوم الزاهرة جـ١٤ ص٤٣٦ .
(٢) نفس المرجع جـ١٤ ص ٣٦٨، جـ ١ص٥٩ ، ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) انظر انباء الغمر جـ٨ ص١٠٨ ، النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٣١ ، ٨٧ ، ٩٣ ، بدائع الزهور جـ٢ ص١٠٧ ، ١٣ ، ١١٤، د. عاشور الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ص ٣٠٥ .
(٤) انظر انباء الغمر جـ٩ ص١٢-١١ .
(٥) انظر انباء الغمر جـ٩ ص٣٩ .

" وصارت المماليك الأشرفية أربع فرق مع كل فرقة أمير(١) " " واستطاع الأتابكى جقمق العلائى الظاهرى ، أن يخلع الملك العزيز يوسف وأن يتسلطن عوضا عنه ، فكان مدة حكم العزيز ثلاثة أشهر وخمسة أيام ليس له فيها إلا الاسم(٢) " ، فجمع جقمق الخليفة والقضاة والأمراء فبايعوه(٣) ولقب بالظاهر عام ٨٤٢ هـ واستمر فى الحكم الى أن توفى عام ٨٥٧ هـ .

وقد استطاع أن يتغلب على معارضيه ، فقتل قرقماش الشعبانى الناصرى ، وإينال الجكمى ، وتغرى برمش ، وشتت الأشرفية ، وأخمد ثورة حلب وقد ارسل أكثر من حملة للاستيلاء على جزيرة رودس ولم يتمكن من ذلك ، وتحسنت علاقاته مع ملك التتار شاه رخ وكانت علاقاته بالفرس وأمراء آسيا الصغرى طيبة ." وكانت الدنيا فى أيامه هادئة من الفتن والتجاريد . وكانت محاسنه أكثر من مساوئه(٤) . وقد خلع نفسه قبل موته بأيام وعهد بالسلطنة الى ولده عثمان(٥) ، والذى خلع بعد توليه السلطة بشهر ونصف وذلك عام ٨٥٧ هـ

وتتابع بعده السلاطين حتى كانت نهاية الدولة المملوكية بشنق آخر سلطان مملوكى وهو طومان باى ، ودخول السلطان العثمانى سليم الأول الى القاهرة عام ٩٢٣ هـ .

* * *

---

(١) بدائع الزهور جـ٢ ص١٩٣ .
(٢) نفس المرجع جـ٢ ص١٩٨ ،
(٣) انباء الغمر جـ٩ ص ٣٩ .
(٤) بدائع الزهور جـ٢ ص ٣٠٠ .
(٥) انظر النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٤٥٣ ، جـ١٦ ص٢٣ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٢٩٩ - ٣٠١، المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٢٤٤.

الحالة الاجتماعية :

لقد ضم المجتمع المصرى على أيام المماليك الى جانب أبناء البلد خليطا(١) متباينا من الناس فى الجنس والعقيدة ، متفاوتا فى مستويات المعرفة ، ومتباعدا أشد التباعد فى الناحية الاقتصادية ، تسيطر عليه طبقة غريبة ، تعيش فى استقلال وانعزال عنه(٢) ، لاتحسب له حسابا فى تولية أو عزل فى سلم أو حرب . وهى فيما بينها يسودها جو الانقسام والدسائس والتهافت على السلطة .

وقد قسم المقريزى ذلك المجتمع الى سبع طبقات(٣) :

أولا : أهل الدولة .
ثانيا : أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية .
ثالثا : الباعة وأصحاب المعايش .
رابعا : الفلاحون وهم سكان القرى والريف .
خامسا : الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم .
سادسا : أرباب الصنائع وأصحاب المهن .
سابعا : ذوو الحاجة والمسكنة .

فالطبقة العليا فى المجتمع هى الطبقة الحاكمة ، وهى من المماليك المستوردين من خارج البلاد ، والمجلوبين من أمم شتى " فكان المماليك طبقة طارئة على الشعب من الخارج ومن أمم شتى . فليست من صميمه ولا هى احدى طبقاته التى

---

(١) انظر د. محمد زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى جـ١ ص ٧١.
(٢) انظر د. بكرى شيخ أمين : مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى ص ٤٤ .
(٣) انظر المقريزى : اغاثة الأمة ص ٧٣ .

قسمته اليها الأحداث الطبيعية والعوامل الاقتصادية . ثم إنها طبقة متجددة ، وتجددها يفد عليها من الخارج عادة ومن أسواق الرقيق ، ثم إنها طبقة أرقاء ، أما طبقات الشعب الأخرى فهي من الأحرار(١) "، وقد عاش المماليك سلاطين وأمراء عيش النعيم والرفاهية في القصور التي تحوى وسائل الترف والبذخ والمزخرفة جدرانها بالذهب والفسيفساء ، منعزلين عن الشعب ، متمتعين بخيرات البلاد ، مستأثرين بالسلطة والنفوذ ، فكانوا يسكنون أحسن المساكن ويلبسون أحسن الملابس(٢) ، ومالوا الى سماع الموسيقى والأغاني فكان لكل سلطان جوقة من المغاني في داره ، واتحذوا سقاة من الغلمان وتغالوا في أثمانهم حتى أن السلطان الناصر دفع في أحدهم خمسين ألف درهم(٣) .

واستمتعوا بالتنزه والصيد ، فاتخذوا كلاب الصيد(٤) المدربة وتفننوا في قضاء أوقات اللهو ، واتقنوا ضروب الملاهي والملاعب فكانوا يلعبون بالحمام ومناقرة الديوك ، ومعالجة الحجارة ، وركوب الحمير الفره في القلعة ، ومناطحة الكباش ، ويرمون القبق ، ويصيدون بالبندق يضربون به الطير وأنواع الوحوش بالبرية ، وكانت لهم مواكب للصيد يخرجون فيها لصيد الوحش والطير والغزلان ، يرتادون أماكن في مصر ، كبرية البحيرة وسرياقوس ، وغيرهما من الأماكن التي كان يكثر فيها مايطلبون من الصيد في أزمانهم(٥) .

---

(١) د. حياة ناصر الحجي : أحوال العامة في حكم المماليك ،
(٢) انظر : المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٩٨ - ٩٩ ، ٢١٧ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣٣٠ - ٣٣٢ .
(٣) انظر ابن حجر : الدرر الكامنة جـ٤ ص ٣٥٨ .
(٤) انظر نفس المرجع جـ٤ ص٣٦٠ - ٣٦١ ، وإنباء الغمر جـ١ ص١٣ .
(٥) السلوك جـ١ ص٤٠٦ ، وانظر : المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ١٩٩ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٧٩ ، ٩٣ ، ١٢٩ .

وهكذا عاش المماليك عيشة الرفاهية والبذخ والاسراف فقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى أن المظفر حاجى أنفق فى عصبة حظيته - اتفاق - التى على راسها مائة ألف دينار وبلغت النفقة على عمل حظير الحمام سبعين ألف درهم (١) . وليس هذا غريبا على دولة يبلغ الدخل اليومى لاحد أمرائها مائة ألف درهم . فقد كانت الدولة تقوم على الاقطاع ، حيث كان أمراء المماليك كالسلاطين يملكون الاقطاعات الزراعية بالاضافة الى العقار والدكاكين لدرجة أن الأمير سلار كان قد اشتهر بأن دخله فى كل يوم مائة ألف درهم (٢) .

يقول الحافظ ابن حجر " ومن عجب الدهر أنه دخل الى شونته فى سنة موته ستمائة ألف أردب ، ومات مع ذلك جوعا (٣) " ، ماثله فى الثراء تنكز (٤) نائب دمشق ، وبلغ يلبغا فى الثراء مستوى رفيعا حتى صار يركب معه نحو ألف نفس عليهم الطرز الذهبية . فاذا وقعت الشمس عليهم تكاد من شدة لمعانها تخطف البصر (٥) .

لقد كانت هذه الأموال تأتى من طريق ظالم (٦) عن طريق التنكيل بالناس ، والتعسف فى جمع المحاصيل بالقوة من الفلاحين ، وفرض الضرائب والمكوس الباهظة على التجار .

ولم يقف الأمر عند هذا بل ان كثيرا من العامة

---

(١) انظر الدرر الكامنة جـ٢ ص ٤ ، انباء الغمر جـ١ ص ١٥٢.
(٢) انظر الدرر الكامنة جـ٢ ص ١٨١ ، وبدائع الزهور جـ١ ص ٤٣٦ - ٤٣٨ .
(٣) الدرر الكامنة جـ٢ ص١٨١ .
(٤) انظر الدرر الكامنة جـ١ ص٥٢٠ - ٥٢٨ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٥٣ - ١٥٨ .
(٥) انظر الدرر الكامنة جـ٤ ص٤٣٨ .
(٦) انباء الغمر جـ١ ص٣٨ ، ١٩٧ ، جـ٢ ص١٣٣ ، السلوك جـ ١ ص ٣٨٤ ، البداية والنهاية جـ١٤ ص٢٦٩ .

من تعرض للقتل الجماعى لا لشىء بل لمجرد الاحتجاج ومحاولة التعبير عن الرأى (١) ، يقول الامام ابن حجر " ركب - الجاى اليوسفى - على العامة بالسيف فى سنة سبعين فلولا انه كان فى آخر النهار لأفنى منهم خلقا كثيرا(٢) " . وهذا السلطان المنصور قلاوون يعمل السيف فى الناس ثلاثة ايام فيروح الصالح بالطالح وقيل إنه - السلطان المنصور قلاوون - امر بشىء كان له فيه اختيار فخالفه جماعة من العوام ورجموا المماليك فغضب عليهم السلطان ، وامر المماليك ان يقتلوا كل من وجدوه من العوام فاستمر السيف يعمل فيهم ثلاثة ايام ، فقتل فى هذه المدة ما لايحصى عددهم من العوام وغيرهم وراح الصالح بالطالح ....ثم ندم السلطان على ماوقع منه فأشار عليه بعض العلماء ان يفعل شيئا من انواع البر والخير لعل ان يكفر عنه ما جرى منه ،فشرع فى بناء هذا البيمارستان(٣)"

ولم تكن البيمارستانات والمساجد والمدارس والدور والجسور تبنى بأموال العامة المأخوذة قسرا وظلما فحسب ، بل كانت تبنى بأيديهم سخرة وبدون اجر على مايقومون به من عمل ، فقد اشاع المماليك السخرة بين الناس . يقول ابن تغرى بردى عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون : " ورسم لوالى القاهرة بتسخير العامة .... فهلك جماعة كثيرة منهم فى العمل لعجز قدرتهم عما كلفوه و مع ذلك كله والولاة تسخر من تظفر به من العامة وتسوقه الى العمل فكان احدهم إذا عجز عن العمل القى بنفسه الى الأرض فيرمى اصحابه عليه التراب

---

(١) انظر بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٤٢٥ .
(٢) انباء الغمر جـ١ ص٧٣ .
(٣) بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٣٥٤ .

فيموت لوقته (١)". ولم يكتفوا بمثل تلك الوقائع فى العامة بل تفننوا فى وسائل القضاء على معارضيهم ، فاستعملوا السم يدسونه فى الطعام والشراب على أيدى الجوارى والغلمان . وكما تفننوا فى وسائل الموت تفننوا فى وسائل التعذيب من تسمير وسلخ وتكحيل وعصر وتخزيق(٢) .

يقول الحافظ بن حجر عن أحد ولاة شد الدواوين : " فعمل الشد أعظم من الوزير وبالغ فى تنويع عذاب من يصادره حتى كان يحمى الطاسة ويلبسها له ويحمى الدست ويجلسه عليه ويضرب الوتد فى الأذن ويدق القصب فى الظفر(٣) " .

كذلك عانى العامة من تسلط القبط وظلمهم(٤) عندما كانت تسنح لهم الفرص فيتولى أحدهم منصبًا فى الوزارة أو الدووايين ، قال شهاب الدين الأعرج عندما ازداد تسلطهم على أموال الناس فى أيام الناصر :

وكيف يروم الرزق فى مصر عاقل

ومن دونه الأتراك بالسيف والترس

وقد جمعته القبط من كل وجهة

لأنفسهم بالربع والثمن والخمس

فللترك والسلطان ثلث خراجها

وللقبط نصف والخلائق فى السدس(٥)

---

(١) النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٢٠ ، وانظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص١٦٧ ، السلوك جـ٢ ق١ ص٤٣٤ .
(٢) انظر النجوم الزاهرة جـ٨ ص٢٢ ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٣٧٩ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٩٦ ، محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك جـ١ ص٢٩٣ - ٢٩٦ .
(٣) الدرر الكامنة جـ١ ص٤٠٤ .
(٤) انظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٤٩٧ - ٤٩٩ ، السبكى معيد النعم ص٢٨ ، الادب فى العصر المملوكى جـ١ ص٦٤ .
(٥) انباء الغمر جـ٢ ص ١٤٣ .

وقد حرصوا على نيل المناصب بأى ثمن حتى ولو بالشراء عن طريق ديوان البذل أو البرطلة أو يتظاهرون بغير دينهم ، " فلم يبال أولئك الوزراء وكبار الموظفين فى سبيل نيل رضا السلاطين والأمراء أن يفعلوا أى شىء ، أن يتركوا دينهم - ظاهرا - كجماعة من أقباط المصريين تظاهروا بالاسلام ليلوا الوزارة ، وظلوا على دينهم سرا يتعصبون ويذكون نار الفتن الدينية ، ويجمعون المال بالباطل من كل الناس ويسخرون معرفتهم و ممارستهم للكتابة والحسبة والإلمام بأحوال الرعية وغلاة الأرض لعملهم الطويل فى الدووواين فى سبيل جمع المال لمخدوميهم (١)". يترجم ذلك الوضع الامام ابن حجر العسقلانى بقوله :

قد أظهر الأقباط إسلامَهم وهم لأهل الكفْر ما باينوا

وعمّ حفظ المال حسابهم قالوا ائتمنهم قلتُ ماآمنُ (٢)

ويأتى بعد الطبقة الحاكمة أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية ، ويدخل فيهم أرباب القلم كالوزراء والكتاب ، وكبار العلماء والقضاة بل إن العلماء والقضاة كانوا من المقدمين على التجار فقد حظى العلماء باحترام السلاطين لهم وسماعهم لتوجيهاتهم ، وبمشاركتهم فى تولية السلطان أو خلعه فأرباب القلم سواء أكانوا من أهل الوظائف الدينية كالقضاء والافتاء والتدريس والخطابة ، أم من أهل الوظائف الديوانية (٣) مثل الوزارة والكتابة ونظر الدولة ، فقد عاشوا فى سعة وثراء (٤) ، وامتازوا بنفوذهم واحترامهم لدى الحكام والشعب ، ونخص بالذكر منهم القضاة فقد شغل

---

(١) الأدب فى العصر المملوكى جـ١ ص ٦٢ .
(٢) الديوان ص ٢١٦
(٣) انظر صبح الأعشى جـ٤ ص ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٥ .
(٤) انظر المواعظ والعتبار جـ٢ ص ٢٢٤ .

الامام ابن حجر العسقلاني منصب القضاء فترة طويلة من حياته . وموضوع هذه الوظيفة " التحدث فى الأحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها ، والقيام بالأوامر الشرعية والفصل بين الخصوم ، ونصب النواب للتحدث فيما عسر عليه مباشرته بنفسه ، وكان أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدرا وأجلها رتبة (١) " وكان يقتصر على قاض واحد حتى استقر الحال فى أيام الظاهر بيبرس على أربعة قضاة من مذاهب الأئمة الأربعة .

وكان القضاة والعلماء يلبسون العمائم من الشاشات الكبار ، والطيلسانات الفائقة والفرجيات المزررة (٢). وكان يخلع على القضاة الحرير حتى ولى القضاء ابن دقيق العيد فامتنع من لبس الخلعة ، وأمر بتغييرها الى الصوف فاستمرت بعده على ذلك (٣) . وكان للقاضي نواب وأعوان ومراسم وتقاليد (٤) ، وكان راتب القاضي فى الشهر يبلغ خمسين دينارا عدا ماكانوا يحصلون عليه من الأوقاف التى كانوا يديرونها ومايجرى عليهم من الغلال والشعير والخبز واللحم والكساوى (٥) وكان كلامهم مسموعا وأحكامهم نافذة عند السلاطين مالم يمس ذلك سلطانهم أو يهدد حكمهم ، فان حصل ذلك فلا مراعاة لقاض أو غيره (٦) .

" وكثيرا ما كان القضاة يبادرون الى تقديم استقالتهم من مناصبهم اذا تعرض أحد لكرامتهم أو اعتدى على استقلالهم ، كما كان من القضاة من لايقبل الرشوة ولا الهدية

(١) صبح الأعشى جـ٤ ص ٣٥ .
(٢) انظر نفس المرجع جـ٤ ص٤٣ ، الدرر الكامنة جـ٢ ص١٤٣ .
(٣) انظر الحافظ السيوطي : حسن المحاضرة جـ٢ ص١٦٨ .
(٤) انظر المواعظ والاعتبار جـ١ ص٤٠٣ .
(٥) انظر نفس المصدر جـ٢ ص٢٢٤ .
(٦) انظر :حسن المحاضرة جـ٢ ص١٠٥ ، ١١٤ ، ١٦١ - ١٦٣ ، ١٦٨.

، ولقد أصبح لهؤلاء القضاة مقام كريم فى الدولة المصرية وفى نظر السلاطين ونظر الأمراء ، وجميع طبقات الشعب حتى أنه ماكان يتم اختيار الخليفة أو السلطان الا بحضور قاض القضاة وشهادته بصحة نسبه واستحقاقه لتقلد منصبه الجليل(١) " .

وقد شاعت الرشوة والبرطلة حتى غدت علانية ، ويقول صاحب النجوم الزاهرة : " وكان فى دولة الصالح اسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون ديوان يعرف بديوان البذل أعنى ديوان البراطيل ، وشاع ذلك فى الاقطار ، وصار من له حاجة يأتى الى صاحب الديوان المذكور ويبذل فيما يرومه من الوظائف (٢) " ، فتولى الوظائف غير أهلها ، وشاع الظلم والجور .

يؤكد شيوع الرشوة فى المجتمع المملوكى قول الامام ابن حجر العسقلانى ، مبينا ماللرشوة من أثر بليغ فى إفساد الدين ، فيقول :

إذا ما رشوةٌ من باب بيْتٍ   دنت لدخوله والدِّين فيه
سعَى هربا كأنّهما جميعا   حليمٌ قد تنحّى عن سفيْه (٣)

وهو فى موضوع آخر يصور حال الحكام والشهود فى ذلك العصر فما أن يطلب الحاكم الرشوة حتى تكون جاهزة :

حاكمٌ يأخذ الرّشى   من شُهودٍ مبهْذ لهْ
فمتى قال زنْ يقُل   هاك فى الحال عدّ له (٤)

وإذا كان أرباب القلم قد عاشوا فى سعة ورخاء ، فقد شاركهم ذلك كبار التجار الذين تمتعوا بمكانة بارزة

---

(١) تاريخ المماليك البحرية ص٣٩٠ .
(٢) النجوم الزاهرة جـ١١ ص٢٩٢ .
(٣) الديوان ص ٣٧٣
(٤) الديوان ص ٣٧١

" فكانوا يتشبهون بأصحاب الدولة والحكام فى سكن القصور الفارهة والتمتع برفاهية العيش ورغده . وجرت بأيديهم الأموال ، وكانت تخدمهم الجوارى والغلمان ، وعرف كبار التجار باسم بياض الناس ، وكان أكثرهم من الكارمية تجار الرقيق . وشاركهم فى هذه الصفة - بياض الناس - كبار تجار الجملة من الحوائصيين وتجار الطيب . وكان المماليك يقترضون أحيانا من أولئك التجار ، وأحيانا أخرى يصادرون أموالهم ، وثالثة يشاركونهم فى تجارتهم(١) ."

أما صغار التجار وهم الباعة وأصحاب المعايش فقد عاشوا حياة الكفاف فما يتحصلون عليه ينفقونه فيما لابد لهم منه من كلف الحياة (٢) . ويأتى بعدهم الفلاحون ومنهم من عاش فى رخاء(٣) ، وعاش أكثرهم فى شدة وضيق فى أغلب الأحيان ، " بسبب ماكان يفرض عليهم من ضرائب وأموال ، ومن تعنت الحياة والمباشرين والكشاف فى تحصيل المال وجمع المحاصيل أو مصادرتها ، ولشدة السنين وتوالى المحن لقلة الماء وشح النيل(٤) " .

أما الفقهاء وطلاب العلم فهم أسوأ حالا منهم وقد سماهم المقريزى بالفقراء(٥) لسوء حالهم وقلة مابأيديهم واعتبر أرباب الصنائع وأصحاب المهن أحسن حالا منهم فعدهم فى القسم السادس يليهم ذوو الحاجة والمسكنة(٦)، والذين هم

(١) الأدب فى العصر المملوكى جـ١ ص٦٨ ، وانظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص١٠٣ .
(٢) انظر اغاثة الأمة ص ٧٥ .
(٣) انظر نفس المصدر ص٧٥ .
(٤) الأدب فى العصر المملوكى جـ١ ص٦٩ .
(٥) انظر اغاثة الأمة ص٧٥ -٧٦ .
(٦) انظر نفس المصدر ص ٧٦ .

عالة على غيرهم من أرباب الحرف والصناعات ، وأصحاب الثراء والأعيان وأصحاب الأرض يحصلون منهم على الأجر لقاء ما يقومون به من عمل أو خدمة ، ويجرى عليهم السلطان والأمراء والأغنياء المال وقت الحاجة ، ويتبلغون بالصدقات كل حين (١)" • واكتظت المدن بفئات من الناس أطلق عليهم اسم الحرافيش والزعر والبلاصة (٢) ، أو العامة .وعلى الرغم من هذا الاختلاف فى طبقات المجتمع الا أن المصريين قد عرفوا المطاعم والمشارب التى تدل على بعض الترف(٣) .

واذا كان المجتمع قد عانى من ظلم الحكام ، ومن بعض الأمراض والأوبئة كالطاعون أو من يبس الأرض بسبب انحباس الأمطار الا أنه بمجرد زوال الشدة يزول أثرها من الأرض والنفوس فيتحول الحزن الى فرح والشقاء الى سعادة ، ويشيع جو المرح ويقبل الناس على وسائل التسلية ويخرجون الى الحدائق والمنتزهات ويجلسون على النيل للفرجة ، ويخرج الباعة والطباخون . يصور ذلك المنظر الامام ابن حجر العسقلانى وقد خرج مع جماعة فى الصيف ، للفرجة فأصابهم دخان الباعة :

لى منّزل فى النّيل ضنّك حره   من وقد آنفاس وريح قتار
وارحمتاه لنازليه تحمّلوا   ألم القلوب للذة الابصار(٤).

ومن المنتزهات التى كان الناس يخرجون اليها بركة الرطلى التى يقول المقريزى عنها : " فيجتمع فيه من الناس فى يوم الأحد والجمعة عالم لايحصى لهم عدد(٥) " .

---

(١) الأدب فى العصر المملوكى جـ١ ص ٦٩ .
(٢) انظر نفس المرجع جـ١ ص ٦٩ .
(٣) المواعظ والاعتبار جـ١ ص ٣٦٧.
(٤) الديوان ص ١٧٦
(٥) : المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ١٦٢ .

ويقول الامام ابن حجر العسقلانى عندما امتدت يد اللهب الى ذلك المنتزه الجميل:

حُرقتْ جوانب بِرْكة الرّطلــى
مع ما قد حواها من المياه الهمّع
تجرى المياه ونارها لا تنطفىء
فكأنما هى أضلعى مع أدمعى (١)

وقد ورث المجتمع كثيرا من الأعياد عن الفاطميين(٢) ، وكثرت المواكب والمناسبات مثل خروج الموكب الى سرياقوس (٣) ، و الاحتفال بوفاء النيل " وظلت الأعياد فى دولة المماليك تقام بنفس مظاهر البهجة والسرور التى كانت تقام بها فى دولة الفاطميين ، اللهم الا ما كان من الغاء عيد الشهيد بمصر(٤) " . كذلك كان للاقباط أعيادهم ومناسباتهم التى ظلوا محتفظين بها ، مثل عيد الشعانين ، وعيد الفصح وعيد الغطاس(٥) . وفى مثل هذه المناسبات كان يزداد الاقبال على شرب الخمور التى كانت من الأمراض المتفشية فى المجتمع ، و يكثر سماع اللهو والطرب(٦) وانفاق الأموال . وشاركت المرأة الرجل فى أفراحه واتراحه ، وكان لها دورها فاشتغلت بالزركاش والتطريز وبعض النساء اشتغلن بالعلم وتصدرن للتدريس مثل : زينب بنت الكمال(٧) ، وزينب بنت مكى (٨) ،

---

(١) الديوان ص ٤١٦
(٢) انظر المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ١ ص ٤٩٠ - ٤٩٥ ، جـ٢ ص ١٥٤ - ١٥٥ .
(٣) انظر نفس المصدر جـ٢ ص ١٩٩ .
(٤) تاريخ المماليك البحرية ص ٤٨٠ .
(٥) انظر المواعظ والاعتبار جـ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٩ .
(٦) انظر نفس المصدر جـ٣ ٤٩٣ - ٤٩٤ .
(٧) انظر الدرر الكامنة جـ٢ ص ١١٨ ، وابن العماد الحنبلى شذر الذهب جـ٦ ص ١٢٦ .
(٨) انظر ابن حجر المجمع المؤسس جـ٢ ورقة ١٠٠ ب ، انباء الغمر جـ٤ ص ٢٧٩ .

وكان الحجاب يفرض على الحرة ، أما الجارية فكانت تجول فى الأسواق . وبعض النساء عملن بالمغانى والرقص واحترفن البغاء ، وهناك من السلاطين من تعقبهن وضايقهن(١) . وإذا كان هناك من سلاطين المماليك من جاهر بالمعاصى الا ان السياسة العامة كانت هى الظهور بمظهر الحامى حمى الدين القائم على تنفيذ أوامره ، فأسسوا المساجد والمدارس والأربطة والزوايا واحتفلوا بالمناسبات الدينية المختلفة ، وأوقفوا الأوقاف ورتبوا الرواتب للعلماء والطلاب .أما الشعب فقد غلبت عليه روح المرح رغم ماكان يعانيه فى أغلب السنين من غلاء ووباء وظلم وفتن فكثرت الأعياد والاحتفالات والمنتزهات ، وعرف المسرح ، وسمع الغناء ، ومورست بعض الملاهى كتطيير الحمام ، وتهارش الديكة ، ولعب النرد والشطرنج .

* * *

(١) انظر النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٧٧ ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٥٣٦ : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٢٣٣ ، ٢٨٠ .

الحالة الثقافية :

لقد شهدت مصر حركة علمية وثقافية نشطة فى عصر المماليك وهى وإن كانت امتدادا لما كانت عليه فى عصر الأيوبيين الا انها قد ازدادت فى عصر المماليك نشاطا (١) ، فكثر العلماء وكثرت المؤلفات فى مختلف العلوم والفنون .

وهناك عدة عوامل ادت الى ازدياد نشاط الحركة العلمية والثقافية فى مصر ، من هذه العوامل :

١ - **سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ** : فقد ظلت بغداد طوال الخلافة العباسية مركز حضارة ، ومصدر اشعاع ، ومهوى افئدة يرد اليها العلماء والطلاب من جميع الأقطار ، ويصدرون الى بلدانهم يحملون مشاعل العلم والأدب . حتى تمكن ذلك الإعصار المدمر القادم من جنوب سيبيريا (٢) بقيادة هولاكو ، من إخماد تلك الشعلة الحضارية ، وإسقاط منبر الخلافة فى بغداد ، والقيام بأبشع الأعمال الهمجية من قتل (٣) وسحل وإحراق ، وقذفوا اغلى تراث حضارى علمى فى نهر دجلة .

"واحرقت كتب العلم حتى قيل انهم بنوا بها جسرا من الطين والماء عوضا عن الآجر (٤)". ثم اعقب هولاكو ، تيمور لنك ، الذى وصلت جيوشه الى الشام ، محاولا القضاء على ماتبقى فى هذا البلد من معالم الفكر والحضارة بالقتل والتدمير وإثارة الرعب والهلع فى النفوس (٥) ، وإذا كان هذا فى المشرق

---

(١) انظر البداية والنهاية جـ١٣ ص ٤ - ٦ ، ص ٢٣ -٢٤ ، الجوهر الثمين ص٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٨ ، ٣٧٤ - ٣٧٥، حسن المحاضرة جـ٢ ص١٧ - ١٨.
(٢) انظر د. حسن ابراهيم : تارخ الاسلام جـ٤ ص١٣١ .
(٣) انظر الحافظ ابن كثير البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٠٠ - ٢٠٣ ، ابن اياس جـ١ ق١ ص٢٩٧ - ٢٩٨ .
(٤) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ٧ ص٥١ .
(٥) انظر النجوم الزاهرة جـ١٢ ص٢٢١ - ٢٤٦ .

فإن ما مر به المسلمون فى المغرب من فتن ومحن كان أدهى وأمر . مما جعل الأنظار تتجه الى مصر ، التى احتلت مكانة بغداد ، منذ انكسار جيش التتار ، وانتصار المماليك فى موقعة " عين جالوت" بقيادة السلطان سيف الدين قطز ، ثم انتقال الخلافة العباسية الى مصر على يد السلطان الظاهر بيبرس .

وهكذا استقبلت مصر فى هذا العصر كثيرا من العلماء الوافدين اليها من المشرق و المغرب ، الأمر الذى كان له دور فى ازدياد نشاط الحركة العلمية .

وقد ساعد على ازدياد هجرة العلماء الى مصر حسن استقبال الحكام لهم والاحتفاء بهم (١) .

٢ - تشجيع الحكام للعلماء ، ودفعهم الى التاليف والتدريس : شجع السلاطين العلماء وهيأوا الأجواء المناسبة لهم من توفير المسكن والرواتب (٢) وبخاصة للقائمين بالتدريس هذا الى جانب تنافس العلماء فى مجال التاليف والإبداع ، قد أدى الى غزارة الانتاج ، وكثرة التاليف الأمر الذى كان له أثره فى إذكاء شعلة العلم و المعرفة .

٣ - الإقبال على العلوم : واذا كان قد كثر العلماء فإن ذلك قابله كثرة فى طلاب العلم ، وإقبال على طلب العلوم ، لعدة عوامل منها :

أ - وجود العلماء .

---

(١) انظر السخاوى : الضوء اللامع جـ٤ ص ١٧٧ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص ٩٥ ، ١٦٢ ، ١٦٩ .

(٢) انظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٣١٦ ، ٣٦٥ ، ٣٨١ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص١٢١ ، وعصر الدول والامارات ص ٨٤ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص ٢٥٧ .

ب - توفر دور العلم .

جـ - سهولة الالتحاق بدور العلم . سواءا كانت كتاتيب أم جوامع أم مدارس . فليس هناك شروط فى قبول ، أو رسوم على الدراسة .

د - وجود الدوافع المادية و الدينية . فاذا كان هناك دوافع مادية كالحصول على سكن أو مرتب شهرى(١) فى بعض المدارس أو الرغبة فى الوصول الى منزلة عالية كتلك التى كانت يحتلها العلماء والقضاة ، لدى السلاطين والمجتمع ، فان الكثير كانوا يقبلون على طلب العلم بدافع دينى مما كان له أثره فى تفوقهم ونبوغهم ، وبالتالى دفع الحركة العلمية وزيادة نشاطها .

٤ - **شعور العلماء بالخطر** : واذا كان لموقف السلاطين دوره فى تشجيع العلماء ، فان الدافع الأكبر على الجمع والتأليف هو الشعور بالخطر ، والاحساس بروح التحدى ، وهم يشاهدون الأخطار تحدق بالأمة من جميع الجهات ، وتهددها فى دينها وحضارتها وأوطانها .

ثم الرغبة بالتعويض عما أضاعه الغزاة من تراث حضارى لايعود نفعه على الأمة الاسلامية والعربية فحسب بل على الانسانية عامة .

٥ - **انشاء دور العلم ووقف الأوقاف عليها** :

إن مما ساعد على تنشيط الحركة العلمية وجود دور أو مراكز تنشر العلم وتنشىء العلماء ، فهذه المراكز من أهم

(١) انظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٩٥ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٠٢ .

العوامل ، بل تعتبر الأساس الذى تقوم عليه أى حركة علمية ، ولاسيما وقد تعددت هذه المراكز فى عصر المماليك ولقيت اهتماما كبيرا سواءً من قبل السلاطين أو الأمراء أو القضاة وكبار العلماء أو التجار ذووى الاقتدار فأنشئت الكتاتيب والجوامع(١) والمدارس(٢) والأربطة(٣) والخوانق(٤) والزوايا ، وعُيّن فيها المشايخ والمدرسون ، وأوقفت عليها الأوقاف ، وأجريت فيها الرواتب .

ومن أمثلة المدارس التى أنشئت فى هذا العصر :

١ - **المدرسة الظاهرية**(٦) : أسسها الظاهر برقوق ، بين القصرين وكان الشروع فيها فى رجب سنة ٧٨٦ هـ والانتهاء منها فى رجب ٧٨٨ هـ .

٢ - ومنها **مدرسة**(٧) **الأمير جمال الدين الاستادار** : أسسها الأمير جمال الدين يوسف(٨) البيرى البجاسى ، فى جمادى الأولى سنة ٨١٠ هـ برحبة باب العيد من القاهرة . وعند الانتهاء منها فى رجب سنة ٨١١ هـ جمع بها القضاة والأعيان ورتب بها المدرسين وقرر الحافظ ابن حجر فى تدريس الحديث النبوى .

وقد أنشد الحافظ ابن حجر العسقلانى فى هذه المناسبة قصيدة

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٣٢٠ ، ٣٢٨ ـ ٣٣١ .
(٢) انظر نفس المصدر جـ٢ ص٣٦٢ - ٤٠٤ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٥٧ ، ٢٦٢، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١ ـ ٢٧٢.
(٣) انظر حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٦٠ ، ٢٦٥ - ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٤٢٠ - ٤٣٠ .
(٤) انظر نفس المصدر جـ٢ ص ٤١٦ - ٤٢٦ .
(٥) انظر نفس المصدر جـ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣٦ .
(٦) انظر انباء الغمر جـ٢ ص ٢١٥ - ٢١٦ ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص ٣٧٢ ، الجوهر الثمين ص ٤٦٠ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص ٢٧١.
(٧) انظر بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص ٧٩٢ ، المواعظ جـ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣ ، إنباء الغمر جـ٢ ص ٩٥ - ٩٦ .
(٨) جمال الدين الأستادار ولد سنة ٧٥٢ هـ وقتل ٨١٢ هـ . انظر انباء الغمر جـ٦ ص ١٩٨ ، الديوان ص ٦٠

، يمدح الأمير جمال الدين ويشيد بما قام به من عمل كريم فقال من قصيدة اربت على مائة بيت :

لله مدرسة سمت ورقمتَ فيها الحسْن رقما
تستوقف الابصارَ رؤ يتُها فتشكر منك عزما
عزم امرئٍ ما عدّ فعـ ل الأجر والخيرات غرما
شهد الأنام بأنّه ما مثلها عربًا و عُجما
ويصدِّق الخبر العيا نُ دعوا حديث الظن رجما
فهى الفريدة فى الجوا هر لاتذوقْ الدهر يتما (١)

٣ - **المدرسة المؤيدية** : انشأها السلطان المؤيد شيخ فى صفر سنة ٨١٩ هـ(٢). " وفى جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين استقر الشيخ شهاب الدين ابو الفضل احمد بن على بن حجر فى تدريس الشافعية .... فدرس ابن حجر بالمحراب فى يوم الخميس ثالث عشرة ونزل السلطان واقبل ليحضر عنده وهو فى إلقاء الدرس ، ومنعه من القيام له ، فلم يقم واستمر فيما هو بصدده ، وجلس السلطان عنده مليا(٣) " ، وقد حمل السلطان اليها كتبا كثيرة فى انواع العلوم ، كانت بقلعة الجبل ، وقدم له ناصر الدين محمد البارزى ، كاتب السر خمسمائة مجلد قيمته الف دينار (٤) .

واتفق بعد بناء هذا المجمع العلمى بسنة ان مالت المئذنة(٥) التى بنيت له فرأى الشعراء فى ذلك فرصة

(١) الديوان ص ٨٦ .
(٢) انظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٣٣ ، ٣٢٨ ، بدائع الزهور جـ٢ ص ٣٤ - ٣٥ .
(٣) المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٣٣٠ .
(٤) نفس المصدر جـ٢ ص ٣٢٩ .
(٥) انباء الغمر جـ٧ ص٢٨٠ ، النجوم الزاهرة جـ١٤ ص ٧٥ - ٧٦ ، المواعظ جـ٢ ص ٣٢٩ -٣٣٠ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٣٥ - ٣٦ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص ٢٧٣ .

للمداعبة والظرف ومجالا للقول ، فأنشد تقى الدين بن حجة :

على البرج من بابى زويلة أنشئت
منارة بيت الله والمعهد المنجى
وأخنى بها البرج اللعين أمالها
ألا صرّحوا ياقوم باللعن للبرجى

وقال حافظ الوقت شهاب الدين أحمد بن على بن حجر موريا بالشيخ بدر الدين العينى :

لجامع مولانا المؤيد رونق
منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا
فليس على جسمى أضر من العين

فغضب العينى ورد معرضا بابن حجر :

منارة كعروس الحسن اذ جليت
وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط
ما أوجب الهدم الا خسة الحجر

فأنشد نجم الدين بن النبيه ينقض الأمرين :

يقولون فى نقض المنار تواضع
وعين وأقوال وعندى جليها
فلا البرح أخنى والحجارة لم تعب
ولكن عروس أثقلتها حليها (١)

واذا كانت هذه المدارس قد أولت جل اهتمامها لعلوم الشريعة فليس معنى ذلك أنها اقتصرت على تلك العلوم فحسب ، بل درّست فيها العلوم الأخرى الى جانب العلوم الدينية

---

(١) السخاوى : الجواهر و الدرر جـ٢ ق ٤٠ ب
الديوان ص ١٤ م

ولا سيما علوم اللغة والأدب والتاريخ (١) . غير أن هناك من المدارس التى أوقفت لتدريس علم معين أو مذهب معين ، فلم يقرر فيها من الفقهاء غير فقيه ذلك المذهب مثل المدرسة الخروبية (٢) ، والمدرسة الفارقانية (٣) ، والمدرسة الصاحبية (٤) .

وكان يلقى الدروس بجانب المشايخ المدرسون والمعيدون (٥) ، واستمع الى الحافظ ابن حجر العسقلانى ، ينشد ساخرا :

رأينا معيدا جالسا وسط حلقة
فقيل تعالوا تسمعوا الأوحد الفردا
سيبدى لكم مما يعيد فوائدا
فلما رآنا لا أعاد ولا أبدا (٦)

وكان الطالب يقبل على تلقى العلوم بجد وإخلاص ومثابرة حتى يصل الى مرحلة معينة يكون عندها قادرًا على التدريس والإفتاء فاما آنس ذلك منه شيخه فأجازه ابتداء ، وأما طلب الإجازة من شيخه كما فعل الحافظ ابن حجر العسقلانى مع شيخه سراج الدين أبى حفص عمر بن رسلان البلقينى (٧) حين التمس من القاضى جلال الدين عبد الرحمن (٨) ابن الشيخ سراج الدين عمر

(١) انظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٣٧١ ، ٣٨٠ .
(٢) انظر نفس المصدر جـ٢ ص ٣٦٨ .
(٣) انظر نفس المصدر جـ٢ ص ٣٦٩ .
(٤) انظر نفس المصدر جـ٢ ص ٣٧١ .
(٥) انظر السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ص ١٠٨ .
(٦) الديوان ص ١٤٤
(٧) انظر ترجمته ضمن مشائخ الحافظ ابن حجر فى الفصل الثانى ص ٧٨
(٨) جلال الدين البلقينى من كبار علماء عصره ولد سنة ٧٦٣ هـ ، اخذ عن والده وغيره من علماء عصره ، درس وصنف وولى القضاء وانتهت اليه رئاسة الفتوى فى عصره ، توفى سنة ٨٢٤ هـ ، انظر انباء الغمر جـ٧ ص ٤٤٠ ، الضوء اللامع جـ٤ ص ١٠٦ .

البلقينى ، أن يساعده فى تحصيل الاجازة له بالفتوى والتدريس من والده فيقول :

معالٍ جازت الجوزا جوازا
وحسن قد حوى الحسنى وجازا
....
رفعت الى علاك عروس فكرى
وصيرت البديع لها جهازا
وجائزتى الاجازة من إمام
سما للأفق فضلا وامتيازا
وقد فاق الورى بالحق فضلا
ومن ستين عاما لم يوازا
فقد أسلفت شكرى وامتداحى
وحقى أن أثاب وأن أجاز(١)

٥ - إنشاء المكتبات : وإذا كان هناك اهتمام بانشاء دور العلم فى هذا العصر فان ذلك الإهتمام قد توج بعمل لايقل أهمية ، وهو توفير الكتاب لطلاب العلم فى هذه الدور ، فكان الاهتمام بإنشاء المكتبات والحاقها بالمدارس ، وكان لهذا العمل أثره فى دفع الحركة العلمية ، فاذا نظرنا الى ماكان عليه وضع الكتاب قبل عصر النهضة وظهور الطباعة ، وصعوبة الحصول عليه ، عرفنا قدر ذلك العمل العظيم الذى قام به منشؤا المدارس فى العصر المملوكى وحرصهم على أن تحتوى كل مدرسة على مكتبة عامرة بحيث يكون الكتاب فى متناول طلاب العلم فى هذه المدارس .

---

(١) الديوان ص ١٧٩

يقول المقريزى عن المدرسة المحمودية « ورتب بها درسا وعمل فيها خزانة كتب لايعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها(١)" ، وقد اشترى الأمير جمال الدين الاستادار، الكتب التى كانت بمدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين وكان فيها « من المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة ، فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف ، بمائة دينار ، وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ..... ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال(٢) » .

ونتيجة لكل ذلك شهدت هذه الفترة نشاطا فى الحركة العلمية والثقافية ، فكثر العلماء وكثر التأليف فى مختلف العلوم والفنون . « ولم تشهد مصر حقبا علمية مزدهرة بمقدار ما شهدت فى زمن المماليك(٣) "

واذا كان كثير من المؤرخين قد عدوا هذا العصر ضمن عصور الانحدار ، فان من ينظر بإنصاف الى ذلك العصر وكثرة العلماء والأدباء فيه ، وما خلفوه ليس للعرب فحسب بل للانسانية ، من تراث علمى وأدبى ، يرى بحق أن ذلك العصر هو عصر العلماء والمؤلفات والموسوعات .

ويكفى أن يذكر من رجال ذلك العصر المبدعين والمبرزين الحافظ شهاب الدين أحمد بن على - ابن حجر العسقلانى - الذى زادت مؤلفاته على مائتين ومن أشهرها فتح البارى شرح صحيح البخارى ، والاصابة فى تمييز الصحابة ، وانباء الغمر ، ومن أبرز الأعلام فى تلك الفترة كذلك :

(١) المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٣٩٥ .
(٢) نفس المرجع جـ٢ ص ٤٠١ .
(٣) عصر الدول والامارات ص ٨٧ .

ابن خلدون المؤسس الحقيقى لعلم الإجتماع ، مؤلف المقدمة والتاريخ .

والأشمونى مؤلف منهج السالك الى ألفية ابن مالك .

والفيروزابادى مؤلف القاموس المحيط .

و القلقشندى مؤلف كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .

والمقريزى مؤلف كتاب المواعظ والاعتبار ، وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك فى التاريخ .

وشمس الدين السخاوى مؤلف الضوء اللامع ، والاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .

والبدر العينى مؤلف عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، وعمدة القارى فى شرح صحيح البخارى .

والامام البلقينى سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان الامام المحدث .

وابن هشام الأنصارى ، النحوى المعروف .

وإذا كان هؤلاء ممن عاش فى نفس الفترة التى عاش فيها الحافظ ابن حجر العسقلانى فإنّ هناك الكثير والكثير ممن عاشوا فى عصر المماليك ، ولكنهم تأخروا عنه كالإمام السيوطى الذى زادت مؤلفاته على ٣٠٠ مؤلف . أو تقدموا عليه مولدا ووفاةً مثل العز بن عبد السلام ، والإمام النووى ، والإمام ابن تيمية ، والإمام ابن قيم الجوزية ، والقرطبى ، وأبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير ، ومحمد بن عيسى الدميرى صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى ، وابن بطوطة الرحالة الشهير .

وبعد هذا فإننا لانستطيع أن نقول على هذا العصر الا أنه عصر العلم والموسوعات والمؤلفات العربية الإسلامية التى كان لها أثرها على الفكر العالمى ، والتى أثبتت أصالة الفكر العربى الإسلامى وقدرته على مواجهة التحدّيات وإثبات الذات .

* * *

الفصل الثاني

حياة الحافظ ابن حجر

١ ـ اسمه ونسبه .

٢ ـ لقبه وكنيته .

٣ ـ مولده .

٤ ـ أسرته .

٥ ـ نشأته .

٦ ـ شيوخه .

٧ ـ رحلاته .

٨ ـ وظائفه .

٩ ـ تلاميذه .

١٠ ـ علاقته بالعلماء المعاصرين له .

١١ ـ مكانه بين علماء عصره وثناء العلماء عليه .

١٢ ـ من صفاته الخلقية والخلقية .

١٣ ـ وفاته ورثاء العلماء له .

١٤ ـ مؤلفاته .

اسمه ونسبه :

احمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن احمد بن محمود بن احمد بن حجر(١) العسقلانى الأصل ، المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة •

وإذا كانت المصادر التى بين أيدينا قد أجمعت على الاسم والنسب الا انها اختلفت فى جد جد أبيه بين إسقاط أو تقديم أو تأخير(٢) ونجد هذا الاختلاف حتى فى كتب الحافظ ابن حجر نفسه(٣) وفى كتب تلميذه شمس الدين السخاوى •

فاذا كان العلامة السخاوى قد أورده فى الجواهر والدرر على الوجه التالى :

احمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن محمود بن احمد •

ثم قال : " هذا هو المعتمد فى نسبه ، لا أذكر زيادة على ذلك الا ما قرأته بخط بعض أصحابنا ، بل وبخط المقريزى وكأنه عمدته بعد احمد ، احمد بن ، فاننى لا أعلمه ، ثم رأيته بخط صاحب الترجمة نفسه فى آخر نسخة من صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأبى على محمد بن هرون بخط قريبه الزين شعبان لكن باسقاط محمود •••••••

وأما ما اشتهر به وسمعته من لفظه أن نسبه يقرأ طردا وعكسا

---

(١) - انظر ابن حجر رفع الأصر ص٨٥ ، انباء الغمر جـ١ ص٢ ، جـ١ ص١٧٤ ، الدرر الكامنة جـ٢ ص٤٥٠ ، جـ٣ ص١١٧ ، النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٥٣٢ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٩ شذرات الذهب جـ٧ ص ٢٧٠ • الشوكانى البدر الطالع جـ١ ص٨٧ •

(٢) - انظر السخاوى : التبر المسبوك ص٨٧ ، الجواهر والدرر جـ١ ص٤٦ • السيوطى نظم العقيان ص٤٥ •

(٣) - انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق١٣١ ب ، تبصير المنتبه ، المصادر السابقة لأبن حجر •

فلا يتهيأ ذلك الا بتأخير محمود عن أحمد أو باسقاطه ، وقد أخره عنه هو فيما قرأته بخطه ، فى تصنيفه الدرر الكامنة إذ ذكر عم والده ، فقال : "عثمان بن محمد بن على بن أحمد بن محمود"(١) • وكذا فعل فى كتابه " قضاة مصر " المسمى : " رفع الاصر "(٢) ، وفى أول كتابه : " إنباء الغمر " بزيادة أحمد بعد محمود ، بحيث صار محمود بين أحمدين ، ونصه : "يقول العبد الضعيف أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن محمود بن أحمد بن حجر"(٣) • لكنه خالف ذلك فى حرف الحاء المهملة من كتابه : " تبصير المنتبه بتحرير المشتبه " حيث ذكر عم والده أيضا فقال : "فخر الدين عثمان بن محمد بن على بن محمود بن أحمد"(٤) • وكذا صنع فى ترجمة والده من القسم الثانى من معجم شيوخه فانه قال : "على بن محمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد"(٥) فهذا ما علمته الآن من نسبته • وانما جزمت بالاول لكثرة ما وجدته كذلك بخطه ، وان تكرر بخطه ، كما فى آخر شرح البخارى وغيره أنه : أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن حجر "(٦)

فانا نجد أن السخاوى فى "الضوء" قد أورده على الوجه التالى : "أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد"(٧) وفى " التبر المسبوك " : "أحمد بن على بن محمد بن محمد بن أحمد"(٨) •

ونجد فى النجوم الزاهرة : "أحمد بن الشيخ نور الدين على

(١) ـ الدرر الكامنة جـ٢ ص٤٥٠ •
(٢) ـ رفع الاصر القسم الاول ص٨٥ •
(٣) ـ انباء الغمر جـ١ ص٢ •
(٤) ـ تبصير المنتبه •
(٥) ـ المجمع المؤسس جـ٢ ق١٣١ ب •
(٦) ـ الجواهر والدرر جـ١ ص٤٦ ـ ٤٧ •
(٧) ـ الضوء اللامع جـ٢ ص٣٦ •
(٨) ـ التبر المسبوك ٢٣١ •

ابن محمد بن محمد بن على بن احمد"(١) . وكذلك فى " بدائع الزهور "(٢) و " شذرات الذهب " لابن العماد الحنبلى(٣) و"البدر الطالع " للشوكانى(٤) .

فنجد ان اسم احمد قد تردد فى اكثر المصادر ، بل فى كثير من كتابات ابن حجر التى بين ايدينا ويكفى دليلا على ترجيح هذا الاسم وروده فى ترجمة ابن حجر لنفسه فى كتابه "رفع الاصر عن قضاة مصر "(٥) : "احمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن احمد" .

ثم ما ورد فى الديوان من قوله جوابا على استدعاء:

من احمد بن على بن محمد
بن محمد بن على الكنانى المحتد
ولجد جد ابيه احمد لقبوا
حجرا وقيل بل اسم والد احمد(٦)

ثم وروده فى " إنباء الغمر "(٧) كما سبقت الإشارة اليه .

(١) - النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٥٣٢ .
(٢) - بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٩ .
(٣) - شذرات الذهب جـ٧ ص٢٧٠ .
(٤) - البدر الطالع جـ١ ص٨٧ .
(٥) - رفع الاصر القسم الاول ص٨٥ .
(٦) - الديوان ص ١١
(٧) - انباء الغمر جـ١ ص٢ .

لقبه وكنيته :

اما لقبه فهو شهاب الدين(١) • وله اكثر من كنية (٢) فقد كنى ابا العباس وكنى ابا جعفر ، غير ان الكنية التى عرف بها هى ابو الفضل وقد كناه بها والده •

ذكر ذلك فى كتابه " إنباء الغمر " عند ترجمته لوالده فقال : " واحفظ منه انه قال " : كنية ولدى احمد ابو الفضل(٣) ، وقد كنى تشبيها بقاضى مكة ابى الفضل محمد بن احمد بن عبد العزيز العقبى النويرى ، اذ كان مع ابيه وهو طفل هناك(٤) •

و قد صنف الحافظ ابن حجر كتابا سماه " القصد الأحمد بمن كنيته ابو الفضل واسمه احمد "(٥) •

وممن اشار الى هذه الكنية ايضا ابن إياس فى "بدائع الزهور "(٦) وابن تغرى بردى" النجوم الزاهرة "(٧) و"المنهل الصافى "(٨) •

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٤٧ •
(٢) - انظر نفس المصدر ص٤٧ •
(٣) - انباء الغمر جـ١ ص١٧٤ •
(٤) - الجواهر والدرر جـ١ ص٤٧ •
(٥) - نفس المصدر جـ١ ص٤٧ •
(٦) - بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٩ •
(٧) - النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٥٣٢ •
(٨) - ابن تغرى بردى المنهل الصافى جـ٢ ص١٧ •

نسبته :

أما نسبته فهو كنانى عسقلانى . ولا يوجد اختلاف بين المصادر التى تيسر الاطلاع عليها حول نسبته هذه.

ففى " النجوم الزاهرة " : " وتوفى قاضى القضاة .... شهاب الدين أبو الفضل أحمد .... المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة العسقلانى الأصل "(١) .

وفى " بدائع الزهور " : " شهاب الدين أحمد بن على ابن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن حجر الكنانى العسقلانى الشافعى"(٢) .

وقال السخاوى فى " الجواهر والدرر " : " قرأت بخط صاحب الترجمة رحمه الله : رأيت بخط والدى أنه كنانى الأصل يعنى بكسر الكاف وفتح النون وبعد الألف نون ثانية ، وكتب شيخنا مرة الكنانى القبيلة قال - الحافظ ابن حجر - وكان أصلهم من عسقلان ، وهى مدينة بساحل الشام من فلسطين فنقلهم صلاح الدين الأيوبى لما خربها "(٣) .

ولم يذكر الحافظ ابن حجر البلد الذى رحلت منه هذه الأسرة الى عسقلان ولم يذكر كذلك تاريخا محددا لرحلة هذه الأسرة من عسقلان الى مصر ، غير ما ذكره عنه السخاوى آنفا وقد بنى عليه السخاوى تاريخا لرحلة هذه الأسرة الى مصر قائما على الظن(٤) والقياس .

(١) - النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٥٣٣ .
(٢) - بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٩ .
(٣) - الجواهر والدرر جـ١ ص٤٨ .
(٤) - انظر نفس المصدر جـ١ ص٤٨ .

فإذا كان صلاح الدين قد خرب عسقلان بعد سنة ثمانين وخمسمائة فإن ذلك يعنى ان هذه الأسرة نقلت الى مصر بعد سنة ثمانين وخمسمائة .

ويكفى فى إثبات هذه النسبة للحافظ ابن حجر انه اثبتها لنفسه بنفسه فى كتابه "رفع الاصر" فقال : " احمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن احمد العسقلانى الأصل ، المصرى المولد والمنشأ ، نزيل القاهرة "(١) . وقال فى مقدمة "إنباء الغمر " : "يقول العبد الضعيف احمد بن على .... العسقلانى الأصل ، المصرى المولد ، القاهرى الدار "(٢) .
وقال عند ترجمته لوالده : " على بن محمد بن محمد بن على بن احمد بن حجر العسقلانى ثم المصرى الكنانى "(٣) .
وقال عند ترجمته لعم والده : " عثمان بن محمد بن على بن احمد بن محمود الكنانى العسقلانى ، الشهير بابن حجر وبابن البزاز ، عم والدى "(٤) .

واثبت هذه النسبة السخاوى فى الضوء اللامع وفى التبر المسبوك(٥) والذيل على رفع الاصر(٦) ، كما اثبتها غيره من العلماء الذين ترجموا للحافظ ابن حجر(٧) .

---

(١) - رفع الاصر القسم الاول ص ٨٥ .
(٢) - انباء الغمر جـ١ ص ٢ .
(٣) - انباء الغمر جـ١ ص ١٧٤ .
(٤) - الدرر الكامنة جـ٢ ص ٤٥٠ .
(٥) - الضوء اللامع جـ٢ ص ٣٦ .
(٦) - الذيل على رفع الاصر ص ٧٦ .
(٧) - انظر على سبيل المثال المنهل الصافى جـ٢ ص ١٧ ، النجوم الزاهرة جـ١٥ ص ٥٣٣ ، ابن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٢٧ ، شذرات الذهب جـ٧ ص ٢٧٠ .

شهرتـــــه :

وقد اشتهر بابن حجر اشتهارا كاد يطغى على الاسم حتى انه اذا أُطلق الحافظ ابن حجر لم ينصرف الذهن لغيره وان نظرة فى المصادر التى ترجمت له ، أو فى مؤلفاته تثبت ذلك .

وإذا كانت المصادر قد اتفقت على هذه الشهرة فإنها قد اختلفت كذلك هل هى لقب ؟ وهل هو له أو لجد جد أبيه أحمد ؟ أو اسم لوالد أحمد المشار اليه ؟ أو هى نسبة ؟ .

فممن ذهب الى أنها نسبة ابن تغرى بردى ، قال : "وابن حجر نسبة الى آل حجر تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد ، وأرضهم قابس "(١) ، وتابعه فى ذلك ابن العماد الحنبلى(٢) .

وإذا كان الاستاذ عبد الحى الكتانى - وهو من المتأخرين - قد تابعه بالقول بهذه النسبة ، فقال : "وعائلته من آخر بلاد الجريد من ارض قابس ، حكومة تونس" ، ثم استطرد قائلا : "وفى شرح ابن السلطان على - توضيح النخبة - للمترجم قال الشيخ أصيل الدين - ابن حجر هو لقب الشيخ وإن كان بصيغة الكنية - ثم قال ويحتمل انه كانت له جواهر كثيرة فسمى به وقيل لقب بذلك لجودة ذهنه وصلابة رأيه ، بحيث يرد اعتراض كل معترض ، ولا يتصرف فيه أحد من أقرانه ، ولذا قال بعض الظرفاء فى حقه - رجح بناء ابن حجر - يقرأ طردا وعكسا كقوله تعالى : "وَكُلٌّ فى فَلَكٍ "يس ٤٠ ، وقيل سمى

(١) - المنهل الصافى جـ٢ ص٣٢ .
(٢) - شذرات الذهب جـ٧ ص ٢٧٠ .

به لكونه اسم ابيه الخامس وكان يحمل الحجر"(١) ٠

الا ان د٠ حسن حبشي قد رد على ابن تغرى بردى فقال :
ومرجع هذا الخطأ التاريخي عند ابى المحاسن ، هو خلطه بين قبائل حَجَر و حُجر و حَجْر ، اذ كانت القبيلة الاخيرة وحدها - وهى من بنى اسد - وليست قبيلة حجر ، هى التى تعيش فى بلاد الجريد حول قابس ، ومن ثم خلط ابو المحاسن بين حَجَر وحَجر فأدى به ذلك الى نسبة ابن حجر العسقلانى الى قبيلة حجر(٢)
ولكن د٠ حبشي عاد فشكك فى اصل الحافظ ابن حجر(٣) معتمداً على اسم ربما كان محرفا ٠
وايا كان الامر فان تشكيكه لا يعتد به فليس هناك ادلة كافية تثبت ما ذهب اليه ٠

واذا كان السخاوى قد ذهب فى الضوء(٤) الى انه لقب لبعض اباءه وتابعه فى ذلك الشوكانى(٥) ، فانه قد ذهب فى "الجواهر والدرر" الى عدم الترجيح(٦) ، وهو ما ذهب اليه

---

(١) - عبد الحى الكتانى - فهرس الفهارس والاثبات جـ١ ص٣٢١ ٠
(٢) - د٠ حسن حبشي - مقدمة تحقيق انباء الغمر للحافظ ابن حجر ص ١٠ - ١١ ٠
(٣) - فقال فى مقدمة تحقيق انباء الغمر ص١٢ - ١٣ : " ولو كان ابن حجر عربي الأصل تماما كما يذهب السيوطى لوجدنا ورود هذه الاشارة فى كتاب الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر" ٠
ثم يقول : ان السخاوى يذكر ان شيخه ابن حجر رد اصله فى كتابه " صفة النبى " الى جد سماه " احمديل " فى قوله : " هو احمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن احمد بن احمديل " ، وقد لاحظنا ان هذا الاسم - وهو احمديل - يرد فى ترجمة عم ابن حجر واسمه " شعبان بن محمد " وورود هذه النسبة عند ابن حجر نفسه وبقلمه ذاته وعند السخاوى دليل على ان احد جدود هذه الاسرة كان يسمى " باحمديل " وهو اسم كردى صريح لا شبهة فيه٠
(٤) - الضوء اللامع جـ٢ ص٣٦ ٠
(٥) - البدر الطالع جـ١ ص٨٧ ٠
(٦) - الجواهر والدرر جـ١ ص٥٠ ٠

الحافظ ابن حجر نفسه فى قوله :

من احمد بن على بن محمد
بن محمد بن على الكنانى المحتد
ولجدّ جدّ ابيه احمد لقبوا
حجرا وقيل بل اسم والد احمد(١)

(١) - الديوان ص ١١١

مولـــده :

كـان مولده على شاطئ النيل بمصر العتيقة فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة باتفاق . وأيد ذلك قول ابن حجر فى ترجمته لنفسه فى رفع الاصر فقال : "ولد فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة"(١) . وقوله فى جواب الاستدعاء المنظوم :

شعبان عام ثلاثة من بعد سبع
مائة وسبعين اتفاق المولد(٢)

غير أن هناك اختلافا فى يوم مولده ، هل هو فى الثانى عشر أو فى الثالث عشر أو فى الثانى والعشرين من نفس الشهر .

ذهب السخاوى(٣) ، وابن خليل الدمشقى(٤) والسيوطى(٥) والشوكانى(٦) ، وابن العماد(٧) ، الى أنها فى ثانى عشر شعبان .

وذهب الحافظ تقى الدين ابن فهد المكى(٨) الى انها فى ثالث عشر شعبان .

وذهب ابن تغرى بردى(٩) الى أنها فى الثانى والعشرين من شعبان .

---

(١) - رفع الاصر القسم الاول ص ٨٥ .
(٢) - الديوان ص ١١١
(٣) - الضوء اللامع جـ٢ ص ٣٦ .
(٤) - ابن خليل الدمشقى جمان الدرر ق ٣ .
(٥) - نظم العقيان ص ٤٥ .
(٦) - البدر الطالع جـ١ ص ٨٨ .
(٧) - شذرات الذهب جـ٧ ص ٢٧٠ .
(٨) - لحظ الالحاظ ص ٣٢٦ .
(٩) - النجوم الزاهرة جـ١٥ ص ٥٣٣، والمنهل الصافى جـ٢ ص ١٧ .

وإذا كان السخاوى قد ذهب فى " الضوء اللامع " الى انها فى الثانى عشر ، فانه ذهب فى " الجواهر والدرر " الى انها فى الثانى والعشرين من نفس الشهر يقول : "وأما مولده فهو فى الثانى والعشرين من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة على شاطىء النيل بمصر ، والمنزل الذى ولد فيه بمصر معروف استمر فى ملك شيخنا ثم بيع بعده ، وهو بالقرب من دار النحاس والجامع الجديد ، وانتقل منها الى القاهرة قبل القرن ، حين تزوج بأم أولاده ، فسكن بقاعة منكوتمر جد أبى أمها ، المجاورة لمدرسته ، داخل باب القنطرة ، بالقرب من حارة " بهاء الدين " واستمر بها حتى مات"(١) •

ويرجح د• حبشى فى هذا الصدد على انه ولد على أرجح الاقوال فى الثالث والعشرين من شعبان سنة ٧٧٣ هـ ، واشار فى الهامش الى أن الاجماع منعقد على ذلك(٢) ، ولكنه لم يشر الى مصدره فى ذلك •

ولكن من خلال النظر فى المصادر يمكن القول بأن مولده ينحصر ما بين الثانى عشر ، والثانى والعشرين من شعبان •

---

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص٤٩ •
(٢) - مقدمة تحقيق انباء الغمر ص٧ •

اسـرته :

ولد الحافظ ابن حجر فى اسرة كريمة عريقة ، ذات علم وثراء ، معروفة بالعلم والفضل ، لم يشغلها طلب العيش عن طريق التجارة بالبَز ، عن طلب العلم والاشتغال به .

فإذا كان جده قطب الدين محمد معروفا بين التجار فإنه كان كذلك معروفا بين العلماء ، فها هو السخاوى يقول : "قرات بخط المحدث نور الدين الهمذانى : توفى العدل قطب الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن جلال الدين العسقلانى ابن البزاز ، عرف بابن حجر ، بفتح الحاء المهملة والجيم ، يوم الخميس السابع عشر من ذى الحجة سنة احدى واربعين وسبعمائة . سمع من جماعة من مشائخنا ، واجاز له ابو الفضل ابن عساكر ، وابن القواس وغيرهما"(١) .

وكان عمه عثمان بن محمد المعروف بابن البزاز وبابن حجر ، الذى سكن الاسكندرية ، قد انتهت اليه رئاسة الافتاء فى مذهب الإمام الشافعى هناك ، وتفقه بجماعة منهم الدمنهورى وابن الكويك(٢) .

والـده :

والده نور الدين على بن محمد المولود فى حدود العشرين وسبعمائة ، اشتغل الى جانب التجارة بالعلم والدرس والتحصيل والافادة والاستفادة ، "سمع من سيد الناس وغيره واشتغل بالفقه والعربية ، ومهر فى الآداب ، وقال الشعر

---

(١) — الجواهر والدرر جـ١ ص٥١ .
(٢) انظر نفس المصدر جـ١ ص٥٠ .

فأجاد ، ووقع فى الحكم ، وناب قليلا عن ابن عقيل ، من أجل تحققه بصحبة ابن عقيل ، واقبل على شأنه ، واكثر الحج والمجاورة وله عدة دواوين ، منها ديوان الحرم (مدائح نبوية ومكية فى مجلدة) وكان موصوفا بالعقل والمعرفة والديانة والأمانة ومكارم الأخلاق •••• ومن محفوظاته الحاوى ـ فى فقه الشافعية ـ وله استدراك على الأذكار للنووى فيه مباحث حسنة وكان ابن عقيل يحبه •••• ورأينا خطه له بالثناء البالغ ولما قدم الشيخ جمال الدين ابن نباته أخيرا أنزله عنده فى بيت من أملاكه فى جواره وطارحه ومدحه بما هو مشهور فى ديوانه •••• وهو القائل ومن خطه نقلته :

يارب أعضاء السجود عتقتها
من فضلك الوافى وأنت الواقى
والعتق يسرى بالغنى ياذا الغنى
فامنن على الفانى بعتق الباقى(١)

وكانت وفاته سنة ٧٧٧ هـ • وعن ذلك يقول الحافظ ابن حجر : " مات يوم الأربعاء ثالث عشرين شهر رجب • قلت وتركنى لم أكمل أربع سنين وأنا الآن أعقله كالذى يتخيل الشىء ولا يتحققه "(٢) •

أما والدته :

فأسمها تجار بنت الفخر أبى بكر بن الشمس محمد بن ابراهيم الزفتاوى •

---

(١) ـ انباء الغمر جـ١ ص١٧٤ ، وانظر المجمع المؤسس جـ٢ ق١٤٢ ، والجواهر والدرر جـ١ ص٥١ ـ ٥٢ ، وانظر عنه كتاب السلوك جـ٣ ص٢٦٢ •
(٢) ـ انباء الغمر جـ١ ص١٧٥ •

أُخــته :

ست الركب بنت على بن محمد ، سميت بذلك لأنها ولدت بطريق الحجاز فى رجب سنة ٧٧٠ هـ ، وقد وصفت بالفضل والعلم والأدب ، واشتغلت بالعلم والتحصيل ، أجاز لها كثير من علماء مكة والمدينة وحلب ودمشق وبعلبك وتونس ومصر(١) .

قال عنها الحافظ ابن حجر فى الإنباء " وكانت قارئة كاتبة أعجوبة فى الذكاء ، وهى أمى بعد أمى أصبت بها فى جمادى الآخرة من هذه السنة"(٢) - ٧٩٨ هـ - وقد رثاها بقصيدة بليغة مؤثرة مطلعها :

قفا نريا حالا يجل عن الوصف

وقوما انظرا شمس الضحى وهى فى كسف(٣)

زوجاته :

تزوج الحافظ ابن حجر أربع زوجات ، ولكن التى لها بعض الآثار فى حياته هى زوجته الاولى وهى أنس ابنة القاضى كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز ناظر الجيش ، سنة ٧٩٨ هـ وله من العمر ٢٥ سنة باشارة من وصيه العلامة ابن القطان ، وتنتمى الى بيت رآسة وحشمة وعلم(٤) ، وكانت عالمة فاضلة ، حجت أكثر من مرة ، وحدثت بحضور زوجها ، وقرأ عليها الفضلاء(٥) .

---

(١) - انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق١٢٦ ، الجواهر والدرر جـ١ ص٥٨ .
(٢) - انباء الغمر جـ٣ ص٣٠٢ .
(٣) - الديوان ص٣٢ .
(٤) - انظر انباء الغمر جـ٣ ص٢٩٤ ، الجواهر والدرر جـ٢ ق١٠٢ .
(٥) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق١٠٢ - ١٠٣ .

قال السخاوى : "وقد خرّجتُ لها اربعين حديثا عن اربعين شيخا قراتها عليها بحضوره - الحافظ ابن حجر - وكانت كثيرة الامداد لشيخنا العلامة ابن خضر ، وهو الذى كان يقرأ لها البخارى فى رجب وشعبان من كل سنة ، بالمدرسة ، وتحتفل يوم الختم بأنواع من الحلوى والفاكهة وغير ذلك . ولما مات ابن خضر قرأ لها سبطها سنة واحدة فى حياة جده .... ولم تزل على جلالتها وتصونها ، لم يضبط لها هفوة ولا زلة ، بل مات كل أولادها بين يديها ، فصبرت واحتسبت"(١) ، وقد رزق منها عدة بنات هن : زين خاتون ، وفرحة ، وعالية ، ورابعة ، وفاطمة ولم يرزق منها ولد ذكر ، لانها كانت إذا حملت ذكرا ولد قبل أوانه ميتا(٢) .

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق١٠٣ .
(٢) - انظر نفس المصدر جـ٢ ق١٠٢ - ١٠٣ .

نشـــأته :

نشأ يتيما فقد مات أبوه فى رجب سنة ٧٧٧ هـ ، وهو دون الرابعة ، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل(١) ، وكان والده قد حج به وجاور وزار به بيت المقدس ، وأحضره معه بعض مجالس الحديث(٢) ، إذ كان حريصا على ان يكون ولده من أهل العلم والصلاح ، فلما أحس بدنو أجله أوصى بولده الى من يثق به .

وتذكر المصادر من أوصيائه زكى الدين أبا بكر بن نور الدين على الخروبى(٣) ، كبير التجار فى مصر ، والعلامة شمس الدين بن القطان(٤) .

ويظهر أن هذا الأخير لم يكن أهلا للثقة التى أوليها فلم ينصح له فى تعليمه وتوجيهه ، بل كان يرسل أولاده الى كبار الشيوخ خفية عنه ، كما أشار السخاوى الى ذلك حيث قال: «مع كون صاحب الترجمة لم يحمد تصرفه فى تركته كما صرح بذلك فى غير موضع وقال : إن مما خصم به فى حساب المأتم وتوابعه الف مثقال ، مع كون الخروبى حسبما بلغنى أنه هو القائم بذلك أو أكثره ، بل قال كما هو فى ديوانه :

أكل ابن القطان مالىَ ظلمًا

يا إله الورى فصَلِّهْ سعيرا

ربِّ وابسط له العذاب بساطًا

ربّ واجعل له الجحيم حصيرا(٥)

---

(١) انظر رفع الاصر القسم الاول ص٨٥، الجواهر والدرر جـ١ ص٦٢ .
(٢) _ انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٦٢ ، جمان الدرر ق٤ .
(٣) انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٦٢ ، جمان الدرر ق٤ .
(٤) انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٦٥ .
(٥) _ الجواهر والدرر جـ١ ص٦٥ ، وانظر الديوان ص ١٦٢

أما الخروبي فقد كان ناصحا له حريصا على تعليمه وإفادته فنشأ في كنفه في غاية العفة والصيانة والرياسة وكان يحضره معه مجالس العلم ، ويرسله الى المشايخ للحفظ والدرس ، كما استصحبه في حجه ومجاورته ، فحج وجاور وصلى التراويح إماما في المسجد الحرام سنة ٧٨٥ هـ وهو ابن ١٢ سنة (١) • وظل في كنف وصيه يلقى الرعاية والعناية ، حتى توفى عنه سنة ٧٨٧ هـ •

"وكان الحافظ ابن حجر قد راهق ولم تعرف له صبوة ولم تضبط عنه زلة" (٢) •

وكان قد دخل المكتب عند إكماله خمس سنين من عمره (٣) ، " فممن قرأ عنده في المكتب الشيخ شمس الدين بن العلاف الذى ولى حسبة مصر وقتا وشمس الدين الاطروش ، لكن لم يكمل حفظ القرآن العظيم الا عند فقيهه ومؤدبه الفقيه شارح مختصر التبريزى صدر الدين محمد بن محمد بن عبد الرزاق السفطى المقرىء ، أكمله وله تسع سنين " (٤) •

ولصغر سنه لم يتهيأ له أن يصلّى التراويح في شهر رمضان المبارك ، بالناس إماما كما كان متعارف عليه في زمانه بل خبأت له الاقدار ذلك الشرف ليزداد شرفا على شرف فيؤم المسلمين في أشرف وأفضل بقعة على ظهر الارض ، في المسجد الحرام •

---

(١) - انظر رفع الاصر القسم الاول ص٨٥ ، الجواهر والدرر جـ١ ص٦٣ •
(٢) - الجواهر والدرر جـ١ ص٦٢ •
(٣) انظر رفع الاصر القسم الاول ص٨٥ •
(٤) - الجواهر والدرر جـ١ ص٦٢ •

قال السخاوى :"قلت وفى اتفاق ذلك إشارة الى أنه يصير إمام(١) الدنيا فى عصره"وكان ذلك عام ٧٨٥ هـ عندما أكمل أثنتى عشرة سنة ، وعن ذلك يقول فى إنبائه :"وفيها ـ ٧٨٤هـ ـ حججت مع زكى الدين الخروبى ، وكانت وقفة الجمعة وجاورنا فصليت بالناس فى السنة التى تليها ، وقد كنت ختمت من أول السنة الماضية ، واشتغلت بالإعادة فى هذه السنة فشغلنا أمر الحج الى أن قدر ذلك بمكة ، وكانت فيه الخيرة"(٢) •

طلبه العلم :

وفى اثناء مجاورته تلك السنة فى مكة سمع صحيح البخارى على مسند الحجاز عفيف الدين عبد الله النشاورى(٣) خاتمة أصحاب امام المقام رضى الدين الطبرى ، وهو أول شيخ سمع عليه الحديث(٤) ، وكان سماعه بقراءة الشيخ شمس الدين محمد(٥) بن عمر السلاوى الدمشقى(٦) •

واذا كان الشيخ النشاورى هو أول شيخ سمع عليه ابن حجر الحديث ، فأن القاضى الحافظ جمال الدين أبا حامد محمد

---

(١) ـ نفس المصدر جـ١ ص٦٣ •
(٢) ـ إنباء الغمر جـ٢ ص١٠٠ •
(٣) ـ عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان النشاورى المكى عفيف الدين ، ولد بمكة ٧٠٥ هـ ومات بها ٧٩٠ هـ انظر ترجمته فى الدرر الكامنة جـ٢ ص٣٠١ ، إنباء الغمر جـ٢ ص٣٠٠ ، المجمع المؤسس جـ١ ق١٣٨ •
(٤) ـ انظر الدرر الكامنة جـ٢ ص٣٠١ •
(٥) ـ الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الحريرى الدمشقى المعروف بالسلاوى ٧٣٨ ـ ٨١٣ هـ عالم مفتى درس وتولى القضاء فى القدس وغيرها • أنظر انباء الغمر جـ٦ ص٢٤٤ •
(٦) ـ انظر رفع الاصر القسم الاول ص٨٦ ، انباء الغمر جـ٢ ص٣٠٠ ، جـ٦ ص٢٤٥ ، الجواهر والدرر جـ١ ص٦٣ ، جمان الدرر ق٤ •

ابن عبد الله بن ظهيرة (١) المكى عالم الحجاز هو أول شيخ بحث عليه فى علم الحديث حيث قرأ عليه فى عمدة الأحكام للحافظ عبد الغنى المقدسى ، بمكة ثم كان أول شيخ سمع الحديث بقراءته فى مصر بعد ذلك •

واذا كان الحافظ ابن حجر قد صار من كبار رجال الحديث بل حافظ عصره فانه يمكن القول أن لوصيه زكى الدين الخروبى دورا لاينسى فى ذلك ، بحسن تنشئته له واصطحابه معه فى مجالس العلم وإحضاره فى مجالس الحديث والسماع •

فكان لمجاورته وما حصل له فى البلد الحرام من تقديم فى صلاة التراويح ثم باختلاطه بالعلماء وحضوره مجالس العلم وسماعه الحديث الشريف وبحثه فيه أثر كبير على عقله ونفسيته ، فلما عاد مع وصيه الى مصر سنة ٧٨٦ هـ شمر عن ساعد الجد وأقبل بكل جد ومثابرة على العلم والبحث والتحصيل فقرأ شيئا من العلم على الصدر سليمان بن عبد الناصر الابشيطى(٢) • وحفظ كتبا من مختصرات العلوم كالعمدة والحاوى الصغير ومختصر ابن الحاجب ، والملحة للحريرى ، وغيرها •
وظهرت مقدرته وتجلت مواهبه فى القدرة على الفهم والحفظ والاستيعاب حتى أنه كان يحفظ فى اليوم نصف حزب ، وحفظ سورة

---

(١) - ولد سنة ٧٥١ بمكة ونشأ بها فسمع فيها على الشيخ خليل المالكى ومحمد بن سالم الحضرمى وتفقه على القاضى أبى الفضل بن نويرة والزين العراقى وابى البقاء السبكى لقب عالم الحجاز ، درس وافتى بالمسجد الحرام وولى قضاء مكة ، من مؤلفاته منظومة فى علم الحديث وشرحها توفى بمكة ١٦ رمضان سنة ٨١٧ هـ • انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق١٥٧ ب ، الجواهر والدرر جـ١ ص ٦٤ ، الضوء اللامع جـ٨ ص٩٢ •

(٢) - سليمان بن عبد الناصر بن ابراهيم الابشيطى الفقيه الشافعى أبو داود اشتغل بالعلم والافتاء والتدريس ولد سنة بضع وثلاثين وتوفى سنة ٨١١ هـ ، انظر المجمع المؤسس جـ١ ق١٠٥ ، انباء الغمر جـ٦ ص١١٨ •

مريم فى يوم(١) واحد ، وكان لحافظته القوية وحسن فهمه أثره فى سيره فيما بعد فى طريق علم الحديث ، الذى يحتاج الى ذاكرة قوية وحفظ وفهم ، حتى يتمكن من حفظ الاحاديث ومعرفة رواة الحديث ، واختلاف الأسانيد والروايات وغير ذلك مما يتطلبه هذا العلم من ضبط ودقة ، الامر الذى جعله يسير فى هذا العلم ويتقدم حتى يصبح حافظ زمانه ، وإمام عصره فى هذا العلم ٠

وإذا كان علم الحديث يتطلب ذلك فإن علم التاريخ والأدب لا يقلون عنه تطلبا لمثل تلك المواهب ٠

وقد توافرت كلها فى الحافظ ابن حجر ، فكان له القدح المعلى فى العلمين ، وهذه مؤلفاته التاريخية والادبية خير شاهد على ذلك ٠

وكانت وفاة وصيه زكى الدين الخروبى من الأحداث التى لها أثرها فى حياة الحافظ ابن حجر العلمية ، فعند وفاته سنة ٧٨٧ هـ كان الحافظ ابن حجر فى الرابعة عشرة من عمره ٠

وتخبرنا المصادر أنه بعد هذه الفترة قد حصل له نوع من الفتور وليس الإنقطاع عن طلب العلم ، " وفتر عزمه عن الاشتغال من أجل أنه لم يكن له من يحثه على ذلك ، فلم يشتغل الا بعد استكمال سبع عشرة سنة ، فحفظ من مختصرات العلوم ولازم أحد أوصيائه ، العلامة شمس الدين بن القطان المشار اليه سابقا ، فحضر دروسه فى الفقه واصوله والعربية والحساب وغيرها ، وقرأ عليه شيئا كثيرا من الحاوى الصغير وأجاز

(١) — الجواهر والدرر جـ١ ص ٦٤ ٠

له(١) " ، و " اشتغل بطلب ما غلب على العادة طلبه ، من اصل وفرع ولغة ونحوها(٢) " وسمع من نجم الدين بن رزين(٣) وصلاح الدين الزفتاوى(٤) وزين الدين بن الشيخة(٥) • " ثم حبب اليه النظر فى التواريخ وأيام الناس ، وهو بعد فى المكتب حتى انه كان يستأجرها ممن هى عنده ، فعلق بذهنه الصافى الرائق شيء كثير من أحوال الرواة(٦) " •

ولشيخه بدر الدين البشتكى دوره فى هذا الجانب من ثقافة الحافظ ابن حجر إذ " رغبه فى هذا العلم وأعانه عليه باعارة الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، وغيره(٧) " ، " ونظر فى فنون الأدب من سنة اثنتين وتسعين(٨) ففاق فيها ، حتى كان لا يسمع شعرا الا ويستحضر من أين أخذه الناظم ، وتولع بذلك ومازال يتتبعه خاطره حتى فاق فيه وساد ، وطارح الأدباء وقال الشعر الرائق والنثر الفائق ، ونظم مدائح نبوية ومقاطيع ، وكتب عنه الأئمة من ذلك(٩) " •

حتى كانت سنة ٧٩٦ هـ التى تمثل بداية مرحلة هامة

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص٦٥ •
(٢) - نفس المصدر جـ١ ص٦٥ •
(٣) - العلامة عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن عبد الكريم بن رزين الحموى الأصل القاهرى ولد سنة ٧٠٧ هـ وتوفى سنة ٧٩١ هـ • انظر المجمع المؤسس جـ١ ق١٧٦ ، انباء الغمر جـ٢ ص٣٧١ •
(٤) - محمد ابن محمد بن على بن الجلال الزفتاوى سنة ٧٠٣ - ٧٩٤ هـ سمع فى مصر على ست الوزراء بنت اسعد وغيرها • انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق٦٠ أ •
(٥) - العلامة عبد الرحمن بن احمد بن المبارك ، ولد سنة ٧١٥ هـ وتوفى سنة ٧٩٩ هـ سمع الكثير من مشائخ عصره ، عرف بالعلم والصلاح • انظر المجمع المؤسس جـ١ ق١٣٧ أ إنباء الغمر جـ٣ ص٣٤٧ •
(٦) - ألجواهر والدرر جـ١ ص٦٥ •
(٧) - نفس المصدر جـ١ ص٦٥ •
(٨) - مع أن أول اشتغاله بالعلم فى سنة ٧٨٧ هـ كما ذكره السخاوى فى الجواهر والدرر جـ١ ص٦٥ •
(٩) - المصدر السابق جـ١ ص٦٦ •

من مراحل حياته ، وبداية طريق سلكه حتى بلغ الغاية ٠

فقد حبب الله اليه علم الحديث فأقبل عليه بعزم وإصرار ، وأشار الى ذلك بقوله : " فرفع الحجاب ، وفتح الباب وأقبل العزم المصمم على التحصيل ، ووفق للهداية الى سواء السبيل ، فأخذ عن مشائخ ذلك العصر وقد بقى منهم بقايا وواصل الغدو والرواح الى المشائخ بالبواكر والعشايا "(١) ٠

" واجتمع بحافظ العصر زين الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى فلازمه عشرة أعوام وتخرج به وانتفع بملازمته وقرأ عليه ألفيته ، وشرحها ، والنكت على علوم الحديث لابن الصلاح والكثير من الكتب الكبار ، والأجزاء القصار ، وحمل عنه أماليه جملة مستكثره ، واستملى عليه بعضها ، وهو أول من أذن له فى التدريس فى علوم الحديث وكان ذلك سنة ٧٩٧هـ(٢) " ٠

كما لازم العلامة الشيخ سراج الدين أبى حفص عمر بن رسلان البلقينى والشيخ سراج الدين أبى حفص عمر بن على بن الملقّن وغيره ٠

---

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص٦٧ ٠
(٢) - نفس المصدر جـ١ ص٦٧ ، السخاوى الذيل على رفع الاصر ص ٧٩ ٠

شـــيوخـه :

لقـد كان لدى الحافظ ابن حجر من الطموح وعلو الهمة مـا جعله يـستزيد من العلوم ويكثر من الشيوخ ، حتى زاد عدد شيـوخه على ستمـائة شيـخ ، وجل مـن أخذ عنـهم هم مـن كبار العلماء وجهابذة العصر .

واجتمع له من الشيوخ الذين يشار اليهم ويعول فى حل المـشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره ، لأن كل واحد منهم كان متبحرا وراسا فى فنه الذى اشتهر فيه ، لا يلحق فيه فالتَّـنوخى(١) فى معرفة القراءات وعلو سنده فيها ، والعراقى فى مـعرفة علم الحديـث ومـتـعلقـاتـه ، والهيثمى(٢) فى حفظ المـتـون واستحضارها ، والبلقينى فى سعة الحفظ وكثرة الاطلاع وابـن المـلـقـن فى كثرة التصانيف ، والمجد الشيرازى فى حفظ اللغة واطلاعه عليـها ، والغُمـارى(٣) فى مـعرفة العربيـة ومـتعلقاتها ، وكذا المجد(٤) ابن هشام كان حسن التصرف فيـها

(١) — العلامة ابراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن التـنـوخى البعلى الأصل ثم الشامى نزيل القاهرة ، شيخ الاقـراء ومـسند القاهرة ولد سنة تسع أو عشر وسبعمائة وتـوفى سنـة ثمانمائة . انظر المجمع المؤسس جـ١ ق٣ ، وانباء الغمر جـ٣ ص٣٩٨ ، والدرر الكامنة جـ١ ص١١ .

(٢) — الحافظ على بـن أبى بكر بن سليمان بن أبى بكر بن عمر ابن صالح الهيثمى ، الشيخ نور الدين أبو الحسن ٧٣٥ — ٨٠٧ هـ . أخذ عن الزيـن العراقـى وغيـره مـن مؤلفاته مجمع الزوائد . انظر انباء الغمر جـ٥ ص٢٥٦ ، المجمع المؤسس جـ١ ق١٨٦ .

(٣) — العلامـة النـحوى مـحمد بن محمد بن على بن عبد الرزاق الغمـارى ثم المصرى شمس الدين سنة ٧٢٠ — ٨٠٢ هـ أخذ العربيـة عن أبـى حيـان وغيـره ، كـان عارفا باللغة والعربية كثير المحفوظ للشعر . انظر انباء الغمر جـ٤ ص١٨١ ، المـجمـع المؤسس جـ٢ ق١٤١ ب ، حسن المحاضرة جـ١ ص٥٣٧ .

(٤) — مـحمد بن عبد الله بن يوسف سنة ٧٥٠ — ٧٩٩ هـ قرأ على أبـيه وعلى ابن جماعة وغيرهما . كان اليه المنتهى فى حسن التـعليـم وأوحد عصره فى تـحقـيـق النـحو . انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق٧٥ أ ، انباء الغمر جـ٣ ص٣٥٩ .

لوفور ذكائه ، وكان الغُماري فائقا في حفظها ، والعز بن جماعة (١) في تفننه في علوم كثيرة • بحيث انه كان يقول : أنا أقرىء في خمسة عشر علما ، لا يعرف علماء عصرى أسماءها (٢) •

وأذن له جلهم أو جميعهم كالبلقيني والعراقي ، في الافتاء والتدريس • ومسموعاته ومشائخه كثيرة جدا لاتوصف ولاتدخل تحت الحصر • وقد ترجم لشيوخه في كثير من مصنفاته مثل انباء الغمر ، والدرر الكامنة ، وأفرد ذكرهم في كتابين كبيرين هما : المعجم المفهرس ، وذكر فيه مروياته وغالب شيوخه ، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس : ترجم فيه لشيوخه وذكر مروياته بالسماع أو الاجازة أو الإفادة •

قال : " فجمعت أسامي شيوخي على المعجم مرتبا وقسمتهم على قسمين مهذبا ، فالاول من حملت عنه على طريق الرواية ، والثاني من أخذت عنه شيئا على طريق الدراية وأضفت الى الثاني من أخذت عنه شيئا في المذاكرة من الاقران ونحوهم "(٣) •

كذلك ذكرهم السخاوي في الجواهر والدرر وقسمهم الى ثلاثة أقسام وأوصلهم الى ما يزيد على ستمائة (٤) •

---

(١) - محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم ابن سعد الله بن جماعة ، عز الدين بن شرف الدين • ولد بمدينة ينبع سنة ٧٤٧ هـ وقيل سنة ٧٤٩ وقيل سنة ٧٥٩ هـ وتوفي في مصر سنة ٧٨٩ هـ ، قال عنه الحافظ ابن حجر في الابناء : نشأ مشتغلا بالعلم ومال الى المعقول فأتقنه حتى صار أمة وحده • وله عدة مصنفات منها شرح جمع الجوامع • انظر انباء الغمر جـ٧ ص٢٤٠ المجمع المؤسس جـ٢ ق١٥٢ ب ، الضوء اللامع جـ٧ ص١٧١•

(٢) - الجواهر والدرر جـ١ ص٧٩ - ٨٠ •

(٣) - المجمع المؤسس جـ١ ق٢ •

(٤) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ص١٣٤ - ١٧٧ •

كما ذكرهم صاحب جمان الدرر(١) وغيره ممن ترجم للحافظ بن حجر(٢) .

وفيما يلى أبرز مشائخه :

١- ابن الملقن ٧٢٣ – ٨٠٤ هـ :

الشيخ عمر(٣) بن على بن أحمد بن محمد الأنصارى الأندلسى الأصل ، المصرى نزيل القاهرة ، سراج الدين بن الملقن كان أبوه عالما بالنحو ، أخذ عنه الشيخ جمال(٤) الدين الأسنائى وغيره ، وأما الملقّن فهو زوج أمه ، وكان يلقن الناس القرآن .

سمع على الحافظ أبى الفتح بن سيد الناس ، والحافظ قطب الدين الحلبى وغيره .

كان أكثر أهل عصره تصنيفا شرح المنهاج عدة شروح أكبرها فى ثمان مجلدات وأصغرها فى مجلد ، والتنبيه كذلك

---

(١) – جمان الدرر ق ١٣ – ٢٦ .

(٢) – مثل ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى والسيوطى فى نظم العقيان وابن العماد الحنبلى فى الشذرات والشوكانى فى البدر الطالع ، ومن المعاصرين د. شاكر محمود فى ابن حجر العسقلانى ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده فى كتابه الاصابة ، د. سعيد عبد الرحمن القزقى فى القسم الاول من تحقيق كتاب تعليق التعليق للحافظ ابن حجر وغيره ممن تصدى لتحقيق كتب الحافظ ابن حجر .

(٣) – انظر ترجمته فى أنباء الغمر جـ٥ ص٤١ ، المجمع المؤسس جـ٢ ق٨ ، الضوء اللامع جـ٦ ص١٠٠ ، الامام السيوطى : طبقات الحفاظ ص٥٤٢ ، الامام السيوطى : ذيل طبقات الحفاظ ص٣٦٩ ، ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية جـ٤ ص٤٣ .

(٤) – عبد الرحيم بن الحسن بن على بن عمر سنة ٧٠٤ – ٧٧٢ هـ أخذ عن الجلال القزوينى وأبى حيان وغيرهما اشتغل بالعلم والتدريس والتأليف له شرح المنهاج للنووى وغيره . انظر الدرر الكامنة جـ٢ ص٣٥٤ ، السيوطى بغية الوعاة جـ٢ ص٩٢ .

والحاوى فى مجلدين ، وخرج احاديث الرافعى الكبير فى ست مجلدات وشرح البخارى فى عشرين مجلدا • وقد حدث الشيخ بالكثير وشغل الناس قديما واشتهرت تصانيفه فى الآفاق وقد وصفه الائمة بالحفظ قديما (١) •

قال الحافظ بن حجر : " قرات على الشيخ قطعة كبيرة من شرحه الكبير على المنهاج واجاز لى ، وقرات عليه جزءا فيه السادس والسابع من امالى المخلص بسماعه له على الحافظ ابى الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس ••• وسمعت منه المسلسل بالأولية تخريجه بسماعه من احمد بن كشتغدى ، وغيره (٢) " •

٢ – ابن رسلان ٧٢٤ – ٨٠٥ هـ :

عمر (٣) بن رسلان بن نصير بن صالح ، السراج البلقينى شيخ الاسلام ابن شهاب الدين بن عبد الخالق بن عبد الحق الكنانى البلقينى ، نزيل القاهرة •

حفظ القرآن وله سبع سنين وحفظ المحرر فى الفقه والكافية لابن مالك ، ومختصر ابن الحاجب والشاطبية •

قدم مع ابيه القاهرة وله اثنتى عشرة سنة ، فبهرهم بذكائه وكثرة محفوظاته وسرعة إدراكه ، ثم قدمها سنة ثمان وثلاثين فاستوطنها (٤) •

(١) – المجمع المؤسس جـ٢ ق ١٨ – ١٩ •
(٢) – المجمع المؤسس – جـ٢ ق١٠ أ •
(٣) – انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق٢ ، انباء الغمر جـ٥ ص١٠٧ الضوء اللامع جـ٦ ص٨٥ ، لحظ الالحاظ ص ٢٠٦ ، الداودى طبقات المفسرين جـ٢ ص٣ ، ابن طولون قضاة دمشق ص١٠٩ ابن قاضى شهبة طبقات الشافعية جـ٤ ص٣٦ •
(٤) انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق٢ ، الضوء اللامع جـ٦ ص٨٥ •

أخذ عن ابن عبد الهادى(١) وعن أبى حيان(٢) وغيرهما من مشائخ العصر . " وافتى ودرس وهو شاب وناظر الأكابر وظهرت فضائله ، وبهرت فوائده ، وطار فى الآفاق صيته ...

انتهت اليه الرياسة فى الفقه والمشاركة فى غيره حتى كان لايجتمع به أحد من العلماء الا ويعترف بفضله ، ووفور علمه ، وحدة ذهنه "(٣) .

قال الحافظ بن حجر : " لازمت الشيخ مدة وقرات عليه عدة أجزاء حديثية وسمعت عليه أشياء وحضرت دروسه الفقهية وقرات عليه الكثير من الروضة ومن كلامه فى حواشيها . وكتب لى خطه بالإذن على العادة وقرات عليه كتاب دلائل النبوة للبيهقى ... وقرات عليه المسلسل بالأوليه قبل ذلك وسمعته من لفظه أيضا ... وسمعت عليه جزءا أخرجه له الشيخ ولى الدين ابن العراقى من عواليه ، والأربعين التى خرجتها له عن مشائخه عشرين بالسماع ، وعشرين بالإجازة ، وجزءا فيه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لاسمعيل بن اسحق القاضى ... وقرات عليه جزءا من حديث أبى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى. وقرات عليه من ترجمة طاوس من حديث بن عباس : أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، عن الشهادة ، فقال : " هل ترى الشمس ؟ " الحديث الى قوله فى ترجمة وهب بن منبه : تفرد به الوليد بن الفضل وذلك من حلية الأولياء لأبى نعيم ....

(١) - عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الهادى توفى سنة ٧٧٩ هـ سمع من أبى نصر ابن الشيرازى وغيره . انظر الدرر الكامنة جـ٢ ص٣٢٣ ، انباء الغمر جـ١ ص ٢٥٤ .

(٢) - أبو حيان الامام أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن حيان نحو عصره ولغويه ومقرءه سنة ٦٥٤ - ٧٤٥ هـ .انظر حسن المحاضرة جـ١ ص ٣٤ ، الحسين الدمشقى : ذيل تذكرة الحفاظ ص ٢٣ .

(٣) - انباء الغمر جـ٥ ص١٠٧ .

والجزء التاسع والستين من أمالى الضبى .... وسمعت عليه الكثير من صحيح البخارى ... ومن صحيح مسلم .... وسمعت عليه الكثير من سنن أبى داود(١) " .

أما مصنفاته فانه لم يكمل منها الا القليل ، لأنه كان يشرع فى الشىء ، فلسعة علمه يطول عليه الأمر حتى أنه كتب من شرح البخارى على نحو عشرين حديثا مجلدين(٢) .

ومن مصنفاته محاسن الإصطلاح ، تضمين علوم الحديث لأبن الصلاح وغيرها(٣) .

وقال الحافظ بن حجر عنه : اشتهر اسمه فى الآفاق وبعد صيته الى أن صار يضرب به المثل فى العلم ، ولاتركن النفس الا الى فتواه . وكان موفقا فى الفتوى ، يجلس من بعد صلاة العصر الى الغروب ، يكتب على الفتاوى ، من رأس القلم غالبا ولايأنف إذا أشكل عليه شىء من مراجعة الكتب ولا من تأخير الفتوى عنده الى أن يحقق أمرها .... وكان فيه من قوة الحافظة وشدة الذكاء ما لم يشاهد فى مثله ، وفى شرح ذلك طول . مات فى عاشر ذى القعدة سنة خمس وثمانمائة وله إحدى وثمانون سنة وثلاثة أشهر إلا أياما . وفيه أقول فى مرثيته الطويلة التى أولها :

يا عينُ جودى لفقد البحر بالمطر
أذرى الدموع ولا تُبقى ولا تذرى

وفيها بعد ذكر الشيخ زين الدين العراقى :

---

(١) - المجمع المؤسس جـ٢ ق ٤ - ٦ .
(٢) - انظر الضوء اللامع جـ٦ ص٨٨ .
(٣) - انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق ٣ - ٤ .

لا ينقضى عجبى من وفق عمرهما
العام كالعام حتى الشهر كالشهر
عاشا ثمانين عامًا بعده سنة
وربع عام سوى نقصٍ لمعتبر(١)

٣ — زين الدين العراقى(٢) ٧٢٥ — ٨٠٦ هـ :

عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبى بكر بن ابراهيم ، أبو الفضل ، العراقى ، زين الدين الحافظ الكبير ، ولد فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين ٠

" حفظ التنبيه فى الفقه ، واشتغل بالفقه والقرآن ولازم المشائخ فى الرواية ، وسمع فى غضون ذلك من عبد الرحيم ابن شاهد الجيش وابن عبد الهادى وعلاء الدين التركمانى وقرأ بنفسه على الشيخ شهاب الدين بن البابا(٣) " وغيره ٠

وصنف تخريج أحاديث الإحياء وأكمل مسودته الكبرى قديما ثم بيضه فى نحو نصفه ولم يكمل تبييضه ، ثم اختصره فى مجلد واحد ولم يبيضه وكتبت منه النسخ الكثيرة ٠ وشرع فى اكمال شرح الترمذى لابن سيد الناس ، ونظَم علوم الحديث لابن الصلاح ألفية ، وشرحها وعمل عليه نكتا ، وصنف أشياء أخرى كبارا وصغارا ، وصار المنظور اليه فى هذا الفن من زمن الشيخ جمال الدين الأسناى وهلم جرا ، ولم نر فى هذا الفن أتقن منه، وعليه تخرج غالب أهل عصره ، ومن أخصهم به شيخنا

(١) — المجمع المؤسس جـ٢ ق٤ ٠ وانظر الديوان ص١٣٢
(٢) — انظر المجمع المؤسس جـ١ ق١٦١ ، انباء الغمر جـ٥ ص١٧٠ ، الضوء اللامع جـ٤ ص١٧١ ، شذرات الذهب جـ٧ ص٥٥ ، حسن المحاضرة جـ١ ص٣٦٠ ٠
(٣) — انباء الغمر جـ٥ ص١٧٠ ٠

نور الدين الهيثمى(١) •

" وكان الشيخ منور الشيبة ، جميل الصورة ، كثير الوقار ، نزر الكلام ، طارحا للتكلف ، شديد التوقى فى الطهارة ، لا يعتمد الا على نفسه أو على الشيخ نور الدين الهيثمى ، وكان لطيف المزاج ، سليم الصدر ، كثير الحياء قل أن يواجه أحدا بما يكرهه ، ولو آذاه ، وكان متواضعا•••• حسن النادرة والفكاهة • وقد لازمته مدة فلم أره ترك قيام الليل ، بل صار له كالمألوف(٢) •

وقال فى إنباء الغمر : " لازمت شيخنا عشر سنين تخلل فى أثنائها رحلاتى الى الشام وغيرها ، قرأت عليه كثيرا من المسانيد والأجزاء ، وبحثت عليه شرحه على منظومته ، وغير ذلك ، وشهد لى بالحفظ فى كثير من المواطن "(٣) •

وقال فى المجمع المؤسس : " أول ما اجتمعت به فى سنة ست وثمانين فقرأت عليه شيئا ، ثم فتر العزم الى رمضان سنة ست وتسعين فاجتمعت به بمنزله بجزيرة الفيل ، وحدثنى من لفظه ، بالمسلسل بالأوليه "(٤) •

وقد ذكر فى المجمع المؤسس كثيرا من الكتب التى قرأها عليه وعلى أبى الحسن الهيثمى نذكر منها ما يلى :

* الأربعين العشارية ، عليهما •
* مسند محمد بن يحى بن أبى عمر العدنى ، عليهما •

---

(١) - انباء الغمر جـ٥ ص ١٧٢ •
(٢) - المجمع المؤسس جـ١ ق١٦٢ •
(٣) - انباء الغمر جـ٥ ص ١٧٣ •
(٤) - المجمع المؤسس جـ١ ق١٦٢ •

* كتاب القراءة خلف الإمام للبخارى ، عليهما .
* كتاب رفع اليدين فى الصلاة للبخارى .
* كتاب السنن الكبير من أول الكتاب الى باب جهر الامام بالتأمين .
* كتاب السنن لأبى الحسن على بن عمر الدارقطنى .
* كتاب الشمائل لأبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى .
* قرأ الأول من حديث أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين وغيرها (١) .

وقال الحافظ بن حجر عن وفاته : مات شيخنا عقب خروجه من الحمام فى ثامن شعبان وله احدى وثمانون سنة نظير عمر شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين ، وفى ذلك أقول فى المرثية :

لا ينقضى عجبى من وفق عمرهما
العام كالعام حتى الشهر كالشهر
عاشا ثمانين عاما بعده سنة
وربع عام سوى نقص لمعتبر

والاشارة بذلك الى أنهما لم يكملا الربع بل ينقص أياما وقد ألممت برثائه فى الرائية التى رثيت بها شيخ الاسلام البلقينى وخصصته بمرثية قافية وهى :

مصاب لم ينفس للخناق
أصار الدمع جارًا للمآقى(٢)

---

(١) - انظر المجمع المؤسس جـ١ ق ١٦٣ - ١٧٦ .
(٢) - انباء الغمر جـ٥ ص١٧٢ - ١٧٣ . وانظر الديوان ص٢٣

٤ ـ المجد الفيروزابادى(١) ٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ :

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازى ، الشيخ العلامة مجد الدين ، أبو الطاهر الفيروزابادى ، من أئمة اللغة والأدب .

ولد الشيخ مجد الدين سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكازرون(٢) ، وتفقه ببلاده ، وسمع بها من محمد(٣) بن يوسف الزرندى المدنى ، صحيح البخارى ، وعلى بعض أصحاب الرشيد بن أبى القاسم ، ونظر فى اللغة فكانت جل قصده فى التحصيل ، فمهر فيها الى أن بهر وفاق أقرانه ودخل الديار الشامية بعد الخمسين فسمع بها وظهرت فضائله وكثر الآخذون عنه .

ثم دخل القاهرة ، ثم جال فى البلاد الشمالية والمشرقية ودخل الهند وعاد منها على طريق اليمن قاصدا مكة ودخل زبيد فتلقاه الملك الأشرف إسماعيل بالقبول ، وكان ذلك بعد وفاة جمال الدين الريمى قاضى الأقضية باليمن كله فقرر الأشرف مكانه وبالغ فى اكرامه فاستقرت قدمه بزبيد ، واستمر فى ذلك الى أن مات(٤) .

وله عدة مؤلفات منها : القاموس المحيط ، المغانم المطابة فى معالم طابة ، الدرر الغوالى فى الأحاديث العوالى الجليس الأنيس فى أسماء الخندريس ، الاشارات الى ما فى

(١) ـ انظر انباء الغمر جـ٧ ص١٥٩ ، المجمع المؤسس جـ٢ ق٨٦ ، الضوء اللامع جـ١٠ ص٧٩ ، الجواهر والدرر جـ١ ص٨٧ ، بغية الوعاة جـ١ ص٢٧٣ .
(٢) ـ كازرون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز . (معجم البلدان جـ٤ ص٤٢٩)
(٣) ـ ستأتى ترجمته ضمن المشايخ الذين التقى بهم الحافظ ابن حجر فى الحجاز ص٩٠
(٤) ـ انباء الغمر جـ٧ ص١٦٠ .

كتب الفقه من الأسماء والاماكن واللغات ، تسهيل الوصول الى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول ، الإصعاد الى رتبة الاجتهاد الروض المسلوف فيما له إسمان إلى ألوف(١) .

قال الحافظ بن حجر : " اجتمعت به فى زبيد وفى وادى الخصيب وناولنى جل القاموس ، واذن لى مع المناولة أن أرويه عنه ، وقرأت عليه من حديثه عدة أجزاء ، وسمعت منه المسلسل بالأولية بسماعه من السبكى ، وكتب لى تقريظا على بعض تخريجاتى أبلغ فيه ، وانشدنى لنفسه فى سنة ثمانمائة بزبيد بيتين كتبهما عنه الصلاح الصفدى فى سنة سبع وخمسين بدمشق ، وبين كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة :

أخِلاّنا الأماجِد إنْ رحلنا
ولم ترعوا لنا عهْدًا وإلا
نودّعكم ونودعكُم قلوبًا
لعلّ اللّه يجمعُنا وإلا "(٢)

" وانشدنى من لفظه قال انشدنى جمال الدين ابن نباته لنفسه :

يا معْتِق المذنبين ممّا
خافوا من النّار والمَهالِك
اعتق من المهلكات رقّى
ولا تسلّط علىّ مالِكْ "(٣)

" ومات الشيخ مجد الدين فى ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائه ، وهو ممتع بحواسه ، قد

(١) - انظر الضوء اللامع جـ١٠ ص ٨١ - ٨٢ .
(٢) - إنباء الغمر جـ٧ ص١٦٢ .
(٣) - ألمجمع المؤسّس جـ٢ ق٨٧ أ .

ناهز التسعين "(١) .

٥ - البدر البشتكى(٢) ٧٤٨ - ٨٣٠ هـ :

محمد بن إبراهيم بن محمد ، الدمشقى الأصل البشتكى نزل والده بخانقاه بشتاك الناصرى ، فولد ونشأ بها ، ونسب اليها ، " فنشأ محبًا فى العلم ، وحفظ القرآن وعدة مختصرات وتعانى الأدب فمهر فيه ، ولازم ابن أبى حجلة وابن الصائغ ثم قدم ابن نباته مصر فلازمه وكتب عنه ديوان شعره ، ثم رافق جلال الدين ابن خطيب داريا ، ودخل معه دمشق واجتمع بفضلائها وأخذ عن البهاء السبكى وغيره بالقاهرة وصحب الشيخ بهاء الدين الكازرونى مدة ، ونسخ له كثيرا ، وكان أحد الأفراد فى كثرة النسخ حتى كان ينسخ فى اليوم خمسة كراريس(٣) " .

وله عدة مؤلفات منها : طبقات الشعراء ، ديوان شعر . "واشتغل فى فنون كثيرة وتعانى الأدبيات فمهر فيها ، وقال الشعر الجيد ، ومدح القاضى برهان الدين ابن جماعة وكان يكرمه جدا وكانت له قدرة على اختراع الحكايات والنوادر سمعت بقراءته على ابن الشيحه فى سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين ولازمته بضع سنين وانتفعت بفوائده وكتبه وأدبياته ، وطارحته بأبيات وسمعت منه الكثير من نظمه ، وأجاز لى غير مرة ولأولادى والله يصلحه ويسدده(٤) .

" كانت وفاته فجأة ، دخل الحمام فمات فى الحوض يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة(٥) .

---

(١) - المجمع المؤسس جـ٢ ق٨٥ ب .
(٢) - انظر المجمع المؤسس جـ٦ ق١٦٠ ، انباء الغمر جـ٨ ص١٣٢ ، الضوء اللامع جـ٦ ص٢٧٧ ، حسن المحاضرة جـ١ ص٥٧٣ ، شذرات الذهب جـ٧ ص١٩٥ .
(٣) - انباء الغمر جـ٨ ص١٣٢ .
(٤) - المجمع المؤسس جـ٢ ق٦٠ .
(٥) - إنباء الغمر جـ٨ ص١٣٣ .

رحلاته العلمية :

كانت الرحلة فى طلب العلم سنة متبعة لدى سلف هذه الأمة وبخاصة علماء الحديث ، فاذا تتبعنا سير كثير من الائمة والعلماء نجد أن أكثرهم هجروا أوطانهم طلبا للعلم وبحثا عن الاستزادة منه • وسار الحافظ بن حجر على طريقة سلفه من علماء الحديث ، ضربا فى الأرض طلبا للاستزادة من العلم وأخذا عن المشائخ • وقد توفر لديه من علو الهمة وعالى الطموح ما سهل له الصعب وقرب له البعيد بمشيئة الله فتجشم مشقة الأسفار وقطع البرارى والبحار ، حبا للعلم ورغبة فى الاستزادة من المعرفة ، فلا ينفك قائلا:

وإذ الديار تنكرت سافرت فى
طلب المعارف هاجرًا لديارى
واذا أقمت فمؤنسى كتبى فلا
أنفك طول الدهر فى أسفارى(١)

فتنقل داخل مصر وخارجها ورحل الى الحجاز، واليمن والشام وغيرها من البلاد •

رحلته الى قوص :

رحل سنه ٧٩٣ هـ الى قوص وغيرها من بلاد الصعيد وكانت رحلة أدبية • فقد التقى بعلماء هذه الجهات وأدبائها وسمع من نظمهم ، كما أشار الى ذلك : " وفيها - ٧٩٣ هـ - سافرت الى قوص وغيرها من بلاد الصعيد ولم استفد منها شيئا من المسموعات الحديثية ، بل لقيت جماعة من أهل العلم

(١) - الديوان ص١٦٤ وانظر الجواهر والدرر جـ١ ص٨١ وفيه : أنفك فى الحالين من أسفارى •

منهم ناصر الدين قاضى هو ، وابن السراج قاضى قوص ، وجماعة من أهل الأدب ، سمعنا من نظمهم (١) " .

وقد أنشد كثيرا من الشعر فى رحلته هذه (٢) .

رحلته الى الاسكندرية :

رحل الى الاسكندرية فى أواخر سنة ٧٩٧ هـ فاجتمع بالعلامة محمد بن عبد الرحيم بن عبد الغنى الجزرى(٣) وأخذ عنه وعن مسندها التاج أبى عبد الله محمد (٤) بن أحمد بن عبد الرزاق بن عبد العزيز بن موسى ، الشافعى ، آخر من كان يروى بها حديث السلفى بالسماع المتصل .

وسمع بها أيضا من التاج أحمد (٥) بن محمد بن عبد الله ابن الخراط وغيره .

قال بن حجر : " وفى أواخر هذه السنة ـ ٧٩٧ ـ رحلت الى ثغر الاسكندرية ، فسمعت بها من تقى الدين بن موسى ، آخر من كان بها يروى حديث السلفى بالسماع المتصل ، وسمعت من جماعة من أصحاب ابن الصفى وطبقته ، وأقمت بها الى أن رحلت هذه السنة ودخل فى التى تليها عدة أشهر (٦) " .

ومن نظمه فى هذه الرحلة قوله :

رحلْت الى الاسكندرية مرة
وفارقتُ من أهوى فلازمت تبريحى(٧)

---

(١) ـ انباء الغمر جـ٣ ص٧٧ .
(٢) ـ انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٨١ ـ ٨٣ .
(٣) ـ انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق٧٦ ب .
(٤) ـ انظر نفس المصدر جـ٢ ق٦٨ أ .
(٥) ـ انظر المجمع المؤسس جـ١ ق٦٦ ب .
(٦) ـ انباء الغمر جـ٣ ص٢٥٣ .
(٧) ـ الديوان ص٩٢ أ انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٨٥ .

فلا الرمل فيه كان نجمى طالعا
ولا التذمنى الجسم فى شارع الروح

رحلاته الى الحجاز واليمن :

كانت رحلة الحافظ ابن حجر الى اليمن مرورا بالحجاز هى اول رحلة له خارج مصر فى غير الحج(١) • وكان خروجه من مصر فى شوال سنة ٧٩٩ هـ ، فوصل الطور فى ذى القعدة من نفس العام ، ولقى فيه جمعا من الفضلاء الذين كانوا يقصدون الديار اليمنية •

منهم : العلامة نجم الدين ابو على محمد بن ابى بكر بن على ابن يوسف المصرى ثم المكى المعروف بالمرجانى ، فقرا عليه حديثا • وكذا رافقهما الرضى ابو بكر بن ابى المعالى الزبيدى القحطانى وغيره ، فتزايد الاستئناس وانتشرت الفوائد الأدبية(٢) وغيرها ، ثم خرجوا من الطور عن طريق البحر فى ثالث عشر ذى القعدة فدخلوا ينبع يوم الجمعة ثالث عشر ذى الحجة ، فلقى بها جار الله(٣) بن صالح بن احمد الشيبانى المكى ، فقرا عليه عدة احاديث من الترمذى ، ثم واصلوا رحلتهم فوصل اليمن فى ربيع الأول من سنة ٨٠٠ هـ(٤) •

كما ذكر ذلك فى الإنباء ، فقال : " وفيها توجهت الى اليمن من طريق الطور ، فركبت البحر فى ذى القعدة ، فوصلت

---

(١) - سبقت الاشارة فى انه سبق ان رحل الى الحجاز اكثر من مرة بقصد الحج والمجاورة ، مع والده ثم مع وصيه والتقى بكثير من العلماء وقرا وسمع عليهم •
(٢) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٨٥ - ٨٦ •
(٣) - قال ابن حجر عنه : قرات عليه احاديث من جامع الترمذى بمدينة ينبع وكان خيّرًا عاقلا ، توفى سنة ٨١٥ هـ • انظر المجمع المؤسس جـ١ ق٩٣ ، انباء الغمر جـ٧ ص ٨٤ •
(٤) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٨٦ •

اليها فى السنة المقبلة (١) " .

وقد تجول فى كثير من مدن اليمن وقراها ، والتقى بالعديد من العلماء والأدباء . فلقى بتعز ، وزبيد ، وعدن والمهجم ، ووادى الخصيب وغيرها غير واحد (٢) .

فممن لقيه بتعز : أبو بكر بن محمد بن صالح الجبلى ابن الخياط (٣) ، والعلامة الشرف إسماعيل (٤) بن محمد بن أبى بكر بن المقرى ، صاحب عنوان الشرف الوافى ، ومختصر الحاوى وأحسن السفارة له عند سلطان بلده ، وشهد له الحافظ بن حجر بالذكاء ، فقال : " ما رأيت أذكى منه " (٥) . ولقى الإمام محدث اليمن أبا داود سليمان (٦) بن ابراهيم بن عمر العلوى التعزى الحنفى .

ولقى بزبيد العلامة شيخ اللغويين بلا مدافع القاضى مجد الدين أبا طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادى والموفق على (٧) بن الحسن بن أبى بكر الخزرجى ، المؤرخ .

---

(١) - انباء الغمر جـ٣ ص٣٣٥ .
(٢) - الجواهر والدرر جـ١ ص٨٦ .
(٣) - تفقه بجماعة من ائمة بلده ، اشتغل بالعلم والتدريس وولى القضاء مكرها سنة ٧٤٢ - ٨١١ هـ . انظر انباء الغمر جـ٦ ص١١٧ ، الضوء اللامع جـ١١ ص٧٨ .
(٤) - اسماعيل بن ابى بكر بن المقرىء ، شرف الدين سنة ٧٥٤ - ٨٣٧ هـ . صاحب عنوان الشرف الوافى . قال الحافظ ابن حجر : لقيته بزبيد سنة ثمانمائة ثم لقيته سنة ست وثمانمائة أيضا واستفدت منه الكثير الخ . انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق١١٨ ، انباء الغمر جـ٨ ص٣٠٩ ، البدر الطالع جـ١ ص١٤٢ .
(٥) - الجواهر والدرر جـ١ ص٨٦ .
(٦) - سنة ٧٤٥ - ٨٢٥ هـ سمع من والده والمجد اللغوى وابى الفضل محمد بن أحمد النويرى ، اشتغل بعلم الحديث تدريسا وتأليفا . انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق١٢٤ ب ، انباء الغمر جـ٧ ص٤٧٤ ، الضوء اللامع جـ٣ ص٢٥٩ .
(٧) - قال عنه الحافظ ابن حجر : اشتغل بالأدب والتاريخ وجمع لبلده تاريخا كبيرا اجتمعت به فى زبيد وكتب لى مدحا . توفى فى أواخر سنة ٨١٢ هـ . انظر انباء الغمر جـ٢ ص١٩٠ ، المجمع المؤسس جـ٢ ق١٢٨ ب .

ولقى بالمهجم : القاضى عفيف الدين عبد الله بن محمد الناشرى(١) ، وغيره •

وفى وادى الحصيب : الجمال محمد(٢) بن أبى بكر بن على المصرى •

وفى عدن : الرضى أبا بكر(٣) بن يوسف بن أبى الفتح ابن المستأذن ، وغيره •

فكانت رحلة علمية ، التقى فيها بأبرز العلماء فقرأ عليهم وقرأوا عليه ، وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، واستمدوا من فوائده ، وأن يخرج لهم من مروياته فخرّج من مرويات نفسه الأربعين المهذبة بالأحاديث الملقبة ، خرجها فى يوم واحد وكتب بخطه التقييد ، لابن نقطة فى خمسة أيام ، وفصل الربيع فى فضل البديع ، فى يومين ، وأخذوا عنه مشيخة الفخر بن البخارى ، والمائة العشاريات ، لشيخه التنوخى ، وغير ذلك وحدث بكتاب بن الجزرى ، فى الأدعية المسمى بالحصن الحصين(٤) •

" ورجع من اليمن وقد ازدادت معارفه وانتشرت علومه ولطائفه ، وقد صحب المحمل الذى جهزه الأشرف صاحب اليمن الى مكة بعد أن اجتمع بالملك الأشرف اسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على وكان لما سمع بقدومه الى البلاد اليمنية ، خطبه

---

(١) ـ وادى الحصيب : إسم الوادى الذى منه زبيد باليمن .

(٢) ـ ويعرف بجمال الدين المصرى • توفى سنة ٨٢٠ هـ نشأ بمكة وكان حسن التلاوة شجى الصوت أجاز له خليل بن أيبك الصفدى وغيره ، رحل الى اليمن وعاش فيها • انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق١٥٤ أ •

(٣) ـ انظر انباء الغمر جـ٧ ص١٢٩، الضوء اللامع جـ١١ ص٩٨ •

(٤) ـ انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٨٧ ـ ٨٨ ، جمان الدرر ق ٨ ـ ٩ •

للاجتماع به فى زبيد ، ففعل ذلك ، فأثابه أحسن الإثابة وعامله بما هو جدير به من الإجلال والاحتفال(١) " .

وقد أهداه تذكرته الأدبية بخطه فى أربعين مجلدا(٢).

وامتدحه بعدة قصائد ، يقول فى أول قصيدة امتدحه بها :

صب للقياك بالأشواق معمود
فقيد صبر عن الأحباب مفقود
ناء عن الأهل والأوطان مغترب
وواجد ماله فى الصبر موجود(٣)

وأرسل له قصيدة أخرى من عدن ، مطلعها :

قمر يفوق على البدور الكمل
فى البين لم يجمل عليه تجملى(٤)

ثم أرسل له قصيدة أخرى من عدن أيضا ، مطلعها :

أيا بصرى خالف عيون الفراقد
فذو السهد وجدا لا يكن الف راقد
ويا قلب لا تقبل شهادة لائمى
فما قلت يوما فى هواى بشاهد(٥)

كذلك فقد مدحه فى آخر قصيدته التى أنشدها وهو فى طريقه الى مكة ، مع الركب المجهز ، والتى مطلعها :

---

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص٨٨ - ٨٩ ، وانظر جمان الدرر ق٨أ .
(٢) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٩١ .
(٣) - الديوان ص٩٤
(٤) - نفس المصدر ص٢٤٤
(٥) - نفس المصدر ص٩٨

معذبتى بالصّد مالى ومالها
وما مال قلبى عن هواها ومالها

حتى يقول ....

وخلّد بقاء الأشرف الملك الذى
بدولته الدنيا تديم اختيالها
مليكٌ له فى الخافقيّن مكارمٌ
تمد على راجى نداهُ نوالَها(١)

فوصل الى مكة المشرفة ، وحج فى هذه السنة - ٨٠٠ هـ - وهى حجة الإسلام ، والخامسة له ، فقد سبق له أن جاور مع أبيه ثم مع وصيه(٢) .

رحلته الثانية الى الحجاز واليمن :

خرج من مصر قاصدا الحج(٣) ، فحج سنة ٨٠٥ هـ وجاور بعض سنة ست ثم اتجه الى اليمن(٤) ، فلقى بها كثيرا ممن سبق ذكرهم وكثيرا غيرهم ، فحملوا عنه وحمل عنهم ، وأفادهم واستفاد منهم .

وقد واجه فى رحلته هذه كثيرا من المتاعب والمشاق(٥) فتعرض للنّهب وغرقت سفينته ، وكان من جملة الكتب التى غرقت فى مركبه الذى تصدع مما هو بخطه :
أطراف المزى - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف - وأطراف مسند أحمد بن حنبل ، وأطراف المختارة ، وترتيب مسند الطيالسى

---

(١) - الديوان ص ٣٤٦
(٢) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٨٩ ، ٩٣ ، جمان الدرر ق٩ .
(٣) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٨٩ .
(٤) - انظر نفس المصدر جـ١ ص٩٠ .
(٥) - انظر نفس المصدر جـ١ ص ٨٩ - ٩٠ .

ومسند عبد بن حميد(١) ٠

وقد اجتمع هناك بالملك الناصر احمد بن الأشرف اسماعيل ، ومدحه بقصيدة يشير فيها الى بعض ما لقى من متاعب فى رحلته هذه ، فيقول :

مولاى هل اشتكى ما قد علمت به
أم اكتفى بالذى قد لاح من حالى
٠٠٠٠
وعدت مستنصرًا فى الحادثات بكم
فأنت حاشاك أن ترضى بإهمالى
مال تمزق فى نهب وفى غرقٍ
إن فات مالى سألقى منك آمالى(٢)

ثم اتجه من اليمن الى الحجاز ، قال السخاوى : " حج أيضا فيما أظن(٣) فنزل فى جدة ، وقرأ بها فى هذه السنه – ٨٠٧ هـ – على أبى المعالى عبد الرحمن بن حيدر الشيرازى(٤) : أحاديث عشرة ، انتقاها من أربعين الحاكم ، ثم واصل رحلته الى مصر ٠

ثم عاد الى الحجاز فى سنة ٨١٥ هـ(٥) فحج وقفل عائدا الى مصر ٠

---

(١) – انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٩٠ ٠
(٢) – الديوان ص ٤٩ – ٥٠
(٣) – الجواهر والدرر جـ١ ص٩١ ٠
(٤) – سنة ٧٤٥ – ٨١٧ هـ سمع من أحمد بن محمد الجوخى وغيره قال ابن حجر : لقيته بزبيد فحدثنى عن ست العرب بنت محمد بن الفخر ، ثم لقيته بعدن فحدثنى عن ابن الجوخى وأجاز لى ٠ انظر المجمع المؤسس جـ٢ ق١٢٢ ب ، انباء الغمر جـ٧ ص١٥٦ ٠
(٥) – انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٩١ ، جمان الدرر ق٩ ٠

فلما كانت سنة ٨٢٤ هـ(١) اتجه الى الحجاز فحج حجته الأخيرة ، وانزله قاضى مكة المحب بن ظهيرة ، بالمدرسة الأفضلية وبها سمع على زين الدين عبد الرحمن بن محمد طولوبغا السيفى •

وقد ذكر السخاوى فى الجواهر والدرر عدداً من العلماء الذين لقيهم الحافظ بن حجر فى أثناء رحلاته الى الحجاز فى مكة والمدينة ، وجدة وغيرها من مدن الحجاز(٢) منهم :

البرهان أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن صديق(٣) والعلامة الزين أبوبكر بن الحسين المراغى(٤) وإمام المقام أبو اليمن محمد بن أحمد بن ابراهيم الطبرى(٥) ، وست الكل ابنة الزين أحمد بن محمد القسطلانى(٦) ، والزين عبد الرحمن بن على بن يوسف الزَّرَندِى(٧) ، وآخرون فى المدينة المنورة •

---

(١) ـ انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٩١ ، جمان الدرر ق٩ •
(٢) ـ انظر الجواهر والدرر جـ١ ص٩٢ ـ ٩٣ ، جمان الدرر ق٨ ب •
(٣) ـ سنة ٧١٩ ـ ٨٠٦ هـ سمع من الشيخ تقى الدين بن تيمية وغيره • قال ابن حجر : سمعت منه بمكة وحدث بها بسائر مسموعاته • انظر المجمع المؤسس جـ١ ق٢٨ ب ،انباء الغمر جـ٥ ص١٥٧ •
(٤) ـ
(٥) ـ ولد سنة ٧٣٠ هـ بمكة سمع من العز بن جماعة وغيره اشتغل بالعلم وولى امامة المقام بمكة توفى سنة ٨٠٩هـ انظر المجمع المؤسس جـ ق٦٩ أ ، انباء الغمر جـ٦ ص٤٠ ، الضوء اللامع جـ٦ ص٢٨٧ •
(٦) ـ تعرف ببنت رحمة حدثت بالاجازة عن يحيى فضل الله ويحيى ابن المصرى • قال ابن حجر : سمعت عليها جزأ بمكة ماتت سنة ٨٠٣ هـ بمكة • انظر المجمع المؤسس جـ ق١٠٤ ب ، انباء الغمر جـ٤ ص٢٧٩ ، الضوء اللامع جـ١١ ص٥٧ •
(٧) ـ ولد بالمدينة المنورة سنة ٧٤٦ هـ سمع من العز بن جماعة والزين العراقى ، اشتغل فى الفقه وولى قضاء المدينة المنورة ، توفى سنة ٨١٧ هـ • انظر انباء الغمر جـ٧ ص١٥٦ ، الضوء اللامع جـ٤ ص١٠٥ •

"وفى حجته الأخيرة اجتمع به جمع كبير من علماء مكة وفضلائها ، فأخذوا عنه المسلسل بالأولية ، وبعضا من ترجمة البخارى التى ذكرها فى مقدمة شرحه ، وقصيدته التى مطلعها :

ما دمتُ فى سفن الهوى تجرى بى
لا نافعى عقلى ولا تجريبى(١)

"وحدّث فى هذه الحجة ، فى أيام التشريق بمنى ، بجزء من تصانيفه فى الحج ، وبالأربعين المتباينة ، وتخريج الاربعين النووية ، وغيرها".(٢)

رحلته (٣) الى الشام :

تميزت المراحل الأولى من حياة الحافظ ابن حجر بكثرة الترحال ، فما يؤوب من بلد الا ليرحل الى أخرى فها هو يعود فى سنة ٨٠١ هـ من الحجاز واليمن ، ليرحل فى سنة ٨٠٢ هـ الى الشام ، يصحبه فى هذه الرحلة قريبه الزين شعبان ، والحافظ التقى الفاسى ، فسمع بسرياقوس ، وقطية ، وغزة ، ونابلس والرملة ، وبيت المقدس ، والخليل ، ودمشق ، والصالحية وغيرها من البلاد والقرى كالنّيرب والزعيفرينة ، ما لايوصف ولا يدخل تحت الحصر كثرة ، على أمم كثيرة .

ومن شعره فى هذه الرحلة ، يصف وعورة الطريق :

الى البيت المقدّس حيث أرجو
جِنانَ الخلد نُزلاً من كريم

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص٩٣ ، الديوان ص ١٦
(٢) - الجواهر والدرر جـ١ ص٩٣ ، جمان الدرر ق٩ .
(٣) - الجواهر والدرر جـ١ ص ٩٥ - ١٠٠ ، جمان الدرر ق٩ - ١٠ .

قطعنا في مسافته عقاباً
وما بعد العقاب سوى النّعيم (١)

وكانت مدة إقامته في الشام مائة يوم آخرها أول يوم من المحرم سنة ٨٠٣ هـ(٢) • وكانت رحلة علمية جادة ، حافلة بالقراءة والسماع والتلقي عن المشائخ ، والأخذ والإفادة حتى أنه حصل له في مدة بقائه في دمشق ، ما بين قراءة وسماع المجلدات الضخمة التي زادت على ثلاثين مجلدا ، منها :

من المعجم الأوسط للطبراني ثلاث مجلدات ، ومن الكبير مجلد ، والصغير بتمامه في مجلد ، ومن الدعاء له مجلد ، والمعرفة لابن منده في أربع مجلدات ، والسنن للدارقطني في مجلدين، وغيرها •

هذا وقد علق رضي الله عنه في غضون هذه المدة بخطه من الأجزاء الحديثية ، والفوائد النثرية ، والسماعات التي تلحقها في تصانيفه ونحوها ثمان مجلدات فأكثر(٣) •

وقد أرجع السخاوي الفضل فيما قام به الحافظ ابن حجر من عمل علمي ، لايمكن لغيره أن يقوم به في مثل تلك الفترة الزمنية القصيرة الى عدة أمور ، يسرها الله له منها :

١ـ سرعة القراءة الحسنة :

فقد قرأ السنن لابن ماجه في أربعة مجالس ، وقرأ صحيح مسلم بالمدرسة المنكوتمرية على مسند مصر ، الشرف أبي طاهر محمد بن العز محمد بن الكويك الربعي ، في أربعة

---

(١) ـ الجواهر والدرر جـ١ ص١٠١
(٢) ـ انظر نفس المصدر جـ١ ص١٠١ •
(٣) ـ انظر نفس المصدر جـ١ ص١٠١ ـ ١٠٢ •

مجالس سوى مجلس الختم ، وذلك فى نحو يومين وشىء .

ومن الأمثلة على سرعة قراءته الحسنة ، أنه " قرأ فى رحلته الشامية معجم الطبرانى الصغير فى مجلس واحد ، بين صلاتى الظهر والعصر ، وهذا الكتاب فى مجلد ، يشتمل على نحو من ألف حديث وخمسمائة حديث ، لأنه خرج فيه عن ألف شيخ من كل شيخ حديثا أو حديثين(١) .

٢ - سرعة الكتابة ، مع حسنها :

فانه جود على الشيخ نور الدين على بن عبد الرحمن البدماصى بمكة ، حين مجاورته سنة ٧٨٦ هـ ، ثم على شيخه ، شيخ الكتاب أبى على محمد بن أحمد بن على الزفتاوى ، صاحب منهاج الإصابة فى معرفة الخطوط والإذن فى الكتابة . كما أخذ على غيره من كبار الكتاب فى عصره (٢) .

٣ - الرفاق الذين كانوا عونا له على جمعه وتحصيله (٣) .

٤ - المحافظة على الوقت :

فلم يتردد فى غضون هذه المدة على أحد من رؤساء الشام ولا قضاته ، وشغل وقته بالقراءة والسماع والعبادة والتصنيف والإفادة والاستفادة (٤) .

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ص١٠٣ - ١٠٤ بتصرف .
(٢) - انظر نفس المصدر جـ١ ص١٠٧ .
(٣) - انظر نفس المصدر جـ١ ص١٠٩ .
(٤) - انظر نفس المصدر جـ١ ص١١٠ .

رحلته الى حلب(١) :

أما رحلته الى حلب فإنه هم بالرحيل اليها وهو فى الشام فلما علم بوفاة مسندها عمر بن أيدغمش ، عدل عن السفر اليها ، حتى اذا كانت سنة ٨٣٦ هـ أذن الله برحيله الى حلب ، حين خرج السلطان الأشرف برسباى ، لدفع أذى التركمان الذين تغلبوا على بلاد آمد ، وماردين،يرافقه الخليفة والقضاة الأربعة ومنهم الحافظ ابن حجر ، قاضى الشافعية .

وما كان لرجل مثل الحافظ ابن حجر أن يدع فرصة مثل هذه تفوته دون استفادة ، فمن خلال القراءة عن هذه الرحلة فى الجواهر والدرر يتضح أنه كان حريصا على العلم والافادة والاستفادة من أول يوم خرج فيها من مصر الى أن عاد فكانت رحلة علمية حافلة بالأخذ والسماع والبحث والكتابة " وعلق بخطه فى حال اقامته بالشام وحلب أشياء كثيرة جدا تزيد على مجلدين"(٢) .

وقد جمع ما حصل له من نوادر وفوائد فى رحلته هذه فى كتاب سماه : جلب حلب(٣) .

ومن شعره فى رحلته هذه ، قوله يمدح الخليفة المعتضد العباسى وكان كثير الاكرام له فى طريقه :

---

(١) - انظر عن رحلته هذه الجواهر والدرر جـ١ ص١١٦ - ١٣٣ . جمان الدرر ق١٠ .
(٢) - الجواهر والدرر جـ١ ص١٢٩ .
(٣) - انظر نفس المصدر جـ١ ص١١٧ ، جمان الدرر ق١٠ أ .

يا سيّداً ساد بني الدّنيا فهم
تحت لوائه الكريم المنعقد
أمددتني فضلاً وشكري قاصر
فإذا أردت الشكر مني فاقتصد (١)

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص١٣٣ ،

حياته العملية والوظيفية :

إذا كانت المرحلة الماضية من حياة الحافظ ابن حجر قد تميزت ببذل الجهد فى طلب العلم والتحصيل والسعى للاخذ عن العلماء ورجال الحديث فإن المرحلة التالية من حياته والتى تبدأ بعد بلوغه الثلاثين من عمره ، تميزت بميله الى الاستقرار ورغبته فى العمل ، وبذل العلم وإفادة الطلاب تدريسا وتأليفا .

فتصدى للتدريس والإملاء والمشيخة والإفتاء ، والخطابة ، والقضاء .

١ - التدريس :

كانت المدرسة الشيخونية (١) هى أول (٢) مدرسة يقوم فيها بتدريس الحديث وكان ذلك سنة ٨٠٨ هـ .

ولم تكن هى المدرسة الوحيدة التى درس بها ، بل درس فى مدارس عدة وفى علوم مختلفة .

فمن العلوم التى درسها التفسير : ودرسه (٣) بالمدرسة الحسينية (٤) بالرملة ، وبالقبة المنصورية (٥) .

كما درس الحديث بالخانقاه البيبرسية (٦)

(١) - انظر المقريزى المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٤٢١ ، السيوطى حسن المحاضرة ج٢ ص٢٦٦ .
(٢) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٥ .
(٣) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٤ ، جمان الدرر ق١٧١ ، الضوء اللامع جـ٢ ص٣٨ .
(٤) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٠ .
(٥) - انظر الجواهر والدرر جـ١ الورق١٣٠ ، جمان الدرر ق١٧١ ، الضوء اللامع جـ٢ ص٣٨ .
(٦) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٠ ب ، جمان الدرر ق١٧١ المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٤١٦ .

وبالمدرسة الجمالية المستجدة ، أول ما فتحت فى رجب سنة ٨١١ هـ ولاه ذلك الواقف ، فعقد مجلسا حضره العلماء والاكابر وقد امتدح الواقف بقصيدته التى يقول فى مطلعها :

يا سيّد الأُمراءِ يا كنز النّدى
وعزيز مصر ومن به فخرت حلَبْ
العبد قد وافى ليشكر أنعمًا
وقعت له من جودكم وفق الطَّلب(١)

ودرس الحديث بالجامع الطولونى(٢) ، وبالقبة المنصورية(٣) وتولى الوعظ بجامع الظاهر فى الحسينية .

ودرس الفقه بالشيخونية سنة ٨١١ هـ ، وبالشريفية الفخرية ، وبالكهارية ، وبالمؤيدية أول ما فتحت وبالخروبية ، وبالصالحية ، وبالصلاحية المجاورة للإمام الشافعى .

وقد تميز درسه عن غيره بعدة سمات من مثل الشمول والدقة والإبداع والإستنباط والبحث فى المسائل والنظر فيها وتوضيح ما أبهم وتبيين ما دق من العلوم وخفى على الكثيرين فهمه ، وكان ذلك نتيجة لغزارة علمه وسعة اطلاعه وقوة ذكائه وسرعة إدراكه . هذا مع اتصافه بالتواضع والإنصاف والرجوع إلى الحق ولو على لسان أحد طلابه .

---

(١) - الديوان ق٦، وانظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٥ ، جمان الدرر ق١٧١ ، المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٤٠١ .
(٢) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٠ أ ، المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٢٦٥ .
(٣) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٠ ب .

٢ - الإملاء(١) :

أول ما شرع فيه سنة ٨٠٨ هـ ، أملى كتاب الإمتاع بالاربعين المتباينة بشرط السماع ، من حديثه عن شيوخه ، فى ستة عشر مجلسا بالشيخونية ، وبعضها بمنزله بمصر على شاطىء النيل .

وتوالت املاءآته واستمرت مجالس الإملاء فى مصر أو فى البلاد التى يسافر اليها . فعندما سافر الى الشام بصحبة السلطان الأشرف سنة ٨٣٦ هـ عقد أكثر من مجلس للإملاء فى دمشق وحلب . فأملى بحلب أيضا ستة مجالس باستملاء العلامة القاضى نور الدين على بن سالم الماردينى ، ابتداها يوم الثلاثاء خامس عشر رمضان من السنة وختمها فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى القعدة ، منها . وانشد فيها من نظم القاضى بدر الدين بن جماعة :

أرضَ من اللّه ما يقَدّره
أراد منك المقام أو رحلَكْ
وحيثما كنت ذا رفاهيةٍ
فاسكن فخيْر البلاد ما حمَلكْ

وقال مذيلا على هذين البيتين :

وحسّن الخُلق واستقم ومتى
أَسات أَحْسِن ولا تطل أملك
من يتقى اللّه يؤته فَرجا
ومن عصاه ولا يتوب هلك

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٢٨ أ ، الضوء اللامع جـ١ ص٣٩ ، جمان الدرر ق٧٠ ب / الديوان ص ٢٧٩

"ثم رجع الى وطنه وقد انقطع الإملاء بالقاهرة نصف سنة فشرع فى إملاء تخريج أحاديث الأذكار لولى الله تعالى أبى زكريا النووى"(١) •

وإذا كان قد ابتدأ بعقد مجالس الإملاء فى التاريخ المذكور آنفا فإنه استمر فى عقدها حتى آخر عمره •

قال السخاوى : "وكانت جملة ما أملاه ألف مجلس ومائة وخمسين مجلسا ، فى نحو عشر مجلدات • من حفظه ، مهذبة محررة متقنة كثيرة الفوائد"(٢) •

وكان لهذا المجلس وقاره واحترامه ، وله تقاليده وآدابه من اغتسال وتطيب وإنصات ، وكان يفتتح مجلسه بقراءة سورة الأعلى ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء •

كما كان يختتم الإملاء بالفوائد المتممة والنكت النفيسة وكان كثيرا ما ينشد من شعره ، فى الأمالى المطلقة من مثل قوله :

يـــاربّ ذكـرْنى فقد قدَّرتنى
من يوم مبدأ نشأتى نسَّاءَ
وإذا خطوتُ الى الخَطا فاغفره لى
كرمًا فأنت خلقتنى خطَّاءَ(٣)

وقد تميز مجلس الحافظ ابن حجر بكثرة الحضور من العلماء

---

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ق١٢٨ ب ، وانظر الديوان ص ٥٠
(٢) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٣ ، وانظر جمان الدرر ق٧٠ ب •
(٣) - الديوان ص ٩٥ وانظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٢٩ أ ، جمان الدرر ق ٧٠ ب - ٧١ أ •

والأكابر إلى جانب طلاب العلم فيبلغ عدد من فى المجلس غالبا نحو مائة وخمسين ٠

وقد لوحظ أنه كان يفتتح مجلسه يوم الثلاثاء ويختتمه فى يوم الثلاثاء ٠

" وقد زادت مجالسه على الألف(١) " ٠ وقد أشار الى عددها فى قوله :

يقول راجى إله الخلق أحمد مَن
أملى حديث نبىّ الحقّ مُتَّصِلا
تدنو من الألف إنْ عدت مجالسه
فالسُّدس منها بلا قيْد لها حصلا(٢)

وبوفاة الحافظ ابن حجر انقطع مجلس الإملاء فى مصر ٠

قال الحافظ السيوطى :

" ثم أملى شيخ الاسلام ابن حجر الى أن مات سنة اثنتين وخمسين أكثر من ألف مجلس ، ثم درس تسع عشرة سنة ، فافتتحته أول سنة اثنتين وسبعين ، فأمليت ثمانين مجلسا ثم خمسين أخرى(٣) " ٠

٣ - الافتاء :

ولى إفتاء(٤) دار العدل سنة ٨١١ هـ واستمر فى الإفتاء الى أن مات ٠

---

(١) - الضوء اللامع جـ٢ ص٣٩ ، السخاوى الذيل على رفع الاصر ص٨٦ ، السيوطى تدريب الراوى ص١٣٩ ٠
(٢) - ، وانظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٣ ، جمان الدرر ق١٧١ ٠
(٣) - تدريب الراوى ص١٣٩ ٠
(٤) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٢ ب ، شمس الدين بن عمر السفير مختصر الجواهر والدرر ق١٧٦ ٠

٤ - المشيخة :

وُلِّى مشيخة البيبرسية ونظرها سنة ٨١٣ هـ(١) ثم تحول عنها الى الكاملية سنة ٨٤٩ هـ .

قال الإمام السيوطى : " وولى مشيخة الشيوخ بالبيبرسية ومشيخة الصلاحية ، بجوار مشهد الامام الشافعى رحمه الله تعالى(٢) " .

وَوُلِّى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق واستناب فيها ابن ناصر الدين العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر(٣) ثم استناب فيها القاضى قطب الدين الخيضرى الدمشقى .

٥ - الخطابة :

ولى الخطابة فى الجامع الأزهر سنة ٨١٩ هـ(٤) ، وخطب بجامع عمرو بن العاص سنة ٨٣٨ هـ ، كما خطب بجامع القلعة بالسلطان على جارى عادة قضاة الشافعية . وخطب بالسلطان بجامع بنى أمية فى دمشق سنة ٨٣٦ هـ(٥) .

٦ - خزن الكتب :

ولى خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية سنة ٨٢٦ هـ(٦) وقد كان بهذه المكتبة حوالى أربعة آلاف مجلدة ، من أنفس

---

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٢ ب .
(٢) - نظم العقيان ص٤٦ .
(٣) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣١ ب ، ملخص السفيرى ق١٧٥ أ .
(٤) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٤ أ .
(٥) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٤ ب ، ملخص السفيرى ق١٧٨ أ .
(٦) انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٥ أ .

الكتب ، فقام بتنظيمها وفهرستها ، مما يعكس روح الإخلاص والإصلاح والنظام عنده •

٧ - القضاء :

لما كان منصب القضاء من المناصب التى لاتسند إلا إلى كبار العلماء ، فقد أسند منصب قاضى القضاة الشافعية الى الحافظ ابن حجر من قبل السلطان الأشرف برسباى فى ٢٧ محرم سنة ٨٢٧ هـ(١) • وكانت أول مرة يلى فيها القضاء بعد تهرب منه و امتناع عن قبوله ، ورعا وزهدا وخشية أن يشغله عن استفادة العلم وإفادته •

فقد عرض عليه القاضى صدر الدين المناوى نيابة القضاء عنه فامتنع ، وولاه المؤيد الحكم فى قضية خاصة بين الهروى وخصومه ، وعرض عليه قضاء الشام ، فأبى ، حتى إذا طلب منه القاضى جلال الدين بن البلقينى النيابة عنه وألح عليه فى ذلك وكان بينهما من الود ما اشتهر فقبل بعد تكرير السؤال ثم بعد وفاة جلال الدين البلقينى تولى القضاء ولى الدين العراقى فطلب منه أن ينوب عنه كما ناب عن سلفه فوافق مكرها • ثم بعد ذلك أسند اليه منصب القضاء فى التاريخ المذكور آنفا فقبله رغم عدم رضاه ، بل وندمه على توليه هذا المنصب • قال السخاوى معللا سبب رفض شيخه منصب القضاء وندمه على توليه : " فندم على قبوله وظيفة القضاء لكون أرباب الدولة لايفرقون بين أولى الفضل وغيرهم ، ويبالغون فى اللوم ، حيث ردت إشاراتهم وإن لم يكن على وفق الحق بل

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٨ أ •

يعادون على ذلك ، واحتياج القاضى بسببه إلى مداراة الكبير والصغير ، بحيث لايمكنه مع ذلك القيام بكل ما يرومه على وجه العدل(١) " .

وها هو يخاطب البدر بن سلامة الماردينى ويشير الى ندمه على قبوله منصب القضاء فيقول :

فقد لاح عذرى يا إمام زمانه
وفرقة إلفى علمتنى الهوى العذرى
ورفقة قوم صار ذو الفضل فيهمْ
وأَبناءاهل الجهل سيّان فى القدر
جنيت على نفسى بتقليد امرهم
فلم اَجْنِ ثمرًا بل تحيّرتُ فى امرى(٢)

وقد باشر منصب القضاء بعفة ونزاهة وتواضع زايد واستجلاب لخاطر الصغير والكبير ، وتصميم فى الأمور ، وإحسان للفقراء ، وسعى الى رفع الظلم ومساعدة المحتاج ، والتفريج عن صاحب الضائقة ، مع خبرة ودراية بالأحكام(٣) .

واستمر فى هذا المنصب مُعَرّضا لسخط الحكام تارة ورضاهم اخرى ، مما عرضه للعزل ثم التولية ، مرارا ، على انه قد عزل نفسه اكثر من مرة ، فيعاد الى القضاء . ويتضح من خلال ذلك تعاليه وترفعه ، ثم مواقفه الصادقة والثابتة التى لا تلين ولا تخضع إلا للحق وبالحق .

فهاهو يعزل نفسه عندما اختلف مع سعد الدين الحنفى

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٨ أ .
(٢) - الديوان ص ١٧٨
(٣) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٤١ ب .

فى مجلس السلطان ، فيعيده السلطان فى الحال • وعندما أمر السلطان بضرب المحب أبى البركات الهيثمى وسجنه ، وكان ينوب عن ابن حجر فى قضاء الشافعية ، فيرى أن فى ذلك مساسا بكرامة القضاء فيعزل نفسه ، فلم يسع السلطان إلا أن يطلق السجين ، ويعيده الى منصبه معززا مكرما ثم يولى الحافظ ابن حجر القضاء ثانية •

وهاهو يراسل السلطان الظاهر جقمق فى المحرم سنة ٨٤٩ هـ قائلا : "القاضى جلال الدين البلقينى قتيل ططر والقاضى ولى الدين العراقى قتيل الأشرف برسباى ، وانا قتيلك وأرجو أن يقتص الله للمظلوم من الظالم"(١) •

واستمر فى القضاء إلى أن عزل نفسه آخر مرة فى جمادى الآخرة سنة ٨٥٢ هـ(٢) ، " فأقلع عن المنصب وزهد فيه زهدا تاما ، من كثرة ما توالى عليه من الانكاد والمحن بسببه(٣) " فانصرف عنه ملازما بيته على جارى عادته من الاشتغال بالعلم والعبادة والتصنيف ، وإفادة الطلاب ، حتى وافته المنية فى ٢٨ ذى الحجة سنة ٨٥٢ هـ •

" وكانت مدة ولايته القضاء فى المرات كلها تزيد على إحدى وعشرين سنة بأشهر "(٤) • وقد ذكر عدد مرات توليه القضاء وصرفه عنه كثير ممن ترجم له مثل السخاوى والسيوطى وغيرهما •

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٩ ب •
(٢) - نفس المصدر جـ١ ق١٤١ أ •
(٣) - الذيل على رفع الاصر ص ٨٤ •
(٤) - الجواهر والدرر جـ١ ق١٤١ ب •

تلامذته:

تصدى الحافظ ابن حجر للتدريس فألقى الدروس فى مختلف العلوم ، واقبل عليه محبُّو العلم من داخل مصر وخارجها • وحضر مجلسه الخاصة والعامة والعلماء والطلاب •

وقد تميز درسه بالشمول والدقة ، والبحث فى المسائل والنظر فيها ، وتوضيح ما ابهم ، وتبيين ما دق وخفى على الكثيرين فهمه •

كما عرف عنه سعة اطلاعه الى جانب تواضعه وإنصافه وحبه لطلاب العلم ورفقه بهم (١) •

وكما سبقت الإشارة فقد " املى ما ينيف على الف مجلس من حفظه • واشتهر ذكره وبعد صيته ، وارتحل الائمة اليه وتبجح (٢) الأعيان بالوفود عليه ، وكثرت طلبته حتى كان رؤوس العلماء من كل مذهب من تلامذته • واخذ الناس عنه طبقة بعد اخرى والحق الأبناء بالآباء ، والأحفاد بل وابناءهم بالأجداد (٣) " •

وقد اورد تلميذه العلامة شمس الدين السخاوى (٤) ما يزيد على خمسمائة شخص ممن اخذوا عنه ، مرتبا لهم على حروف المعجم •

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ١ ق١٣٥ ب •
(٢) - تبجح : افتخر • انظر ابن منظور لسان العرب جـ٢ ص٤٠٥ (بجح) •
(٣) - الضوء اللامع جـ٢ ص٣٩ •
(٤) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق ٧٤ ب - ٩٤ ب •

وكذلك فعل ابن خليل الدمشقى فى جمان الدرر فذكر ما يزيد على ثلاثمائة من تلاميذه(١) •

وكما أشارا فلم يكن ذلك بطريق التقصى والإحاطة فما ذكر لايعدو أن يكون بعضا من كل ، وقليلا من كثير • فمازال علماء الحديث ورجاله ، بل وغيرهم من العلماء الى يومنا هذا عالة على ما ترك من تراث علمى ضخم فى مختلف العلوم يقتبسون من علومه ويستمدون من آرائه وأفكاره •

فمن أبرز من تتلمذ له أو سمع منه :

١ - العلامة(٢) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى سنة ٨٣١ - ٩٠٢ هـ ، صاحب الضوء اللامع ، الجواهر والدرر فى ترجمة الحافظ ابن حجر ، شرح ألفية العراقى فى مصطلح الحديث ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ •

٢ - المؤرخ الأديب(٣) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعى سنة ٨٠٩ - ٨٨٥ هـ ، صاحب عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران ، أسواق الأشواق ، الباحة فى علمى الحساب والمساحة ، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، إشعار الواعى بأشعار البقاعى •

٣ - أديب عصره الشيخ تقى الدين أبو بكر على بن حجة الحموى سنة ٧٦٧ - ٨٣٧ هـ ، صاحب خزانة الأدب وغاية الأرب

(١) - انظر جمان الدرر ق ١٢٨ ب - ١٣٦ أ •
(٢) - انظر : الضوء اللامع جـ٨ ص٢ ، بدائع الزهور جـ٣ ص٣٦١ ، شذرات الذهب جـ٨ ص١٥ •
(٣) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق٧٤ ب ، الضوء اللامع جـ١ ص١٠١ ، نظم العقيان ص٥٢٤ ، شذرات الذهب جـ٧ ص٣٣٩ البدر الطالع جـ١ ص١٩ •

ثمرات الأوراق ، كشف اللثام عن التورية والاستخدام (١) •

٤ - المؤرخ العلامة الحافظ محمد (٢) بن أحمد بن علي تقي الدين الفاسي المكي سنة ٧٧٥ - ٨٣٢ هـ ، صاحب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام •

٥ - شيخ أدباء عصره أحمد (٣) بن محمد بن علي بن حسن الشهاب الحجازي سنة ٧٩٠ - ٨٧٥ هـ ، صاحب قلائد النحور من جواهر البحور ، حبيب الحبيب ونديم الكئيب •

٦ - العلامة الأديب اسماعيل (٤) بن محمد بن أبي بكر ابن المقرىء سنة ٧٥٥ - ٨٣٧ هـ ، صاحب عنوان الشرف الوافي •

٧ - المؤرخ العلامة جمال الدين (٥) أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي سنة ٨١٣ - ٨٧٤ هـ ، صاحب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المنهل الصافي والمستوفي

---

(١) - انظر انباء الغمر جـ٨ ص٣١٠ ، الجواهر والدرر جـ٢ ق٧٨ ب ، الضوء اللامع جـ١١ ص٥٣ ، النجوم الزاهرة جـ١٥ ص١٨٩ ، مختصر السفيري ق١٧٤ أ ، شذرات الذهب جـ٧ ص٢١٩ •

(٢) - انظر انباء الغمر جـ٨ ص١٨٧ ، الجواهر والدرر جـ٢ ق٨٦ أ - ٨٦ ب ، الضوء اللامع جـ٧ ص١٨ ، جمان الدرر ق١٢٣ أ ، مختصر السفيري ق١٧٥ أ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي جـ٢ ص٥٨٥ ، ذيل طبقات الحفاظ ص٢٩١ •

(٣) - الجواهر والدرر جـ٢ ق٧٧ ب ، الضوء اللامع جـ٢ ص١٤٧ ، بدائع الزهور جـ٣ ص٥٧ ، نظم العقيان ص٦٣ ، جمان الدرر ق١٣٠ أ •

(٤) - انظر إنباء الغمر جـ٨ ص٣٠٩ ، الجواهر والدرر جـ٢ ق٧٨ ب ، الضوء اللامع جـ٢ ص٢٩٢ ، بغية الوعاة جـ١ ص٤٤٤ ، جمان الدرر ق١٣٠ أ ، مختصر السفيري ق١٧٤ أ ، البدر الطالع جـ١ ص١٤٢ •

(٥) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق٩٤ أ ، الضوء اللامع جـ١٠ ص٣٠٥ ، بدائع الزهور جـ٢ ص١١٨ ، ترجمته لصديقه أحمد بن حسين التركماني في مقدمة النجوم الزاهرة ص٩ شذرات الذهب جـ٧ ص٣١٧ •

بعد الوافى ، حلية الصفات فى الأسماء والصناعات ، البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر ٠

علاقته بمعاصريه :

يتضح من خلال ما كتب عن الحافظ ابن حجر أنه قد جمع بين دقة العلماء وجدهم ، وبين لطافة الشعراء وذوقهم وتحلى بدماثة الأخلاق ولطافتها ، وحسن المعشر ، وكرم الطبع وطيب النفس ، والتواضع ، والإيثار ٠ فأكبره ناظرِه وأحبه معاشره ٠

وكانت علاقته بجل من اتصل بهم من علماء وأدباء عصره علاقة حسنة ، تميزت بالمحبة والتقدير والإفادة والاستفادة ٠

فقد التقى بأكابر العلماء داخل مصر وخارجها ، وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، وكانت له علاقات حسنة بهم وراسل كثيرا منهم وراسلوه ، وجرت بينهم مناقشات ومطارحات وألغاز ٠ وذكروه فى كتبهم ، ونوهوا به فى تراجمهم ، ومدحوه بأشعارهم وهذه آثارهم تخبرنا بما كان يتمتع به من مكانة عالية لديهم ومن إجلال وتبجيل فى أعينهم ، ومحبة وتقدير فى نفوسهم ٠

فممن راسلهم العلامة جمال الدين(١) ابن ظهيرة المكى الذى يقول عنه الحافظ ابن حجر : " أول من بحثت معه الحديث عند مجاورتى بمكة سنة ٧٨٥ هـ وأنا ابن اثنتى عشرة سنة(٢) " وقد قويت العلاقات بينهما وجرت بينهما مراسلات ٠
قال السخاوى : " وكانت مراسلاته ترد على صاحب الترجمة من

---

(١) - انظر انباء الغمر جـ٧ ص١٥٧، الضوء اللامع جـ٨ ص٩٢ ٠
(٢) - المجمع المؤسس جـ٢ ق١٥٧ ب ٠

مكة لمزيد اختصاصه به ، ووثوقه بمحبته وصحبته(١) •

ومنهم تلميذه العلامة النجم عمر بن فهد ، الذى رحل الى مصر والتقى بالحافظ ابن حجر واخذ عنه ، وجرت بينهما مراسلات بعد عودته الى بلده •
كتب اليه الحافظ ابن حجر قائلا : " وقد كثر شوقنا الى مجالستكم وتشوقنا الى متجدداتكم ، ويسرنا ما يبلغنا من اقبالكم على هذا الفن الذى باد حماله وحاد عن السنن المعتبر عما له ••••(٢) " •

والأمثلة على ذلك كثيرة والحديث عنها يطول ومع ذلك فانه لم يسلم من حسد حاسد أو أذى مؤذ • فان من بلغ مثل تلك المنزلة ، وتولى مثل تلك الوظائف ، ووصل الى ما وصل اليه من رفعة وشهرة فى عصره ، لايسلم من مكر الحاقدين ، أو أذى الحاسدين •

غير أنا إذا قسنا ما عاناه الحافظ ابن حجر من ذلك مع ما قاساه غيره من الأئمة وكبار العلماء من هذه الأمة نجده قليلا •

فقد عانى من الحسد ومحاولة انتزاع وظيفته هذه أو تلك ، مثل وشاية الشيخ شمس الدين البرماوى الى السلطان فى شأن المدرسة المؤيدية ، وانتزاع التدريس فيها من الحافظ ابن حجر(٣) ، واتفاق كل من الشيخ شمس الدين محمد بن على القاياتى والقاضى صالح البلقينى على انتزاع مشيخة

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص٢١٦ •
(٢) - الضوء اللامع جـ٦ ص١٢٩ •
(٣) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق١٣١ ب •

البيبرسية منه ، فنقل عائلته ، وحول مجلس إملائه إلى دار الحديث الكاملية (١) •

وإذا كان القاضى البلقينى قد حاول انتزاع منصب القضاء منه ليحل محله ، فقد نافسه فى هذا المنصب كذلك القاضى ولى الدين السفطى ، مستغلا محنة ولده البدر محمد بسبب محاسبة أوقاف جامع ابن طولون(٢) •

وها هو يضرع الى الله شاكيا من أذى حاسده ، معربا عن حاله ، فى القصيدة التى مطلعها :

يا مالكى آمَلى ببابك واقفٌ
والفضل يأْبى أن يكون مضاعا

ومن خلال هذه القصيدة يظهر مدى ما أصابه من حزن وألم يقول فيها :

واليك أشكو من أذَى متحكِّمٍ
قد نوع المكروه لى أنواعا
لم يبد منى قط شىءٌ ساءَهُ
ويَسوءُنى ما يفتريه سَماعا
من غيْبةٍ ونميمة وسعايةٍ
لى بى علَىَّ محرَّمٌ إجماعا (٣)

كما جرت بينه وبين العلامة البدر العينى منافسات واختلافات • وقد حاول العينى أن يرد على بعض المواضع فى فتح البارى • فرد عليه الحافظ بن حجر بكتابه الذى ألفه

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق ١٣٣ أ - ١٣٣ ب •
(٢) - نفس المصدر جـ١ ق١٤٤ أ •
(٣) - نفس المصدر جـ٢ ق١٤٦ أ ، الديوان ص ٣١٢

لهذا الغرض : " انتقاض الاعتراض " ، كما رد عليه بكتاب آخر : " الانتصار على الطاعن المعثار " . كذلك تعقب الحافظ ابن حجر أخطاء العينى فى كتابه الذى جمع فيه سيرة الملك المؤيد شعرا ونثرا . فأحصاه فى كتابه : " قذى العين فى نظم غراب البين " .

" وعند سقوط منارة مسجد المؤيد ، أُلقيت الى الملك المؤيد رقعة كتب فيها :

لجامع مولانا المؤيد رونقٌ
منارته بالحسْن تزهو وبالزَّين
تقول وقد مالتْ علَىَّ ترفقوا
فليس علَى جسْمِى أَضرّ من العيْنِ

فخمن العينى أنها من قول ابن حجر ، ورد عليها بقوله :

منارة كعروس الحسن قد جليت
وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط
وانما هدمها من خسة الحجر(١)

ومع هذا فان المصادر تخبرنا أن الحافظ ابن حجر كان مع حاسديه ، أو الساعين ضده فى غاية التسامح والعفو ومقابلة الاساءة بالاحسان .

---

(١) - الديوان ص ٣١٤ ، الجواهر والدرر جـ٢ ق٤٠ ب .

مكانه بين علماء وأدباء عصره وثناؤهم عليه :

اشتغل الحافظ ابن حجر بعلم الأدب والشعر فى مقتبل حياته ، ثم انصرف بعد ذلك الى علم الحديث ، وأحبه بشغف وأقبل عليه بكليته • فأكثر من المشائخ ، ورحل فى البلاد وجد فى الطلب حتى احتل الصدارة بين علماء عصره ، وأصبح حافظ الديار المصرية بل حافظ الدنيا ، وأمير المؤمنين فى الحديث ، والمعول عليه فى هذا العلم • فشُدّت للأخذ عنه الرحال ، وحضر مجلسه كبار العلماء وعظماء الرجال ، وتهادت مؤلفاته الملوك والأقيال •

وإذا كان قد بلغ مثل تلك المكانة فى المجال العلمى فإن مكانه فى مجال الأدب محفوظ لامساس به ، وإن كان لم يتبوأ فيه مثل تلك المنزلة الرفيعة • فكانت شهرته الأدبية دون شهرته العلمية بكثير • وما عرف واشتهر إلا بعلم الحديث إلا أن الناظر فى ديوانه الذى بين أيدينا يجد فيه من روح الشاعر ، وذوق الناقد ، ولمسات الفنان المقتدر ما يحلّه مكانا لابأس به بين أدباءِ عصره • ولعله لو استمر فى طريق الأدب والشعر لكان فى مقدمة شعراء عصره ، كما أصبح فى مقدمة علماء عصره •

وحسبنا فى تدعيم مكانته العلمية ومكانته الأدبية شهادة كبار العلماء والأدباء سواء كانوا من معاصريه أو الذين أتوا بعدهم •

فمن ذلك شهادة شيخه الحافظ الكبير عبد الرحيم بن الحسين زين الدين العراقى ، حيث كتب على بعض مؤلفاته :

" تـأليف الحافظ المتقن ، الناقد الحجة شهاب الدين أحمد بن علي الشافعي(١) " •

وقال عنه في موضع آخر : " الشيخ العالم الكامل الفاضل الإمام المحدث المفيد المجيد الحافظ المتقن الضابط ، الثقة ، المأمون شهاب الدين أحمد•••• (٢) " •

وقال العلامة النحوي أبو العباس الحنّاوي : " كنت أكتب الإملاء عن شيخنا العراقي ، فإذا جاء ابن حجر ارتج المجلس له • وعند عرض الإملاء قل أن يخلو من إصلاح يقيده ابن حجر(٣) " •

وقال العلامة أصمعي زمانه المجد الفيروزابادي ،فيما قرأه السخاوي على بعض مؤلفات الحافظ ابن حجر : " مخرج هذه الزهرات من الكمام ، ومعير عقود هذه الكلم نسق النظام ومظهر سلسال زلال الفضائل من أشرف حجر ، ومجري الجواري المنشآت في بحر يضل فيه معتبر لمن عبر ، قد ملك من الفضل نصابا ، واطلع في موقع في الحفظ شهابا،وأضهر لأبلغ الثناء استئهالا واستيجابا ••••• ولا غرو فإنه الفاضل الذي فضله لا ينكر ، وتحريره للفضائل واجتهاده فيها قد نطق وأخبر ، وعلى حجر مقامه العالي من بيت الفضل بحجر حجْرِه حجَّرْ(٤) " •

والتمس الشيخ نور الدين ابن سلامة من شيخ الإسلام ولي الدين أبي زرعة العراقي عند حجه سنة ٨٢٢ هـ : " تلقيب قاضي القضاة الشافعي إذ ذاك بالحافظ ، فقال : لا أعلم من

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص٢١٠ •
(٢) - نفس المصدر جـ١ ص٢١٠ •
(٣) - نفس المصدر جـ١ ص٢١٢ •
(٤) - نفس المصدر جـ١ ص٢١٦ •

يستحقها بمكة غير التقى الفاسى ، وبالقاهرة غير ابن حجر ولهما ثالث ، فيقال أنه أراد به نفسه (١) " .

وقال عنه بن الجزرى : " حضرت على العماد ابن كثير وعلى غيره من شيوخ الحافظ العراقى فلم أر فيهم أحفظ من ابن حجر (٢) " .

وقال ابن تغرى بردى عنه : " وكان رحمه الله حافظ المشرق والمغرب أمير المؤمنين فى الحديث ، انتهت اليه رئاسة علم الحديث .... راوية للشعر وأيام من تقدمه وعاصره (٣) " .

ووصفه أديب عصره البدر البشتكى : " بالشيخ الإمام العلامة المحدث الحافظ ، أوحد زمانه وسيد أقرانه ، ذى التصانيف المفيدة والفضائل العديدة ، والحافظة المفرطة المجيدة ، الذى ابتسمت تصانيفه عن شنب الإجادة ، وقضت له صفاته الحسنى بالزيادة ، الفقيه المحدث الشاعر الناظم الناثر ، الأديب المنشىء ، أبى الفضل الملقب بشهاب الدين .... له النظم الرائق والنثر الفائق ، وكتب الخط الحسن طريقة الشيخ جمال الدين محمد ابن نباتة المصرى ، وكتب به الكثير .... وله المدائح الجيدة فى أعيان العصر والمطارحات الحسنة لأهل الأدب .... فلله دره من شاعر ما أعلمه وعالم ما أشعره (٤) " .

قال أبن العماد فى تاريخه (٥) : قال بعضهم كان شاعرا

---

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ص٢٢٣ .
(٢) - نفس المصدر جـ١ ص٢٣١ .
(٣) - المنهل الصافى جـ٢ ص٢٣ .
(٤) - الجواهر والدرر جـ١ ص٢٢٥ .
(٥) - شذرات الذهب جـ٧ ص٢٧١ .

طبعا محدثا صناعة فقيها تكلفا ٠

وقال صاحب لحظ الالحاظ : " وقال الشعر الحسن الذى هو أرق من النسيم وطارح الأدباء(١) ٠

وهذا الأديب الشاعر الشيخ تقى الدين ابن حجة ينشىء بديعية يعارض بها الحلّى(٢) والموصلى(٣) ، فيقرظ عليها الحافظ ابن حجر ، فيعتز ابن حجة بذلك التقريظ ويعتد ويشهد للحافظ ابن حجر بالإمامة فى الأدب فيقول : " وشرفها إمام من أئمة الأدب(٤) " ٠

ولم تكن شهادة أديب عصره ابن حجة الحموى للحافظ ابن حجر بالتقدم بل بالإمامة فى علم الادب هى الشهادة الوحيدة ، بل شهد له بذلك جل علماء وأدباء عصره ٠

وقال عنه المؤرخ الكبير الشيخ تقى الدين المقريزى : " وله شعر أعذب من الماء الزلال ، وأعجب من السحر ، إلا أنه حلال(٥) " ٠

وهذا العلامة التقى أبو بكر ابن قاضى شهبة يقول عنه بعد ذكر مصنفاته : " وله ديوان شعر وهو إمام الأدباء فى زمانه(٦) " ٠

(١) – لحظ الالحاظ ص ٣٢٧ ٠
(٢) – صفى الدين الحلى : ابو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الطائى سنة ٦٧٧ – ٧٥٢ هـ الشاعر المعروف ٠
(٣) – عز الدين الموصلى : على بن الحسين بن على ، له ديوان شعر وبديعية . توفى سنة ٧٨٩ هـ .
(٤) – انظر الجواهر والدرر جـ١ ص ٢٣٢ ٠
(٥) – نفس المصدر جـ١ ص ٢٣٩ ٠
(٦) – نفس المصدر جـ١ ص ٢٤٢ ٠

وقال عنه ابن تغرى بردى : " وتولع بالنظم وقال الشعر الكثير المليح الى الغاية (١) " .

وقال تلميذه العلامة السخاوى بعد ما أورد ثناء الائمة والعلماء عليه : " وقد بان لك بما أوردته من كلامهم أن صاحب الترجمة رحمه الله قد دخل فى طبقات الحفاظ دخولا متعينا ، وكان يدخل فى طبقات الائمة الشافعية ، وقد أدخله فيهم غير واحد ، وفى طبقات أئمة الادب وقد أورده فيهم البدر البشتكى(٢) " .

ويقول الإمام السيوطى عنه بعد ما أورد اسمه ونسبه : " فريد زمانه ، وحامل لواء السُّنَّة فى أوانه ، ذهب هذا العصر ونضاره ، وجوهره الذى ثبت به على كثير من الأعصار فخاره إمام هذا الفن للمقتدين ، ومقدم عساكر المحدثين ، وعمدة الوجود فى التوهية والتصحيح ، وأعظم الشهود والحكام فى بابى التعديل والتجريح ، شهد له بالانفراد خصوصا فى شرح البخارى كل مسلم ، وقضى له كل حاكم بأنه المعلم . له الحفظ الواسع الذى إذا وصفته فحدث عن البحر ابن حجر ولا حرج . والنقد الذى ضاهى به ابن معين فلا يمشى عليه بهرج هرج والتصانيف التى ماشبهتها إلا بالكنوز والمطالب . فمن ثم قيض لها موانع تحول بينها وبين كل طالب . جمل الله به هذا الزمان الاخير ، وأحيا به وبشيخه سنة الإملاء بعد انقطاعه من دهر كثير .... وعنى بالادب والشعر حتى برع فيهما ونظم الكثير فأجاد ، وهو ثانى السبعة الشهب من الشعراء(٣) " .

---

(١) - المنهل الصافى جـ٢ ص١٧ .
(٢) - الجواهر والدرر جـ١ ص٢٦٥ .
(٣) - نظم العقيان ص٤٥ .

وقال صاحب البدر الطالع عنه : " وشهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد والعدو والصديق ، حتى صار إطلاق لفظ الحافظ عليه كلمة إجماع .... وكان للمترجم يد طولى فى الشعر ، قد أورد منه جماعة من الأدباء المصنفين أشياء حسنة جدًا كابن حجة فى شرح البديعية وغيره ، وهم معترفون له بعلو درجته فى ذلك(١) .

(١) - البدر الطالع جـ١ ص٩١ .

من صفاته وأخلاقه :

إذا كانت المحاسن الظاهرة آية المحاسن الباطنة فان الباحث يجد من خلال الاستقراء والرجوع الى المصادر والمراجع أن الحافظ ابن حجر قد جمع بين المحاسن الظاهرة والباطنة الشىء الكثير ، فجمع بين حسن الشكل ، وصباحة الوجه ، وبهاء الطلعة ، وبين كرم الطبع ، وحسن الخُلق ٠

وهذا تلميذه العلامة السخاوى الذى لازمه وعرف عنه ما لم يعرفه غيره ، يذكر تلك المحاسن والصفات فيقول : " كان رحمه الله ربعة ، أبيض اللون ، منور الصورة ، كث اللحية حسن الشيبة ، مليح الشكل ، صحيح السمع والبصر ، ثابت الأسنان نقيها ، صغير الفم قوى البنية ، عالى الهمة ، خفيف المشية ولو عند اقباله على الملوك ونحوهم وقيامهم له بمجرد وقوع بصرهم عليه ، فإنه لايزيد على المعتاد أيضا ، وربما نقم الأعداء عليه ذلك ، ذا رشاقة زائدة ٠٠٠٠ هذا مع سكون ووقار وأبهة وشبات تاركا لما لايعنيه ، طارحا للتكلف ، كثير الصمت الا لضرورة ، شديد الحياء ، لا يواجه أحدا بما يكره مع الصدع بالحق وقوة النفس فيه فاشيا للسلام ما لم يكن قاليا خفيف الوضوء فى تمام ، سريع عقد النية ، بل يعتب على من يتردد فيها ، وكذا من يبالغ فى إخراج الحروف بتقطيع الكلمة ومن يكثر صب الماء فى وضوئه ، لايتأنق فى مأكله ومشربه ، ولا فى آنيته ، بل مهما قدم له عياله من ذلك رضيه ولو كان صائما ، لا يختص عنهم بمزيد أمر لنفسه ، ويأكل العلقة من الطعام واليسير من الغدا ، لكنه كان يتقوى بالسكر ، ويميل الى قصب السكر ميلا قويا ٠٠٠٠ وكذا كان لا يتأنق فى الرفيع

من الثياب ، ومع ذلك فأموره كلها بهجة ، نيِّرة ، إلى الغاية قصير الثياب ، حسن العمة ، طريف العذبة .... وكذا كان لا يتأنق فى ألفاظه بل يعيب على من يتقعر فى كلامه ، قال مرة لمن تكلم معه وأمعن : تكلم معى بالكلام المتعارف ولا تقعَّر(١) " .

" هذا مع ما احتوى عليه من العقل والحكمة والسكون والسياسة والدربة بالأحكام ، ومداراة الناس ، قل أن يخاطب الشخص بما يكره ، بل كان يحسن لمن يسىء إليه ، ويتجاوز عمن قدر عليه . وكان عظيم الحذق لمن ناظره أو حاضره راوية للشعر وأيام من تقدمه وعاصره ، فصيح اللسان ، شجى الصوت هذا مع كثرة الصوم ولزوم العبادة ، واقتفائه طرق من تقدمه من الصلحاء والسادة ، وأوقاته للطلبة مقسمة تقسيما لمن ورد عليه آفاقيا كان أو عنده مقيما ، مع كثرة المطالعة والتأليف والتصدى للإفتاء والتصنيف(٢) " .

وقد ذكرت المصادر كثيرا من صفاته وأخلاقه الحميدة كالصبر والتواضع والورع ، وحرصه على أكل الحلال ، وابتعاده عن كل ما فيه شبهة ، والإحسان إلى من أساء إليه ، والإغضاء عن مؤذيه مع القدرة على الانتقام ، والكرم والبذل والإحسان للغرباء لاسيما أهل الحرمين ، وكثرة أدبه للعلماء المتقدمين والمتأخرين .

وأشارت الى ما تحلى به من دماثة الأخلاق والظرف والدّعابة ، وإنشاده الأشعار الهزلية .

---

(١) - الجواهر والدرر جـ٢ ق ٧٢ أ - ٧٣ ب .
(٢) - المنهل الصافى جـ٢ ص٢٣ .

ومما يدل على ورعه وحرصه على الحلال أنه مع توليه المناصب كالقضاء والفتيا والتدريس وغيره إلا أنه استمر فى مزاولة التجارة الى حين وفاته •

فمن الأمثلة على ورعه وحرصه على الحلال ، وتحريه ذلك فى مأكله ومشربه : أنه لما كان بحلب بصحبة السلطان كان له راتب لحم يؤتى إليه كل يوم ، فكان لا يأكله وكان يشترى له غيره •

وكان يتعفف فيما يلقى عن تقاضى معلوم الخطابة بالقلعة أيام قضائه • ومن ذلك أنه أحضر له عياله شيئاً من الطعام استطابه بناءً على أنه مما جرت عادته بالأكل منه وقبل تمام الأكل ألقى اللّه فى خاطره السؤال عنه ، فذكروا له جهة لا يحب الأكل منها ، فاستدعى بطست ، وقال أفعل كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم تقيأ ما فى بطنه (١) •

قال السخاوى : " وقد رأيته يعطى خادمه الشيخ شمس الدين بن قريش ما يشترى له به شيئا من المأكول ، ويوصيه أن لا يكلف البائع أكثر مما يعطيه باختياره ، وقس على ذلك فى أموره لاسيما نقل العلم وروايته ، فكان غاية فى التحرى فى ذلك • يدلك على هذا أن النجم المرجانى ذكر له أن الجمال إبراهيم بن محمد الأميوطى كان حاضرا ختم الصحيح عند النشاورى ،إذ قرىء عليه ،وأنه أجاز للحاضرين ، قال فلم تطب نفسى من أجل الشك فى حضورى يوم الختم الذى حضر فيه الأميوطى أن أخرج عنه ، وإن غلب على الظن حصول الإجازة لى منه (٢)

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق٥١ ب •
(٢) - الجواهر والدرر جـ٢ ق٥٣ أ •

وكان إذا سئل عما لا يعلم لا يتحرج من اظهار عدم معرفته لذلك الأمر • من ذلك : أن الشيخ مدين رحمه الله سأله عن حديث : " حسنوا نوافلكم فإنها تكمل فرائضكم " ، فقال : يمكن ، ولكن لا أعرفه الآن(١) •
وسأله بعض الحنفية عن عدد من لقى أبو حنيفة رضى الله عنه من الصحابة رضى الله عنهم ، فقال : أنس فقط ، فقال السائل : ان علماءنا بلغوا بهم سبعة أو أربعة عشر ، فقال الحافظ ابن حجر : من يقدر ينازعكم وأنتم أصحاب السيف والرمح والخوذة ، والذى أعرفه هو ما قلته(٢) •

ومن ورعه أنه كان يضم قلامة الأقلام ثم يجعلها فى بطن دواته الى أن تُرْمَى ، لكونه يكتب بها الحديث والعلم ، ويقول على سبيل المماجنة من داس عليها دخل السجن(٣) •

أما الأمثلة على حلمه ومقابلته الإساءة بالإحسان بل وكرمه فكثيرة ، منها : ما ذكره السخاوى من أن أحد الشعراء(٤) بالغ فى هجائه ، فما احتمل أتباعه ومحبوه ذلك لاسيما ولده ، وأمروا بإحضاره ، فأُحضر ، وبلغه ذلك فتغيظ عليهم وأمر بصرفه مكرما بل أنعم عليه بشىء من الدنيا •
قال السخاوى : " وأخبرنى قاضى القضاة شيخ المذهب العز الحنبلى أن المشار اليه أخبره أنه ضبط ما يصل اليه من الحافظ ابن حجر فكان ألف درهم فى كل شهر وكان يقول لست الآن أتردد لمن يحصل منه لى الدنيا والآخرة غيره(٥) " •

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق٥٣ أ •
(٢) - انظر نفس المصدر جـ٢ ق٥٣ أ •
(٣) - انظر نفس المصدر جـ٢ ق٥٣ ب •
(٤) - انظر نفس المصدر جـ٢ ق٥٥ أ •
(٥) - نفس المصدر جـ٢ ق٥٥ أ •

ومن كرمه أنه حضرت إليه امرأة ممن لها عليه نوع تربية وخدمة ، فشكت اليه حالها فأعطاها عشرة الاف درهم وألزمها باعلامها إياه إذا فرغت ليردفها بغيرها(١) .

ومن أمثلة كرم أخلاقه : " أنه بينما هو فى حلقته وعلى طرف بساطه صرة فيها مبلغ كبير من المال ، إذ تقدم اليه شخص ممن له وجاهة فتحدث معه واختلس فى غضون جلوسه معه تلك الصرة ، ظانا أنه فى غفلة عن ذلك ، وقام ، فهم بعض من رآه بالتكلم فأشار اليه الشيخ يمنعه من ذلك . وقال : لولا بلوغ أمر شديد بهذا الرجل ما أقدم على مثل هذا(٢) " .

وأما صبره على الطلبة ، فيكفى فى ذلك ما ذكره السخاوى عنه فى مرض موته حيث إنه مكث مدة وهو لا يُعلم بعض من يقرأ عليه ليلا بذلك مراعاة لخاطره ، وهو يتحمل المشقة فى ذلك ، إلى أن عيّ فأعلمه بلطف(٣) .

أما التواضع فقد كان فى غاية التواضع والأمثلة على ذلك كثيرة ، من ذلك ما ذكره السخاوى قال : " كنت جالسا معه مرة فخدرت رجله فأراد أن يقوم فأشار الىّ أن آخذ بيده ففعلت ، وحرك رجله قليلا ، فوقع فى خاطرى تقبيلها ، فتأثر من ذلك الى الغاية ، وهكذا كان دأبه لم يكن يمكن أحدا من تقبيل يده الا بجهد .

وكان عند إرادة دخول بيته عقب الدرس أو غيره يقف

---

(١) - الجواهر والدرر جـ٢ ق١٦٠ .
(٢) - نفس المصدر جـ٢ ق١٦٢ .
(٣) - انظر نفس المصدر جـ٢ ق١٦٢ .

مع من يقصد الاجتماع به نحو ساعة أو أكثر ، بحيث يمل أصحابه وهو واقف لا يفارقه حتى يكون هو المفارق له"(١) .

ومن أمثلة تواضعه أنه " لم يكن يذكر أحدا من طلبته ولو صغر الا بصاحبنا فلان(٢) " .

وأما أمثلة انبساطه وملاطفته للطلاب وحكاياته لهم فكثيرة ، منها ما ذكره السخاوى قال : " ومن حكاياته اللطيفة التى سمعتها من لفظه ما حكاه لنا عن الشريف البدر النسابة .... أنه كان شيخ البيبرسية وناظرها ، فرافع فيه الصوفية الى السلطان ، فبرز أمره بالتوجه لقاضى الشرع فحضر إليه القاصد ، فاعتذر ابن أخيه بضعفه فلم يقبلوا منه ذلك والزموه بإخراجه ، ومجيئه لمجلس الشرع ، فحملوه ، فلما جاء وقع مغشيا عليه ، فرش عليه ماء الورد فما أفاق ، فقال القاضى لخصومه أنتم تدّعون عليه أنه لا ينفق عليكم ، فهو يعتذر عن ذلك بماذا ؟ فقالوا يدّعى العمارة ، فقال لهم : أليس هو شيخ المكان ؟ قالوا : بلى . فقال لهم أليس شرط الواقف أن يكون الشيخ ناظرا ؟ قالوا : بلى ، فقال لهم : الناظر يتصرف كيف شاء ، ولا حكم لكم عليه . فقام الشريف حينئذ سريعًا ، وقال : بالله يا مولانا قاضى القضاة قل لهم(٣) " .

---

(١) — الجواهر والدرر جـ٢ ق٦٣ ب .
(٢) — نفس المصدر جـ٢ ق٦٤ أ .
(٣) — نفس المصدر جـ٢ ق٦٥ ب .

وفاته ورثاء الشعراء له :

إذا كان الحافظ ابن حجر قد اعتزل القضاء ، الاعتزال الأخير الذى لا رجعة فيه ، مصرحًا بأنه لم يبق فى بدنه شعرة تقبل اسمه(١) • وذلك فى الخامس والعشرين من شهر جمادى الاخرة سنة ٨٥٢ هـ ، أى قبل وفاته بشهور ، فانه قد تفرغ لعلمه وتلاميذه ولزم بيته ، مع ملازمة الجمعة والجماعة والاشتغال بالتصنيف والافتاء والتدريس والاملاء •

فلما كان شهر ذى القعدة من عام ٨٥٢ هـ بدا يعانى من ازدياد الألم والسقم(٢) ، ولكن كان لديه من كبر النفس وقوة الروح وحب العلم ما مكنه من التغلب على معاناته وآلامه بل وإخفاء أمراضه وأسقامه • واستمر يواصل مهامه العلمية كجارى عادته دون أن يشعر به أحد ، حتى أضرَّ به الكتمان كثيرا •

قال السخاوى : " حضر مجلس الإملاء فى حادى عشرة ذى القعدة ورجع الى الحلبية فأقام عندها الى أن تعشى ثم رجع الى منزله ، فقدموا له العشاء فما امتنع من الاكل ، مراعاة لخاطر أهله ، فثقل ذلك عليه بحيث تقيأ وتغير مزاجه ، وأصبح يوم الأربعاء ضعيف الحركة ، فحضر الجماعة للتوجه فى خدمته على العادة ، لجامع طولون ، فما استطاع واستمر مكتوما ، ولا يعلم به كبير أحد ، وهو يطلع إلى المدرسة للصّلوات والاقراء على العادة ، بل حضر مجلس الإملاء فى يوم الثلاثاء خامس عشر ذى القعدة فأملى مجلسًا وهو متوعِّك ، ثم ابتدأ به الوعك وتضرر

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق١٤١ أ •
(٢) - انظر نفس المصدر جـ٢ ق٩٥ ب •

بالكتمان كثيرا ، وخشي الأطباء أن يناولوه مسهّلا لكبر سنه فأُشير بلبن الحليب ، فتناوله ، فلانت طبيعته ، وأدى ذلك الى نشاط يسير ونوع خفة ، ولكن مالبث أن عاد إليه ألم المعدة وعاد إلى كتمان آلامه (١) " ٠

" وفي أواخر مرضه بأيام يسيرة عاده قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري الحنفي ، فسأله عن حاله ، فأنشده من قصيدة للإمام أبي القاسم الزمخشري :

قرب الرّحيل إلى ديار الآخرهْ
فاجعل إلهي خيْر عمري آخره
وارحم مبيْتِي في القُبور ووحدتي
وارحم عظامي حيْن تمسِي ناخره
فأنا المسكين الذي أيامه
ولّت بأوزارٍ غدت متواتره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم
فبحار جودك يا إلهي زاخره (٢) "

وقوي عليه الألم مع دخول شهر ذي الحجة ، فلم يتمكن من صلاة عيد الأضحى ، وصلى الجمعة التي تليها ، ثم بعد الصلاة توجه إلى زوجته الحلبية " فاستعطف خاطرها ، في انقطاعه عنها ، وجاملها واسترضاها ٠

وكان قد استشعر بالوفاة ، بحيث كان إذا أخبر بالمنامات ونحوها مما يدل على رجاء صحته وحصول برئه يقول : أما أنا فلا أُراني إلا في تناقص ، وما أظن الأجل إلا قد قرب

---

(١) - الجواهر والدرر جـ٢ ق٩٥ ب ٠
(٢) - لحظ الالحاظ ص٣٣٩ ٠

ثم يُنشد :

شاء الثلاثين قد أوهت قوى بدنى

فكيف حالى وشاء الثمانينا(١)

ويقول : اللهم حرمتنى عافيتك فلا تحرمنى عفوك(٢) .

وكان كثيرا ما ينشد الأبيات التى تشير إلى معاناته أو توحى باستشعاره قرب رحيله ، مثل قوله :

أشكو الى اللّه ما بى

وما حوته ضلوعى

قد طابق السّقْم جسْمى

بنزلةٍ وطلوعٍ(٣)

وقوله :

يا أيها الشيخ المطيع هواه دعْ

هذى الخلاعة قد أتى داعى الرَّدَى(٤)

فخيوط هذا الشيب لا تنسج بها

ثوب الصبابة فهى ما خُلقت سُدَى

وقوله :

خليلى ولّى العُمْر منّا ولم نتب

وننوى فعال الصالحين ولكنا(٥)

فحتى متى نبنى بيوتا مشيدةً

وأعمارنا منا تُهَدُّ وما تُبنا

---

(١) ـ البيت من قول ابى المكارم ابن عين الدوله :
شاء الثلاثين أحسست الفتور بها
فكيف حالى مع شاء الثمانينا
التبر المسبوك ص ٢٣٤
(٢) ـ الجواهر والدرر جـ٢ ق١٩٦ .
(٣) ـ الديوان ص١٤٦
(٤) ـ نفس المصدر ص١٤١
(٥) ـ نفس المصدر ص٢١٣

" ثم عظم الكرب واشتد الخطب وهرع الناس كبارهم وصغارهم من الأمراء والقضاة والعلماء والمباشرين والطلبة والصلحاء أفواجا ، لعيادته ، واستغاثوا مبتهلين الى الله تعالى فى طلب عافيته ، فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة إشتد مرضه بحيث صار يصلى الفرض جالسا وترك قيام الليل ، وسُمع منه يوم الجمعة عند الاذان لها ، إجابة المؤذن حتى إذا كان بعد العِشاء بنحو ساعة من ليلة السبت ثامن عشر ذى الحجة فارقت روحه الطاهرة ، هذه الدار ، لتعود الى ربها راضية مرضية • فاخذ ولده يوم السبت فى تجهيزه (١) •

" واجتمع فى جنازته خلق كثير ، بحيث ما أظن كبير أحد من سائر الناس تخلف عن شهودها ، وغُلِّقَت الأسواق والدكاكين • ويُقال أنه حُزر من مشى فى جنازته نحو خمسين ألف إنسان (٢) " •

" ورام قاضى القضاة علَم الدين البلقينى الصلاة عليه إماما ، فأخره السلطان ، وأشار إلى أمير المؤمنين الخليفة العباسى بالتقدم ، ويقال انه قال : هو أمير المؤمنين وأنت أمير المؤمنين (٣) " •

ودفن فى تربة بنى الخروبى المقابلة لجامع الديلمى بالقرافة •

وقد صلوا عليه صلاة الغائب فى كثير من البلاد

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق٩٧ أ بتصرف ، وانظر الضوء اللامع جـ٢ ص٤٠ ، التبر المسبوك ص٢٣٣ •
(٢) - الجواهر والدرر جـ٢ ق٩٧ ب ، وانظر جمان الدرر ق١٣٦ ب مختصر السفيرى ق١٧٩ أ •
(٣) - الجواهر والدرر جـ٢ ق٩٨ أ •

الإسلامية ، مثل مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وبيت المقدس ، وغيرها (١) .

ورثاه كثير من العلماء والأدباء ، شعرا ونثرا ، وقد أوردهم السخاوى فى الجواهر والدرر ، مرتبا لهم على حروف المعجم ، كما ذكر بعضا من مراثيه كثير ممن ترجم له (٢) .

فممن رثاه الأديب الشهاب الحجازى ، بقصيدة تزيد على خمسين بيتا مطلعها :

كل البريّة للمنيّة صائره
وقفولها شيئًا فشيئًا سائِره
والنفْس إن رضيتْ بذا ربحت وإنّ
لمْ ترضَ كانت عند ذلك خاسِره

ورثاه تلميذه ، الحافظ برهان الدين البقاعى بقصيدة يقول فيها :

رُزْءُ أَلَمَّ فقلتُ الدَّهر فى وهجِ
وأعقل الناس منْسوبُ إلى الهَوجِ
وللقلوب وجيبُ فى مَراكزِها
يهول فهو بتشقيق الصُّدور حَجِى
وللعيون انهمالٌ كالغَمامِ بكًا
فكل فج به عالٍ من اللجج
يا واحد العصر يا من لا نظير له
إذ كل شخْص من الأمثال فى لجج

(١) - الجواهر والدرر جـ٢ ق٩٨ ب .
(٢) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق ١٠٦ - ١١٢ أ ، التبر المسبوك ص٢٣٣ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٩ ، حسن المحاضرة جـ١ ص٣٦٤ .

يا شيخ الاسلام يا مولًى لقد خضعتْ
غُلْب الرجال لما تبدى من الحجج(١)

ورثاه الشيخ محب الدين ابن القطان ، بقوله :
يا درّة فقدت وكانت فاخرة
في يدّ خير حُولت للاخره
من كل علْم حاز اكثره فَردْ
بحْر الفخار تصل بحارًا زاخره(٢)

وقال زين الدين قاسم ابن قطلوبغا الحنفى :
هذا لعمرى حين ذهاب علم الحديث وانقطاع خبره وزوال طلبه وانطماس اثره ، فقيل لا بل ثم علماء اعلام ، وفقهاء حكام وخلف تلامذة ، ما بين حفاظ متقنين وعلماء متفنين ، فقلت مصرا على الدعوى :

حلف الزمان ليأتين بمثله
حنثت يمينك يا زمان فكفر(٣)

(١) - الجواهر والدرر جـ٢ ق١٠٧ ا ، مختصر السفيرى ق١٨٤ ب ، جمان الدرر ق١٣٩ ا .
(٢) - الجواهر والدرر جـ٢ ق١١٠ ب .
(٣) - نفس المصدر جـ١ ص٢٥٣ .

مصنفاته :

يعتبر الحافظ ابن حجر من العلماء المكثرين فى مجال التأليف .

وقد تميزت مصنفاته كما تميز درسه بالدقة والشمول والتعرض لما يرى أن الحاجة داعية للتعرض لمثله . كذلك فقد كانت له طريقته المثلى فى الجمع والتأليف .

ومن مؤلفاته ما ألفه ابتداءً ، ومنها ما ألفه تلبية لطلب أو جوابا عن سؤال ، ومنها المبتكر ومنها المختصر من كتاب آخر ، ومنها ما توسع فيه ، ومنها ما أوجزه ، ومنها الشروح أو التعليقات أو التخريج أو الملتقطات .

وكان ابتداؤه فى التصنيف فى حدود سنة ست وتسعين وسبعمائة (١) ، فخرّج فى هذا العام المائة العشارية لشيخه برهان الدين أبى إسحاق التنوخى .

واستمر فى التأليف طيلة حياته " فمن تصانيفه ما كمل قبل الممات ، ومنها ما بقى فى المسوّدات ، ومنها ما شرع فيه فيكاد ، ومنها ما سطّر وصلح أن يدخل تحت الأعداد (٢) " .

وقد تناولت مؤلفاته موضوعات متعددة . فألف فى علوم القرآن وعلوم الحديث وشرحه وتخريجه ورجاله ، والأطراف والطرق ، والمناقب ، والمعاجم ، والتراجم ، والفهرسات والعشاريات ، والأربعينيات ، والزوائد والأبدال والموافقات .

---

(١) - انظر الجواهر والدرر جـ٢ ق١٤٩ أ ، ١٥١ ب ، مختصر السفيرى ق٩٥ ب .
(٢) - الجواهر والدرر جـ١ ق١٤٩ أ .

وكتب فى العقائد ، والفقه واصوله ، والتاريخ ، واللغة والأدب ، والشعر •

وكما عهدنا الحافظ ابن حجر متواضعا ، يحب التواضع فى كل شؤنه فها هو يقول عن مؤلفاته : " واكثر ذلك مما لا يساوى نسخة لغيره ، لكن جرى القلم بذلك " • ويقول : " لست راضيا عن شيء من تصانيفى لانى عملتها فى ابتداء الأمر ، ثم لم يتهيأ لى من يحررها معى سوى شرح البخارى ومقدمته والمشتبه ، والتهذيب ، ولسان الميزان " • بل كان يقول فيه لو استقبلت من امرى ما استدبرت لم اتقيد فيه بالذهبى ولجعلته كتابا مبتكرا •

قال السخاوى : ورايته فى موضع اثنى على شرح البخارى والتعليق والنخبه ثم قال - الحافظ ابن حجر - : " اما سائر المجموعات فهى كبيرة العَدد واهية العُدد ضعيفة القوى ظامئة الرّوى(١) " •

وإذا كان هذا راى الحافظ ابن حجر فى مصنفاته تواضعا فإن راى غيره من العلماء كان على عكس ذلك • إذ نالت كتبه من الاستحسان والإعجاب والشهرة الشيء الكثير وبلغت فى ذلك ما لم تبلغه غيرها من مؤلفات عصره • " فانتشرت فى حياته واقرا الكثير منها وتهادتها الملوك وكتبها الاكابر وحدث باكثر مروياته خصوصا المطولات منها(٢) " •

وقال السخاوى : " وزادت تصانيفه التى معظمها فى

(١) - الجواهر والدرر جـ١ ق١٤٩ أ • وانظر البدر الطالع جـ١ ص٨٩ •

(٢) - الذيل على رفع الاصر ص٨٦ • وانظر البدر الطالع جـ١ ص٨٨ •

فنون الحديث ، وفيها فى الأدب والفقه وأصوله وأصول الدين وغير ذلك على مائة وخمسين تصنيفا ، ورزق فيها من القصد والقبول ، خصوصا (فتح البارى بشرح البخارى) ، الذى لم يسبق الى نظيره ، أمرا عجبا بحيث استدعى طلبه ملوك الأطراف بسؤال علمائهم لهم فى ذلك ، وبيع بنحو ثلاثمائة درهم(١) " .

ويقول تقى الدين محمد ابن فهد المكى فى لحظ الالحاظ:
" فألف التآليف المفيدة المليحة الجليلة السائرة ، الشاهدة له بكل فضيلة ، الدالة على غزارة فوائده ، والمعربة عن حسن مقاصده ، جمع فيها فأوعى وفاق أقرانه جنسا ونوعا ، التى تشنفت بسماعها الأسماع وانعقد على كمالها لسان الاجماع فرزق فيها الحظ السامى عن اللمس وسارت بها الركبان سير الشمس ....(٢) " .

بل إن معظم من تعرض لذكر الحافظ ابن حجر أشار إلى مؤلفاته موجزًا مكتفيا بذكر بعضها أو مطوِّلا راغبًا فى الاستقصاء .

منهم تلميذه العلامة السخاوى الذى قال : " وزادت مصنفاته على مائة وخمسين " ، ثم ذكر أسماء بعضها ، وأفرد لها بابا فى الجواهر والدرر فأوصلها إلى ما يزيد على (٢٢٠) مؤلفا .

كما ذكرها ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى ، وابن إياس فى بدائع الزهور ، وابن فهد فى لحظ الالحاظ ،والسيوطى فى حسن المحاضرة ، وفى نظم العقيان فأوصلها فيه الى (١٩٩)

(١) ـ الذيل على رفع الاصر ص٨٠ .
(٢) ـ لحظ الالحاظ ص٣٣٢ .

مؤلفا ، وابن العماد الحنبلي في الشذرات ، والشوكاني في البدر الطالع • والبغدادي في هدية العارفين •

كما ذكرها من المتأخرين عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس ، وجرجي زيدان في آداب اللغة العربية ، وعمر فروخ في تاريخ الأدب العربي ، و د• شاكر محمود في رسالته ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الاصابه • و د• سعيد عبد الرحمن موسى القزقي في القسم الأول من رسالته تحقيق كتاب تغليق التعليق على صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ، وغيرهم ممن تعرض لتحقيق مؤلفات الحافظ ابن حجر •

وسأذكر هنا ما تيسر جمعه من هذه المؤلفات مرتّبا لها على حروف المعجم على النحو التالي :

حرف الألف :

١ ـ الأبدال الصفيات من الثقفيات .
٢ ـ الأبدال العليات من الخلعيات .
٣ ـ إتحاف المهرة بأطراف العشرة .
٤ ـ الإتقان في جمع أحاديث فضائل القرآن .
٥ ـ الإجزاء بأطراف الأجزاء .
٦ ـ الأجوبة الجلية عن الأسئلة الحلبية .
٧ ـ الأجوبة عن أحاديث وقعت في مصابيح السنّة ووُصِفت بالوضع
٨ ـ الأجوبة المشرفة عن الأسئلة المفرقة .
٩ ـ الأجوبة الأينية عن الأسئلة العينية .
١٠ ـ أحاديث أحمد عن الشافعي عن مالك .
١١ ـ الإحكام لبيان ما في القرآن من الإبهام .
١٢ ـ الأربعون حديثًا من الوحدان في مسند أحمد بن حنبل .
١٣ ـ الأربعون العالية لمسلم على البخاري .
١٤ ـ الأربعون المختارة بعوالي شيوخ الإجازة من حديث المراغي .
١٥ ـ الأربعون المنتقاة من عوالي الليث بن سعد .
١٦ ـ الأربعون من مسموع ابن عبد الدائم من الترغيب للتيمي
١٧ ـ الأربعون المهذبة بالأحاديث الملقبة .
١٨ ـ الأربعون الأدبية .
١٩ ـ أرجوزة في وفيات الأعيان للذهبي .
٢٠ ـ أسباب النزول .
٢١ ـ الإستدراك على تخريج أحاديث الإحياء لشيخه العراقي .
٢٢ ـ الإستعداد ليوم المَعاد .
٢٣ ـ الإستنصار على الطاعن المعثار .

٢٤ ـ أسماء ما اشتملت عليه المتباينات ٠

٢٥ ـ الأسمح الأصلح في صحة إمامة غير الأفصح ٠

٢٦ ـ الإسناد إلى الصحابة ٠

٢٧ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ٠

٢٨ ـ أطراف الأحاديث المختارة ٠ للضياء

٢٩ ـ أطراف الصحيحين ٠

٣٠ ـ أطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي ٠

٣١ ـ الإعجاب في تبيان الأسباب ٠

٣٢ ـ الإعلام بمن سُمِّي محمدًا قبل الإسلام ٠

٣٣ ـ الإعلام بمن ولي مصر في الإسلام ٠

٣٤ ـ الإفراد الحسان من مسند الدارمي عبدالله بن عبدالرحمن

٣٥ ـ إفراد مسلم على البخاري ٠

٣٦ ـ إقامة الدلائل على معرفة الأوائل ٠

٣٧ ـ الإكمال ٠

٣٨ ـ التقاط اعتراض ابن عبد الهادي من منتقاه من شرح مسلم للنووي عليه خاصة ٠

٣٩ ـ الإلمام بعوالي شيخ الإسلام البلقيني ٠

٤٠ ـ الأمالي الحديثية ٠ وعدتها ألف مجلس ٠

٤١ ـ الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع ٠

٤٢ ـ الإنارة في أطراف المختارة للضياء ٠

٤٣ ـ إنباء الغمر بأنباء العمر ٠

٤٤ ـ انتقاض الاعتراض (رد فيه على البدر العيني) ٠

٤٥ ـ الأنوار في معرفة خصائص المختار ٠

٤٦ ـ الآيات النيِّرات في معرفة الخوارق والمعجزات ٠

٤٧ ـ الإيثار بمعرفة رجال الآثار ٠

٤٨ ـ الإيضاح بنكت ابن الصلاح ٠

٤٩ ـ الإيناس فى مناقب العباس ٠

حرف الباء :

٥٠ ـ البحث عن أحوال البعث ٠

٥١ ـ بذل الماعون بفضل الطّاعون ٠

٥٢ ـ بسط المبثوث لخبر البرغوث ٠

٥٣ ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام ٠

٥٤ ـ بيان أحوال الرجال الرّواة ، فى هذا الكتاب مما ليس فى تهذيب الكمال ٠

٥٥ ـ بيان الفصل لما رجح فيه الإرسال على الوصل ٠

٥٦ ـ بيان ما أخرجه البخارى عاليًا عن شيخ أخرج ذلك الحديث أحد الأئمة عن واحد عنه ٠

حرف التاء :

٥٧ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٠

٥٨ ـ تبيين العجب فيما ورد فى صوم رجب ٠

٥٩ ـ التّتبع لصفة التمتع ٠

٦٠ ـ تجريد التفسير من صحيح البخارى ٠

٦١ ـ تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة ٠

٦٢ ـ تجريد لحقّ المزّى بالأطراف ٠

٦٣ ـ تجريد الوافى بالوفيات للصّفدى ٠

٦٤ ـ تحرير الميزان ٠

٦٥ ـ تحفة الرائض تخريج حديث تعلموا الفرائض ٠

٦٦ ـ تحفة المستريض بمسئلة المستحيض ٠

٦٧ ـ تخريج أحاديث الأذكار للنووي •

٦٨ ـ تخريج أحاديث شرح التنبيه للزنكلوني •

٦٩ ـ تخريج الأربعين النووية بالأسانيد العلية •

٧٠ ـ تخريج الأحاديث النبوية المنقطعة في السيرة الهشامية •

٧١ ـ تخريج أحاديث مختصر الكفاية •

٧٢ ـ التخريج الواف بآثار الكشاف •

٧٣ ـ التذكرة الحديثة (عشرة أجزاء) •

٧٤ ـ ترتيب طبقات الحفّاظ للذّهبي على حروف المعجم مع الزّيادة على الأصل •

٧٥ ـ ترتيب العلا للدّارقُطني •

٧٦ ـ ترتيب غرائب شُعْبة لابن مَنْده •

٧٧ ـ ترتيب فوائد تمام على الأبواب •

٧٨ ـ ترتيب فوائد سموية على المسانيد •

٧٩ ـ ترتيب أطراف الصحيحين على الأبواب مع المسانيد •

٨٠ ـ ترتيب المبهمات على الأبواب •

٨١ ـ ترتيب المتفق للخطيب •

٨٢ ـ ترتيب مسند الطيالسي •

٨٣ ـ ترتيب مسند عبد بن حميد •

٨٤ ـ ترجمة ابن تيميّة •

٨٥ ـ ترجمة اللّيث بن سعد •

٨٦ ـ تسديد القوس في أطراف مسند الفردوس (وهو مختصر مسند الفردوس للديلمي) •

٨٧ ـ تسمية من عرف ممن أبهم في العمدة •

٨٨ ـ تعجيل المنفعة بزوائد الأئمة الأربعة •

٨٩ ـ التعريج على التدبيج •

٩٠ ـ التعريف الأجود بأوهام من جُمع من رجال المُسنَد ٠

٩١ ـ تعريف أولى التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ٠

٩٢ ـ تعريف الفئة فى معرفة من عاش مائة٠(وسُمى أيضا) : الفوائد العليّة فى معرفة من عاش مائة من الأمة المحمدية ٠

٩٣ ـ تعريف المنهج بترتيب المدرج ٠

٩٤ ـ التعليق على المستدرك ، للحاكم ٠

٩٥ ـ التعليق على الموضوعات ، لابن الجوزى ٠

٩٦ ـ التعليق النافع فى النكت على جمع الجوامع ٠

٩٧ ـ تغليق التعليق ٠

٩٨ ـ تقريب الغريب الواقع فى البخارى ٠

٩٩ ـ التقريب " مختصر تهذيب التهذيب " ٠

١٠٠ ـ تقويم السّناد بمدرج الإسناد ٠

١٠١ ـ تقويم اللسان ٠

١٠٢ ـ تلخيص التصحيف للدارقطنى ٠

١٠٣ ـ تلخيص المتّفِق والمفترق للخطيب ٠

١٠٤ ـ تلخيص درّة التنزيل وعدّة التأويل ٠ لإبراهيم بن على ابن محمد المعروف بابن أبى الفرج الاردستانى ٠

١٠٥ ـ تلخيص زوائد النّبراس للهيثمى ٠

١٠٦ ـ تلخيص مغازى الواقدى ٠

١٠٧ ـ تمهيد العقود الجمّة فى تحديد عقود الأُمّة ٠

١٠٨ ـ التمييز تخريج أحاديث شرح الوجيز ٠

١٠٩ ـ تهذيب التهذيب ٠

١١٠ ـ التوفيق لوصل المبهم من التعليق ٠

حرف الثاء :

١١١ ـ الثبت الحديثى .
١١٢ ـ ثقات الرّجال مما لم يذكر فى تهذيب الكمال .
١١٣ ـ ثنائيات الموطّأ من أسفاره . وعدة أحاديثها مائة واثنان .

حرف الجيم :

١١٤ ـ الجامع الكبير من سنن البشير النذير .
١١٥ ـ جزء فى ضرب الرمل .
١١٦ ـ الجمع بين الصحيحين على الأبواب بالأسانيد والطرق وزيادة المستخرجات .
١١٧ ـ الجواب الجليل الوقعة فيما يُرَدّ على الحسينى وأبى زرعة . (ويسمى أيضا : الرّفعة فيما يردّ على الحسينى وأبى زرعة) .

حرف الخاء :

١١٨ ـ خبر الثّبت بصيام السبت .
١١٩ ـ الخصال المكفِّرة للذنوب المقدمة والمؤخره .
١٢٠ ـ الخصال الموصلة الى الظلال .
١٢١ ـ الخطب القلْعية " ديوان خطب " .
١٢٢ ـ خماسيات الدارقطنى .
١٢٣ ـ الخوارق والمعجزات .

حرف الدال :

١٢٤ ـ الداعى البشير لتخريج أحاديث ابن بشير .

١٢٥ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (ويسمى أيضا الوفيات الكامنة لأعلام المائة الثامنة) .

١٢٦ ـ الدررالمضيئة من فوائد الإسكندرية .

حرف الذال :

١٢٧ ـ ذكر الباقيات الصّالحات .

١٢٨ ـ ذيل التبيان لمنظومة الحفاظ بديعة البيان .

١٢٩ ـ ذيل الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .

١٣٠ ـ الذيل على ما جمعه البشتكى من شعر ابن نباتة المصرى.

١٣١ ـ الذيل على المختلطين للعلاى .

١٣٢ ـ ذيل الميزان .

حرف الراء :

١٣٣ ـ الرحمة الغيثية عن التّرجمة الليثية (ويسمى أيضا مرحمة الغيث بترجمة الليث) .

١٣٤ ـ الرّحا الدائرة على اليمين الدائرة .

١٣٥ ـ ردع المجرم فى الذَّب عن عَرْض المُسْلم .

١٣٦ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر .

حرف الزاى :

١٣٧ ـ زهر الفردوس .

١٣٨ ـ الزهر النضر فى نبأ الخضر .

١٣٩ ـ الزهر المطلول فى بيان الحديث المعلول .

١٤٠ - زوائد الادب المفرد للبخاري على الستة ٠

١٤١ - زوائد ما في الكتب الأربعة السنن على الصحيحين مما هو صحيح ٠

١٤٢ - زوائد مسند أحمد بن منيع ٠

١٤٣ - زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة على الستة وأحمد ٠

١٤٤ - زيادات بعض الموطآت على بعض ٠

حرف السين :

١٤٥ - السبع السيّارة النيّرات (ديوان شعر) ٠

١٤٦ - السّهل المنيع في شواهد البَدِيع ٠

حرف الشين :

١٤٧ - شرح الرّوضة ٠

١٤٨ - شرح ألفيّة العراقي ٠

١٤٩ - شرح مناسك المنهاج ٠

١٥٠ - شفاء الغلل في بيان العِلل ٠

١٥١ - الشِّكاية من النِّكاية (قصيدة نظمها في الهروي) ٠

١٥٢ - الشمس المنيرة في معرفة الكبيرة وتمييزها من الصغيرة ٠

حرف الضاد :

١٥٣ - ضوء الشّهاب ٠ (ديوان شعر)

١٥٤ - ضياء الأنام بعوالي شيخ الإسلام البلقيني ٠

حـرف الطـاء :

١٥٥ ـ طـبقات الحُـفّاظ .

١٥٦ ـ طـرق حديث الأئِـمة من قريش " وبُسمّى لذّة العيش " .

١٥٧ ـ طـرق حديث : احتج آدم وموسى .

١٥٨ ـ طـرق حديث : الأعمال بالنّيات .

١٥٩ ـ طـرق حديث : أولى الناس بى أكثرهم علىَّ صلاة .

١٦٠ ـ طـرق حديث : جابر فى البعير .

١٦١ ـ طـرق حديث : الشيخ على الحصين .

١٦٢ ـ طـرق حديث : الشيخ الهَرِم .

١٦٣ ـ طـرق حديث : الصَّادق المَصْدوق .

١٦٤ ـ طـرق حديث : صلاة التسبيح .

١٦٥ ـ طـرق حديث : غب الزِّيارة .

١٦٦ ـ طـرق حديث : الغُسل يوم الجمعة .

١٦٧ ـ طـرق حديث : قبض العلم .

١٦٨ ـ طـرق حديث : القُضاة ثلاثة .

١٦٩ ـ طـرق حديث : لو أنّ نهرًا بباب أحدكم .

١٧٠ ـ طـرق حديث : مثل أُمّتى مثل المطر .

١٧١ ـ طـرق حديث : المغْفَر (رد به على من قال الصلاح
أن مالك انفرد به)

١٧٢ ـ طـرق حديث : من بنى لله مسجدا .

١٧٣ ـ طـرق حديث : من صلى على جنازة فله قيراط .

١٧٤ ـ طـرق حديث : نضّر الله امرءًا .

١٧٥ ـ طـرق حديث : يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة .

حرف العين :

١٧٦ ـ العجاب فى تخريج ما يقول فيه الترمذى .

١٧٧ ـ عجب الدهر فى فتاوى شهر (يشتمل على ثلاثمائة مسألة اجاب عنها فى مدة شهر) .

١٧٨ ـ العشارية الستين المكمل ما بدا بالأربعين العشاريات.

١٧٩ ـ العشرة العشارية .

١٨٠ ـ عشاريات الصحابة .

١٨١ ـ علم الوشى فيمن يروى عن أبيه عن جدّه .

١٨٢ ـ عوالى البخارى .

١٨٣ ـ عين القواعد " مختصر قواعد الإعراب لابن هشام " .

حرف الغين :

١٨٤ ـ غبطة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر .

١٨٥ ـ الغنية فى الرؤية .

حرف الفاء :

١٨٦ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى .

١٨٧ ـ الفوائد المجموعة بأطراف الأجزاء المسموعة .

١٨٨ ـ فوائد الاحتفال فى بيان أحوال الرّجال المذكورين فى البخارى ، زيادة على ما فى تهذيب الكمال . وسمّاه أيضا الاعلام بمن ذكر فى البخارى من الأعلام .

١٨٩ ـ فهرسة كتب المحمودية .

١٩٠ ـ فهرسة المرويّات .

٢٠٨ - مختصر البداية والنهاية لابن كثير ٠
٢٠٩ - مختصر الترغيب والترهيب للمنذرى ٠
٢١٠ - مختصر التنبيه ٠ (لم يكمل)
٢١١ - مختصر تلبيس إبليس لابن الجوزى ٠
٢١٢ - المخرَّج من المدبَّج ٠ (ويسمى أيضا الأفنان فى رواية الأقران)
٢١٣ - مزيد النَّفع بمعرفة ما رجح فيه الوقف على الرَّفع ٠
٢١٤ - مسألة السُّريجية ٠ (لم يكمل)
٢١٥ - مسامر السَّاهر ومساهر السامر " التذكرة الأدبية وتقع فى أربعين مجلدا "
٢١٦ - مسند أحمد ٠
٢١٧ - المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلى ٠
٢١٨ - مشيخة أبى طاهر بن أتاوبك، الذين أجازوا له ٠
٢١٩ - المشيخة الباسمة للقبّابى وفاطمة ٠
٢٢٠ - المطالب العاليه بزوائد المسانيد الثمانية ٠
٢٢١ - معانى التأسيس بمعالى ابن إدريس (ويُسمَّى أيضا توالى التأسيس)
٢٢٢ - معجم التنوخى ٠ (٢٤ جزء عن أكثر من ٤٠٠ شيخ بالسماع والإجازة)
٢٢٣ - معجم الحُرَّة مريم ٠
٢٢٤ - المعْجم المفَهْرس ٠
٢٢٥ - المقاصد العليَّات فى فهرسة المروِيَّات ٠"فهرسة نفسه"
٢٢٦ - مقدمة فى العروض ٠
٢٢٧ - المقَرَّر فى شرح المحرر ٠ لابن عبد الهادى (لم يكمل)
٢٢٨ - المُلْتقَط من التلقيح فى شرح الجامع الصحيح ٠

٢٢٩ - المُمْتِع بحكم المتمتِّع .
٢٣٠ - مناسك الحج .
٢٣١ - منتخب رحلة ابن رشد .
٢٣٢ - المنتخب من زوائد البَزّار على الكتب السّتة .
٢٣٣ - المنتخب من كتاب الأدب .
٢٣٤ - منتخب من كتاب المسلاة لأبى حيان .
٢٣٥ - منتقى من تاريخ ابن خلدون .
٢٣٦ - منتقى من تاريخ ابن عساكر .
٢٣٧ - منتقى من معجم السبكى .
٢٣٨ - المنحة فيما علّق الشافعى القول به على الصِّحة .
٢٣٩ - منظوم الدُّرر . (الديوان)
٢٤٠ - المهمل من شيوخ البخارى .
٢٤١ - الموافقات الحِسَان من مسند الدارمِى عن عبد الرحمن .
٢٤٢ - موافقة الخُبْر الخَبَر فى تخريج أحاديث المختصر .
٢٤٣ - المؤتمن فى جمع السُّنن (وسمّاه أيضا الجامع الكبير من سنن البشير النذير)

حرف النون :

٢٤٤ - النَّبأ الأنبه فى بِنَاء الكعبة .
٢٤٥ - النُّخب الجليلة من الخطب الجزيلة " ديوان خطب "
٢٤٦ - نُخْبة الفِكَر فى مصطلح أهل الأثر .
٢٤٧ - نزهة الألباب فى الألقاب .
٢٤٨ - نزهة السّامعين فى رواية الصحابة عن التابعين .
٢٤٩ - نزهة القلوب فى معرفة المُبْدَل والمقلوب . (ويسمّى أيضا جلاء القلوب فى معرفة المبْدل والمقلوب)

٢٥٠ - نزهة الناظر والسّامع فى طرق حديث الصّائم المجامع .

٢٥١ - نزهة النّظَر فى توضيح نخبة الفِكَر .

٢٥٢ - نصْب الرّاية فى منتخب تخريج أحاديث الهِداية .
(ويسمّى أيضًا الدِّراية فى تخريج أحاديث الهداية)

٢٥٣ - نَظْم اللآلى بالمائة العَوالِى . " المائة العشاريات للتّنوخى " وهى أول ما أخرجها سنة ٧٩٦ هـ

٢٥٤ - النكت الظِّراف على الأطراف .(ويسمّى أيضا الاعتراف بأوهام الأطراف)

٢٥٥ - النُّكَت على الألفيّة للعراقى .

٢٥٦ - النكت على تنقيح الزّركشى على البخارى .

٢٥٧ - النكت على جمْع الجوامِع لابن السّبكى .

٢٥٨ - النكت على شرح مسلم للنّووى .

٢٥٩ - النكت على شرح المهذّب للنّووى .

٢٦٠ - النكت على نكت العمدة لابن عبد الهادى .

حرف الهاء :

٢٦١ - هداية الرّواة الى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة (لخصه من كتاب شيخه الصّدر المناوى) .

٢٦٢ - هَدْى السّارى مقدّمة فتح البارى .

حرف الواو :

٢٦٣ - الوقوف على ما فى صحيح مسلم من الموقوف .

الفصل الثالث

شعر الحافظ ابن حجر

١ ـ اغراضه الشعرية .

٢ ـ المؤثرات في شعره .

٣ ـ الخصائص الفنية في شعره .

٤ ـ الأصالة والتقليد .

أغراضه الشعريه :

إذا كان الحافظ ابن حجر قد أشار في مقدمة ديوانه "السبع السّيارات النيّرات" المنتخب من الديوان الكبير منظوم الدرر -الذي بين أيدينا - إلى أغراضه الشعريه فيه فقال : وقد سُئلت غير مرة أن أجرّد من منظومي طرفًا مهذّبا وان أفرد من مقاطيعي التي تلهي عن المواصيل ما كان منها مرقِّصًا ومُطرِبا فكتبت في هذه الاوراق سبعة أنواع من كل نوع سبعة أشياء إلا الأخير منها فافتتحت بالنبويات،ثم الملوكيات،ثم الإخوانيات،ثم الغزليات ثم الاغراض المختلفة،ثم الموشّحات،ثم المقاطيع •

ومن خلال الديوان نجد أنه طرق كثيرًا من الأغراض الشعريه التى نظم فيها الشعراء السابقون له والمعاصرون وهي أغراض المديح ، والرّثاء ، والغزل والوصف ، والشكوى ، والإعتذار والهجاء ، والعتاب والتهاني • على أننا نجد في شعره كذلك الفكاهة واللغز إلى جانب الموعظة والحكمة • ونجد الشعر الناقد والساخر ، كما نجد من التقريظات والاستفتاءات والاسئلة والاستدعاءات ، ما يذكرنا بمكانته العلميه ، ومهنته في القضاء والإفتاء • ونجد في الديوان القصيدة الطويلة التي تزيد علي مائة بيت ، كما نجد المقطوعة القصيرة التي لا تزيد علي بيتين.وإذا كانت أبيات الديوان المنتخب - السبع السيارات - تبلغ قرابة ثمانمائة والف بيت فان ابيات الديوان الكبير (منظوم الدرر) تبلغ تسعة وثمانين وتسعمائة وثلاثة آلاف بيت •

ويشتمل علي ثمان ومائة قصيدة وثلاث وثمانين واربعمائة مقطوعة وسبع موشحات وزجل واحد وعشر أبيات من

الدوبيت .

ويحتل المدح والغزل والإخوانيات والرّثاء جزءًا كبيرًا من الديوان . فأبيات الغزل تزيد على ثمانية وخمسين وسبعمائة بيتًا . وأبيات المدح تبلغ سبعة وعشرين والف بيت . اثنان وخمسون وثلاثمائة بيت فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم . والاخوانيات تزيد ابياتها على ثمانية وخمسمائة بيت . ويقع الرثاء فى ثلاثة ومائتى بيت . وتوزعت الاغراض الاخرى فى الديوان بنسب متفاوتة .

وإذا كان الناظر فى الديوان يلاحظ كثرة المقطعات التى لا تزيد على بيتين ، فإنه يجد أن اطول قصيدة فى الديوان هى فى الرثاء قالها فى رثاء شيخه سراج الدين البلقينى وقد بلغت ثلاثة وعشرين ومائة بيت .

وإذا كان الديوان يحتاج إلى عرض من خلال أغراضه فإننا نبدا بعرض ماافتتح به الشاعر ديوانه وهى المدائح النبوية ثم نتعرض لأهم الأغراض فى الديوان .

المدائح النبوية :

افتتح الحافظ ابن حجر ديوانه بالمدائح النبوية وعددها سبع مدائح • وهى وإن كانت قد عرفت منذ ظهور الاسلام ، بل منذ أنشد أبو طالب فى المصطفى صلى الله عليه وسلم :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وتبعه الأعشى ثم حسان بن ثابت وغيره من الشعراء الإسلاميين ، ومنذ أنشد كعب بن زهير قصيدته البردة بين يدى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فاكسبته عز الدّارين ، وتعاقب عليها الأدباء والشعراء جيلا بعد جيل شرحا وتخميسا وتشطيرا ومعارضة ومحاكاه (١) •

واستمرت المدائح النبوية على مر العصور (٢) حتى العصر المملوكى ، حيث تلقف الامام شرف الدين البوصرى هذا الفن ونظم قصائده فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومنها قصيدته المسماة البردة •

فقد اندفع الشعراء بدافع الحب للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، والثناء عليه ، والفخر به ، ثم رجاء نيل شفاعته الى إنشاء المدائح النبويه ، التى وإن كانت قد لونت بلون جديد واكتسبت ثوب المحسنات اللفظيه والمعنوية التى

---

(١) انظر على ابو زيد البديعيات فى الادب العربى ص ١٨ ، د• احمد محمد بدوى : الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية فى مصر والشام ص ٢٩٦ ، د• محمود حسن زينى : مقدمة شرح قصيدة البردة لابن الانبارى ، محمد سيد كيلانى: مقدمة ديوان البوصيرى ص ٢٨ ـ ٣٠ •
(٢) انظر د• محمود الربداوى ابن حجه الحموى شاعرا وناقدا ص ١٠٧ ـ ١١٠ •

كانت سائدة فى ذلك العصر ، وتكررت فيها المعانى وكثر فيها التضمين ، وخرجت المبالغة عن الحد المألوف ، إلا أنها قد انمازت على غيرها بسمو المعنى وصدق العاطفة ، وحرارة الوجدان ، مما أكسبها جودة السبك ومتانة التركيب ، وعذوبة اللفظ .

وإذا كانت تلك هى السَّمة الغالبة على المدائح النبويه فى ذلك العصر ، فإن المدائح النبويةَ فى هذا الديوان لم تخرج عنها ، ولم تأت بجديد . فيلاحظ أن المدائح تبتدى بالغزل ، غير أنه غزل وقور ، يشبب الناظم فيه بذكر السفح واللواء ، متشوقا إلى ديار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، مبتعدًا عن التّغزل بما وقع فيه بعض اهل الأدب فى عصره من ذكر محاسن المرد ، والتغزل فى ثقل الأرداف ، ورقة الخصر ، وبياض السّاق ، وحمرة الخد وخضرة العذار .

ويمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصفات النفسيه من كرم وشجاعة ، وحلم وفصاحة ، وأنه أشرف الخلق وسيد الرسل مثل قوله :

محمد صفوة اللّهِ الذى انكسفتْ
إذ جاءَبالحقّ شمسُ الكفر وانكشفا

وقوله :

الليثُ والغيثُ فى يومى ندًى وردى
والصّادق الفعل فى يومى وغا ووفا
الواهبُ الهازمُ الآلاف من كرمٍ
وسطوةٍ للعِدَى والصَّحْبِ قد عُرِفا

ويفخر بانتصاراته ، ومعجزاته فى بدر وحنين ، من نبع الماء ورد العين ، وما أكرمه الله به من الاسراء والمعراج فى الدنيا ، والحوض والشفاعة يوم القيامة ويرجو أن يكون ممن ينال تلك الشفاعة ، فيقول :

وخُصِصْت فضلا بالشّفاعة فى غدٍ
فالمسلمون بفضلها قد عمّموا
ومقامُكَ المحمود فى يوم القضا
حيْث السّعيد رجاهُ نفْسٌ تسلَمْ

ويقول :

سَرى إلىالمسجدالاقصى من الحرم ال
مكّىّ والطّرف للإسراع ما طَرَفا
ثم ارتقَى الأفْق بالجسْم الكريم عُلاً
والرّوح خادِمُه والقلب ما ضَعُفا
لقاب قوسيْن أو أدنى عَلا ودنا
وقلبُ حاسدِه المضْنى غدا هدفا
رُدّت أعاديه فى بدرٍ منكّسةٍ
بخجلةٍ أورثتْها النّقْص والكَلَفا
ويوم خيبر آيات مبينةٌ
بالباب منه علىٌّ قد علا شَرفا
وفى حنيْن قميصُ الشركِ ليْس لهُ
لمّا تمزّق رافٍ من عداه رَفا

ويجد الناظر فى المدائح السّبع أن صورها وأفكارها مستمدة من القرآن الكريم ، والسّنة المطهره ، وكتب المغازى والسير مثال ذلك قوله :

اللّه أيّده فليْس عن الهَوى
في أمره أو نهْيه يتكلّم
فليحذر المرءُ المخالف أمره
من فتنةٍ أو من عذابٍ يُؤلم

ففي البيت الأول إشارة إلى قول اللّه تعالى ﴿وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى﴾ النجم ٣ .

وفي البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الذيْنَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصِيْبَهُمْ عذَابٌ أَلِيْمٌ﴾ النور ٦٣ .

وهي مدائح لا تخلو من التوريةً والتضمين وغيرها من الصور البلاغيه التي كانت سائدة في ذلك العصر ، ولكنها خلت كثيرا من صور الغلو التي تلاحظ في مدائح ذلك العصر .

وجمعت هذه المدائح بين عذوبة اللفظ وبين جزالة التركيب . ولا تخلو من الشاعريةً لكن الغالب عليها سِمَةُ ابن حجر العالم لا الشاعر .

المديـــح :

بلغت أبيات المديح في الديوان سبعة وعشرين وألف بيت أكثرها مُوجَّه إلى الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل العباس بن المجاهد ، صاحب اليمن ، وابنه الملك الناصر أحمد . ومدح كذلك صاحب تونس الملك المنصور عبد العزيز بقصيدة ، وأمير المؤمنين المستعين العباس بن محمد العباسِي بقصيدة في ولايته للسلطنة سنة ٨١٥ هـ . والملاحظ أنه لم يمدح كثيرا أحدًا من سلاطين المماليك ، وإنما أكثر من المديح في غيرهم ، إذ أنه في حياته التي امتدت من سنة ٧٧٣ هـ حتى سنة ٨٥٢ هـ وقد حكم خلالها خمسة عشر سلطانًا ، لا نجد في ديوانه سوى قصيدتين في مدح الملك المؤيد ، أو أبيات هنا أو هناك قالها في تهنئة أو شكر ، كقوله للسلطان الظاهر جقمق :

يا ملكًا ظاهِرًا نَـــداهُ
عن طالب منْه ليْس يُحبسْ
شكرى بنقْطٍ وغيْر نقطٍ
الضّريح يغْنِي عن الملبَس (١)

وقوله مهنئًا الملك المؤيد بالمولود الجديد :

هنيئًا بموسى أيها الملك الذى
بتأييد ربّ الناس لازال محروسا
أتى لأخٍ يتلو ولا عجب إذا
شريعة إبراهيم أيّدَها موسى(٢)

---

(١) الديوان ص ١٩٨
(٢) نفس المصدر ص ١٩٦

أو نصحا وتوجيها ، كقوله للملك المؤيد ناصحا له وموجها :

يا أيُّها الملك المؤيدُ دعوة
من مخلص فى حبّه لك ينصح
انظر لحال الشافعية نظرةً
فالقاضيان كلاهما لا يصلُح(١)

وكقوله للملك المؤيد معاتبا وشاكيا :

يا أيُّها الملكُ المؤيَّد إنَّنى
عبدٌ مُحِبٌّ لم أزل لك داعِيا
أدْعُو البسيط نواله متطوّلاً
أنْ يَستمرَّ مديدُ مُلْكِك باقِيا
وتَقرَّ بالسَّادات عينُك راضِيا
ويُجاوزُ العادات عزُّك راقِيَا
أُنْهِى لحضرتِكَ الشريفة أنَّنِى
فى النَّوم حقًّا قد رأيتُ لياليا
أنَّ الإمام الشافعىّ يقولُ لِى
انهض إلى باب المؤيَّد شاكِيا(٢)

ويقول فيها :

ما كان ذنْبِى إذْ تولّى منصبى
مَنْ ليْس يَعرف منه فصلًا وافِيَا
غشَّ المُشير به عليْك فلا تُطِع
من كان خوّانا أثيمًا باغِيَا

---

(١) الديوان ص ٨٨
(٢) نفس المصدر ص ٥٣٢

لو كانَ شمسُ هراةَ اعلم عصْرهِ
ما كان يَصْلُح ان يُولَّى قاضِيا

ورغم قلّة مدحه لسلاطين المماليك فإنّ الناظر فيه يحس روح التكلف • ومن الأمثلة مدحه للملك المؤيد قوله فيه :

ملكٌ له لقَبٌ وكنيته إذا ذُكِرا
سمَا بالنَّصْر والتأييدى
شيخ المُلوكِ معَارف وفتوة
فَحُلا نداهُ تَطَوّقتْ فى الجِيدِ (١)

وفى إخوانياته كثير من المدح • فقد مدح الأمير يلبغا السالمى بقصيدتين الأولى مستشفعًا لشخص ما عنده ، والثانيه شاكرًا له على مالٍ اسداه له • ومدح سعد الدين الإسكندرانى سنة ٨٣٧ هـ بقصيدةً • ولعل اطول قصيدةً فى المديح عنده هى التى قالها عند انتهاءِ الأمير جمال الدين البيرى مِن بناء مدرسته برحبة العيد ، وبلغت عشرًا ومائة بيت • وتميزت بالعذوبةً والسلاسة ، وعبّرت عن عاطفة صادقةً جياشة بحب الخير والشكر على إسدائه ، والتشجيع على فعله • ومطلعها :

طيْفُ لِمَنْ أهوى ألَمّ   يطْوِى ذِيُولَ الليل لمَّا
أهلًا به لو أنّ طرْ   فِى للمنامِ يذوقُ طَعْما
ونعَمْ لقد أغفيتُ فىِ   طلَبِ الخيال خيال نُعْمَى

ويمدح فيها عزيز مصر وملكها بقوله :

إنْ كنتَ فى ذلٍّ فلُذ   بعزيز مِصْر تعِزّ حتْما

---

(١) الديوان ص ١٩١

(٢) نفس المصدر ص ٣٨٣

مَلِكٌ له شرفٌ علَى الـ ... علْيا فحدِّث عنه قِدْما

اقْصد حِماهُ تَعِشْ إنْ ... فارقتَ فيه أبا وأُمّا (١)

وقد انتهت عمارة هذه المدرسة يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة احدى عشرة وثمانمائة (٢) ·

قال الحافظ ابن حجر فى هذه القصيده مخاطبا ممدوحه :

وتَهنَّ شهْرًا لم تزل ... فيه الرّغائب منك قِدْما

فهو الاصب لأنّ جو ... دكَ صيّر الاسم المسمَّى

اسمعْتُه فيك الثّنا ... ءَ فلا يعُد يُدْعى الأصمّا (٣)

ولعل المقصود بعزيز مصر فى هذه القصيدةُ إمّا النّاصر فرج بن برقوق فقد كان يحكم مصر فى هذا التاريخ (٤)، وإمّا جمال الدين الإستادار .

والمرجح أنه جمال الدين الاستادار . [illegible]

اما من ناحية البناء فهو تقليدى ، إذ كان الشاعر يصدر مدائحه بالغزل ويصف حاله وما يعانيه ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى المدح ·

وقد مدح بصفات ومعانى معيَّنة تكررت فى كثير من مدائحه · فمدح بالندى والكرم ، والعفة ، والاريحيّة والمهابة والشجاعة ، وقوة البأس والحلم · ومدح بالتّقى والصدق والوفاء ، والعدل ، وسعادة الطالع ، وكرم الأخلاق. مثال قوله فى الملك الأشرف إسماعيل بن المجاهد :

---

(١) الديوان ص: ٨٥
(٢) انظر المواعظ والاعتبار جـ٣ ص٤٠١ ·
(٣) الديوان ص: ٩٠
(٤) انظر انباء الغمر جـ٦ ص ٩٥ _ ٩٦ ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص٧٩٢ ، النجوم الزاهره ج١٣ ص٧٢ ، شوقى ضيف : عصر الدول والامارات ص ٣٨ _ ٣٩ ·

المانح الفضْل صَفْوًا فيضُ راحته
والغيث إن جادَ تعْبانٌ ومَكْدودُ (١)
والمانع السَّرح حيث الأرض مِنْ دم مَنْ
عاداهُ فى خدِّها المُغْبرِّ توْريدُ

وقال فيه :

مليكٌ نداه فجّر الصَّخْر أعينًا
كما بأْسه قد هدَّ صعْب الجلامدِ (٢)
أضاف الى البشْر المَهابةَ والنَّدَى
كغيثٍ هَما مع برقه والرَّواعدِ

وقال فيه :

وذو هِمّة تفرى السُّيوف وإنها
لأَمضَى من السَّيف اليَمانى وأَقطع
وحلم حكاه الغيْث والغَيْث عابر
ولكن علَى طول المدَى ليس يمنع
وبَأْس إِذا ما أَنشدته مدحك انثنَى
وفى وجهه نُور مِنَ البِشْر يلْمع (٣)

وقال فى الملك المنصور صاحب تونس :

وحلم يحك الشّامخات عمُوده
وبأْس يدكّ الرَّاسياتِ جليدهُ (٤)

---

(١) الديوان ص ٩٥
(٢) نفس المصدر ص ٩٩
(٣) نفس المصدر ص ١٠٣
(٤) نفس المصدر ص ١٠٤

وقال فى سعد الدين :

متعفف والأريحية خلقه
يهتز لكن لم يغب عن رشده

وقال فيه :

حيث السماحة والحماسة والتقى
كالعقد أحسن ناظم فى عقده
حيث الندى والعفة اجتمعا كما
مزج الزلال بخالص من شهده (١)

ومن الصفات التى مدح بها عراقة النسب ، قوله فى الملك الاشرف بن المجاهد :

صلنى تبدل من أجاج مدامعى
بندى المليك الأشرف بن الأفضل
بندى العلى القدر والنسب الزكى
المعتلى بن المعتلى بن المعتلى

ويقول فيه :

نسب عليه ضياء سعد حاجب
عين الحواسد بالسناء المسبل (٢)

وله قصيدة قالها فى مدح الخليفه المستعين العباسى لما تولى السلطنة ، يظهر من خلالها عدم الرضا عن الوضع السياسى السائد ، وتعبر عن فرحته لإسناد الأمر الى ذويه ، وعودة الحكم الى أهله ، ويرى أن فى ذلك نصرا للحق وعزا للدين ورفعا للظلم • ويقول فيها :

---

(١) الديوان ص ٧٠\
(٢) نفس المصدر ص ٣٤٤

رَجَعتْ مكانةُ آل عمّ المصطفى
لمَكانها من بَعْد طول تَناسى
فرعٌ نَما من هاشِمٍ فى دَوْحةٍ
زاكِى المَنابتِ طيّب الأغْراس
من أُسْرة أَسَروا الخُطوبَ وطُهّروا
مما بغيْرهمْ مِن الأدْناسِ
فالحمد للّه المُعِزّ لدينه
مِن بعْد ما قدْ كان فى إبْلاس
وأزال ظُلْمًا عمّ كلّ معَمّمٍ
مِنْ سائِر الأنواع والأجناس
فهو الذى قد ردّ عنّا البُؤس
فى دهْرٍ به لولاه كلّ البَاس (١)

ويقول فى الملك الناصر أحمد بن المجاهد :

كلّ الملوكِ ملوكُ الأرض دونكمُ
فى الجود والنّسب العَالِى الزّكى الغالِى (٢)

ويقول فى مجد الدين ابن مكانس :

مِنْ أُسْرةٍ أَسروا الخطْب الذِى عجَزت
عنْه الأولَى شدّوا العَلْيا بأمراسِ
بَنُو مكانِس غِزْلان المَجالس أو
أُسْد الفَوارِس فى سلْم وفى بأْس
إذا بنَوا شَرَفًا أوْفَا على شرف
تَرى عجائِب مِنْ إحْكام آساسِ

---
(١) الديوان ص ١٨٢ - ١٨٣
(٢) نفس المصدر ص ٢٠٥

بالفَخْر قبْل وبالمَجْد اعْتَلوا رُتَبًا
لم يرقَهُنّ ابْنُ عبّاد بن عبّاس (١)

وقال فى سعد الدين :

مِنْ أُسْرة أَسَروا الخطوبَ وأَطلقُوا
بالجُود مَنْ أَسَرتْهُ قلَّة وجْده
وكفاهمُ فخْرًا بِسَعْدهم الذى
لم يُبْقِ مكرمة تجى مِن بعْده
يُفدَى بكلّ مُسَوَّدٍ فى دسْته
تَصْفرُّ خوْف الجُود حمْرة جِلْده (٢)

أما غرضه فى المديح فإنّ الناظر فى قصائد المديح عنده يجد فى بعضها شيئًا من الطلب والاستجداء . مثل قوله مخاطبا الملك الاشرف إسماعيل بن المجاهد :

ولطْف خَيْرك للعَافِى الغَريب له
فى الأرض سيْرُ وفى الآفاق تخْليدُ
طوّق بحلْيِ النَّدَى عُنْقى يكن لك مِنْ
نظْمِى وسجْعِى علَى الأوراقِ تغْريد (٣)

وقوله فيه :

إن يجْهل القَاصِدُ المعْروف مِنْ مَلكٍ
سِواه فالعرْف من نعْماه معْهود
مخائل الجُودِ لاحت يوم مولده
فى وجْهه قبْل ما تَقْضِى المَواليد

---

(١) الديوان ص ١٨٧
(٢) نفس المصدر ص ١٠٦

اشْتَــقِ يُمناه يا من قَلَّ نـاصِرُه
فـأنــت من جـود تِلك الكفّ منْجـودُ (١)

وقوله فيه :

مَــولاى نحْــوكَ قــد رَفعْـت قضيَّتى
وجزمتُ منْك بنَجحِ قصْدى فاقْضِ لى
ورجـاىَ تشْــريفى بمَرسُــومٍ بـــهِ
غضَب العَدُوّ إذا بدا ورِضَ الوَلِى
لأفُــوزَ بالغُنْمَيْـن جاهـك والنَّـدَى
ويكــونُ فَرْضِى كامِــلًا بتَنَفُّــلِى
لا لــوم إن أســأل نَــداك علَىَّ بَلْ
كلُّ المَـلامِ علَـىَّ إنْ لَـمْ أســألِ
حاشَـا مكارمـك الغَريبــة أنْ أُرى
مِمَّــا أُرَجِّــى منْـك غيْـر مؤهَّــلِ (٢)

وله قصيدةٌ قالها فى مدح الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن المجاهد ، وشرح فيها حاله وما عاناه فى رحلته من متاعب ومشاق ، من نهب أمواله وغرق سفينته ، وذهاب أمواله فى البحر . يقول فيها :

كانت أيادِى المَليْك الأشْرف اشْتملَتْ
علَى يدى بالنَّدى من غيْر تَســآلِ
قـابلــتُ مـرآة بشْــرٍ مِــن خلائقه
صفَت فطالعْتُ فيْها وجْـه إقْبالِى
والآنَ يا ملـكَ العَلْيا قصَدتك فـى
جَبْر انكسارِى وفى إصلاح أحوالِى

(١) الديوان ص ٩٤-٩٨
(٢) نفس المصدر ص ٣٤٥-٣٤٦

. . . .

مولاىَ هل أَشْتكى ما قد عَلِمتَ به
أَم أكتفى بالذى قد لاح من حالى
قد ضَعْضع الدّهر حالى عندما نُهبت
بالشام أَيام تَيمُرلنْك أموالِى
وعدت مُسْتنصرًا فى الحادثاتِ بكُم
فأَنتَ حاشاكَ أَنْ تَرضى بإِهمالى
مال تَمزّق فى نهْبٍ وفى غَرق
إِن فات مالِى سأَلقى مِنْك آمالِى
آهلتنى بعْد تغْريب النّوى كرَما
يا مالِكى لمديْحى قَدْرك العَالِى
ملأت طرْفى وكفّى هيْبة وغنَى
حتى تفرّغت للأمداح يا مَالِ(١)

وتخبرنا المصادر – التى بين أيدينا – أنه كان صاحب ثروة ورِثَها عن والده الذى كان تاجر بَزّ ، وأَنَّ والدته كانت صاحبة ثروة وأنه ورث عنها مالاً كثيرًا ، كما أنه اشتغل بتجارة البزّ " ولم يزل يتّجر إلى أن مات "(٢) وأنه فى رحلته الأخيرة الى اليمن كان يحمل أموالًا كثيرة وهدايا وأمانات .

فكانت رحلاته طلبًا للعلم وملاقاة العلماء والأخذ عنهم وليس لمقابلة الملوك والتكسب بمدحهم . يدل على ذلك أنه لم يقتصر فى رحلته إلى اليمن على مقابلة الملك الأشرف ، وإنما رحل إلى كثير من المدن والقرى والتقى بكبار الشيوخ ومشاهير العلماء أمثال الفيروزابادى ، وإسماعيل جَحّاف ، الذى سعَى له عند الملك الاشرف . وغيرهما من كبار العلماء .

---

(١) الديوان ص٣٥٣-٣٥٤.
(٢) الجواهر والدرر جـ٢ ق٥٢ ب .

وإذا كان القارىء يلمس فى بعض أبيات المديح نغمة استجداء فلعل ذلك نتيجة ظروف معينة وهى سفره وملاقاهُ فيه من غرق ونهب ، وقد بيّن ذلك فى القصيدة السالفة . ولم يكن التكسب غاية له أو حبّ المال او أي غرض زائف . يدل على ذلك ما سلف ذكره من انصرافه عن مدح من بيدهم حكم بلده من القادرين على توليته وإيصاله الى أعلى الوظائف ، وإسداءِ المال الجزيل إليه ، أو عزله وإلحاق الضرر به . فلم يأبه لذلك كله ، وانصرف الى حيث يملي عليه كرم الاخلاق وطيب العنصر ، وعراقة الأصل ، بعيدا عن النفاق والزيف ، وحرصا على الصدق فى القول .

ويتضح هذا فى قوله مخاطبا صاحب تونس :

اليك أميرَ المسلمين بعثتُها
تَنوبُ منَابى فى التّحايا وروده
قصيدًا تروقُ السّمع إنْ يَصْغ مُنصِفٌ
إليها يقُل قد قال صِدْقًا قصيدُه
مدحتُك حبًّا فى فضائل جُمّعت
لديك فقلْبى للسُّماع عميدُه (١)

فلم يكن مدحه صدًى لمواقف خدّاعة ، وإنما لما يراه فى الممدوح من فضائل وصفات كريمةً ، حببته إليه ، ودفعته الى مدحه ، وشجعته على الثناء عليه - فهو يخاطب ممدوحه قائلا :

ومن يزْرع النُّعمى بأرضٍ كريمةٍ
سَيحصُد أضعاف الذى ظلّ يزْرع

---

(١) الديوان ص ١٠٤

وما الشّعر الا دون قَدرك قدْرهُ
وما يسْتوى فى القَدر باعٌ وإصْبع
ولكنّما سَنّ الكرامُ استماعه
وتعْظيم مُنْشيْه الذى يَتصنّع
وماكل من قال القَريض آجاد فىالـ
ـمديْح ولا كلُّ المجيْدين مُبْدع
فهاكَ قصيدًا شجّعتْنى صِفاتْكم
عليْها ففاقتْ كلّ ما قال أشْجع(١)

ومن خلال المدائح فى الديوان والأمثلة التى مرت بنا نجد أن الصفات التى مدح بها هى صفات وفضائل نفسيه إذ مدح بالعدل والعفة والشجاعة ، وما يندرج تحت هذه الفضائل من أخلاق وصفات • وبذلك يكون قد ابتعد عن الخطأ وتحرى الإصابة فى مدحه ، طبقا للرأى النقدى القائل :إنّ المدح الحسن هو ما كان بهذه الفضائل النفسية ، وإنّ المادح بغيرها مخطئ (٢)

ويمكن القول:إنّ هذه المدائح قد امتازت بصدق العاطفة وسهولة الألفاظ ، وجزالة الأسلوب ، وإنها ترفعت عن الإبتذال والسوقيةُ ، كما ابتعدت عن الغرابةُ والإيغال •

وهى وإنْ ارتدَت رداء عصرها فلازمتها المحسنات البديعية كالتورية والتضمين والاستخدام وغيرها فقد عكست من خلال عباراتها وصورها وأسلوبها وما يرد فيها من أسماء العلوم والأعلام ثقافة الشاعر الأدبية واللغوية ، وما كان يتمتع به من علم وسعة اطلاع •

(١) الديوان ص ٢١١
(٢) أنظر قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص ٩٥ ـ ١١٣ ، وابن رشيق : العمدة جـ٢ ص ١٣١ ـ ١٣٢ •

الغـــزل :

الغـزل مـن الأغراض الأدبيـه التـى شاعت فى العصر المملوكى وأقبل عليه الشعراء فنظموا فيه وأجادوه " وافتنُّوا فيه ونوعوه ، ومقطوعاتهم فيه لا تعد ولا تحصى ، ومطولاتهم أكثر من أن تستقصى • ونظمه بعضهم وهو صادق فى شعره ، ومعبر عن نفسه وضميره • ونظمه بعضهم تقليدا ومحاكاه وتمرينًا للقريحه • ونظمه بعضهم لالتئام ضرب فيه من ضروب البديع ، كتورية أو اقتباس أو تضمين ، أو جناس ، أو مطابقة أو غيرها • ونظمه بعضهم ممزوجا بالوصف أو الخمريات • وأغرم به الادباء ، كما نظمه العلماء والفقهاء بل والنساك والاتقياء ، كشرف الدين البوصيرى وابن حجر العسقلانى(١) " •

وقد كان للغزل فى ديوان الحافظ بن حجر مكانه • وإن كان قد ورد استقلالاً فى قصائد ومقطوعات ، فقد تصدر قصائد المديح • إذ كان شاعرنا يصدّر قصائد المديح بالغزل ، ثم يتخلص الى المدح مستغلا اسم الممدوح ما أمكنه ذلك • مثال قوله :

أحرّك حظًّا بالنّوى فى تَسافُلٍ
أُسكِّن نفْسًا بالبُكا فى تَصاعُدِ
مجاهد نفْسى لا أَرى متفضِّلا
سِوَى الأشرف بن الأفضل بن المُجاهد(٢)

وقوله :

قد جُرْتَ لمّا جُزْتَ حدّك فى القِلى
وعدلْتَ عنّى للعَواذِل فاعْدلِ

(١) عصر سلاطين المماليك م ٨ ص٣٢٩ •
(٢) الديوان ص ٦٩

سُقْيا لعهْدك مِن دمُوعٍ شُبِّهت
لولا ملوحَتِها بغَيْثٍ مُنْزَلِ
صِلْنى تُبدَّل مِنْ أُجاج مَدامِعى
بِنَدَى المليْك الأشْرف بن الأفضَلِ(١)

وإذا كان يطيل التغزل فى بعض قصائد مديحه حتى يحتل ما يقرب من النصف ، فانه فى قصيدته التى قالها فى مدح أمير المؤمنين المستعين العباسى عند توليه السلطنة قد ابتدأ بالمدح مباشرة دون مقدمة غزلية . ولعل ذلك استجابة للمناسبة ومراعاة لمقتضى الحال . فالوقت وقت حزم لا مجال فيه للغزل ، أو المقدمات ، فابتدأها بقوله :

المُلْك أصبح ثابت الآساسِ
بالمسْتعين العَادل العَبّاس
رَجَعَتْ مكانة آل عمّ المصْطفَى
لمكانها مِن بَعْد طول تناسِى(٢)

وهو فى غزله يشكو ويبث أشواقه ولواعجه ، كما يتحدث عن العذول واللائم والواشى وماضى العهد والهجر والوصال وطول الليل وفقد الكرى . مثال قوله :

بِك المحبُّ مِن الهجْرات مُعْتصمُ
فالهَجر ليْس علَى صبٍّ بمؤْتمنِ
سَلَبْت نوْمى فإن لم تَرْعَ لِى سَهَرى
فراعِ طيْف خَيالٍ منْكَ يَطْرقُنى

---

(١) الديوان ص ٢٤٤
(٢) نفس المصدر ص ١٨٢

أشكو إليك غرامًا قد أمنتُ له
فخانني وإلى التبريح أسلمني
وأصل سقمي من لاح يرى غلطًا
أني أرى حسنًا ما ليس بالحسن
ومن عذولٍ دنيءٍ لا خلاق له
أدنى إلى اللوم من طرفٍ إلى وسنِ (١)

ويصف في غزله ورد الوجنات وذوائب الشعر ولين القوام وعذوبة الثغر ، وهيف القد ، وبهاء الطلعة . مثال قوله :

وأغيد من إشراق خديه قد بدا
دليل بأن الخد يروى عن الزهر (٣)

وقوله :

وأهيفٍ جنة المأوى بوجنته
وشهدة الريق فيها برءُ إعلالي (٣)

وقوله :

كالبدر لكن بلا نقصٍ ولا كلفٍ
في الحسن والسن والإشراق والسنن
أخشى عليه عيون الناس تنهبه
إذا بدا طالعًا والشمس في قرن
تهتز كاليزني اللدن قامته
وإنما لحظه سيف بن ذي يزن (٤)

---

(١) الديوان ص٣٠٦
(٢) نفس المصدر ص٣١٦
(٣) نفس المصدر ص٢٥٠
(٤) نفس المصدر ص٣٠٥

وقوله :

أخو وجنتيها الورد والمسك خالها
لكنها فاقت أخاها وخالها
أقول وقد أرخت ذوائب شعرها
لقد أسبغ الله العظيم ظلالها
وماست فحاكى الغصن لين قوامها
فهزت على وفق المزاج اعتدالها(١)

ولا يخلو الغزل عنده من بعض المصطلحات وإن كانت قليلة من مثل :

وارو المسلسل من دمعي وعارضه
بالأولية عن عشقي وعن حزني(٢)

وقوله :

حدث عن الجسم والقد القويم ولا
تسنده إلا لصفوان بن عسال
وارو المسلسل من دمعي وعارضه
بالأولية من عشقي وأغزالي(٣)

وقوله :

وعن ثعلب يروى دوام رواغه
فلم أر منه الدهر أروى وأروغا(٤)

---

(١) الديوان ص ٢٤٧
(٢) نفس المصدر ص ٣٠٥
(٣) نفس المصدر ص ٣٠١
(٤) نفس المصدر ص ٢١٨

وقوله :

يا كاملَ الحسْن وجْدي وافرٌ وآري
جزئي طويلٌ وصبري عنك مُقتضبا (١)

وكان شعر المجون والتغزل بالمذكر قد شاع فى عصره حتى لا يكاد يسلم منه شاعرٌ من شعراءِ ذلك العصر • فمنهم من نظمه عن عاطفة ، ومنهم من نظمه تقليدًا أو محاكاةً ، ومنهم من نظمه ترويجا لشعره ، ومنهم من نظمه حتى لا يُقال قصَّر فى هذا الباب •

فهذا ابن سناء الملك يقول :

تعوَّدتُ الهوى والخير عاده
ولاسيما لأغْيَد لا لغاده
ضلالي فى تعشُّقه رشادٌ
وقتْلي فى محبَّته شهاده
وإنَّ العِشْق لو فَطِنوا ذكاءٌ
وترك العِشْقَ لو فَطِنوا بَلاده (٢)

• • • الخ •

ويقول ابن الوردي :

واللّه ما المُرد مُرادِي وإنْ
نظمتُ فيهم مثل نظم الجمان
لكن مَنْ رام نفاقَ الذي
يقولُه ينظمُ خَرْجَ الزّمان (٣)

---

(١) الديوان ص ٤٥
(٢) ابن سناء الملك الديوان جـ٢ ص ٣٧٩ •
(٣) ابن الوردي الديوان ص ٤٤٠ •

ويقول ابن نباته :

خليليّ كيْف الصَّبْر عن حُبِّ شادنٍ
شَهيّ اللمَى ساجِى اللواحِظ أهْيفُ
يُحاول بدر التمِّ تَشبيه وجهه
فيحسنُ إلا أنَّه يَتكلَّفُ(١)

وإذا كان ذلك قد شاع فى ذلك العصر فان الحافظ ابن حجر قد أدلى بدلوه فى هذا الميدان ، تقليدا ومحاكاة ، ومجاراة لغيره من شعراء عصره •

فقال فى المجون والتغزل بالمؤنث والمذكر على حد سواء • وتغزل بأهيف ، وبالعذار ، وبالشغر ، وباللحظ والحاجب وتغزّل بالشامة والخال وبالصّدغ والخد ، وجمع بين اللغز والغزل • وتغزل بمليح ، وتغزل بناسخ حسن وتغزل بِفَرّان جميل الصورة وتغزّل ببنّاء • وتغزل بقصّاص وبقاض وبعابد وبمحدّث • وأكثر غزله فى هذا المجال فى مقطعات • ومن أمثلة غزله قوله :

بخدّك والعِذار أهيم وجْدًا
ولم أقطع لبُعْدِى عنْك بِأْسا(٢)
وآسَفُ فى الصّدود لِسُوءِ حظّى
إذ لم أنْتَشِق وَرْدًا وآسا

وقوله :

بَدر تمٍّ أهيف مُتْرفٍ
فى كلّ ما يعْجبنى قد تم(٣)

(١) ابن نباته المصرى ص٣٣٣ •
(٢) الديوان ص١٩٢
(٣) نفس المصدر ص٢٩٩

يَظْلِمُني العَاذِل في حبِّه
والليل في طُوله أظْلَم

وقوله :

بخَدِّه شِمَّتُ شامةً حُرقت
فقلتُ للقَلب إذ شكا شجَنه
لا تشْك مِن نار مهْجتى حُرَقا
فإنَّ فى الخال أُسْوة حسَنه (١)

ومن أمثلة المجون قوله :

مَن زارهُ الحَبيبُ في خلْوةٍ
فمَال دون النَّيل للثْم
كان كذِى جُوعٍ أتى روضةً
فجاوز الأكَل الى الشَّمِّ (٢)

وقوله :

إنْ يزُرنى الحبيْب يغْنى عن الحَلْى
ويا طيِّبَ عيشى حين يَسْمح
فيَدى طوق جيْده حيْن يَدْنو
ووشاحٌ لخصْرهِ حين يَجمح (٣)

وقوله :

رأيتُ بدْرا يَلِى غُلامًا
كالبَدر بالبُرْق يحتويه (٤)

---

(١) الديوان ص ٣٧
(٢) نفس المصدر ص ٣٠٢
(٣) نفس المصدر ص ٩١
(٤) نفس المصدر ص ٣٤٠

فَقِيل لِى بالغُلام تَرْضَ
فقلتُ لا بل بمن يَلِيْهِ

وقوله :

وعاشقٍ ليْس له
إلى الحَيا أدْنى سببْ
دبَّ علَى معْشوقهِ فَما
رأى منْهُ أدب (١)

وإذا كان من الشعر ما هو أقوال دون أفعال وهيام فى أودية الخيال فلعل بعض ما بين أيدينا من غزل ومجون ليس إلا من ذلك القبيل .

ولعل كثيرًا من أبيات الغزل والمجون قيلت فى مرحلة مبكرة من العمر (٢) . كما يمكن القول إنها كانت ترويجًا لشعره ، وإنها كانت مجاراة ومحاكاة لشعراء عصره ، ومشاركة فى غرض شاع وذاع وانتشر على ألسنة الشعراء ، وأقبل عليه الخاصة ، وأغرم به العامة . ولم تكن تلك الأشعار صادرة عن عاطفة صادقة أو معايشة حقيقية . فمقامه الدينى يربو به عن ذلك ووضعه الاجتماعى لا يسمح له بما هنا لك . والناظر فى حياته اليوميه يجد أن حياته زاخرة بالعمل الجاد والمثمر

---

(١) الديوان ص ٦٩
(٢) كما ذكر فى اخر ديوانه "السبع السياره" المنتخب من الديوان الكبير حيث قال :
" وكان ترك نظم الشعر من حدود سنة ست عشرة وهلم جرًا بل غالب ما ذكر هنا مما نظم قبل القرن " .
وأشار الى ذلك تلميذه السخاوى فى الجواهر والدرر جـ١ ق١٥٧ أ . وكما نلاحظ ذلك فى الابيات أعلاه . ومن مثل قوله مخاطبا أحد الشعراء :
لك الخير قد حرَّكت بالنظم خاطرا
له مدة فى العمر ولى وما شعر

من قضاء وإفتاء وتعليم ، ومجالس إملاء وخطابة وتأليف .
فكان يحمل على كاهله أعباءً ثقيلة ، ومسئوليّات جسيمة ويحيا حياة جادّة ، لا مجال فيها للهو أو عبث .
وها هو يعبّر عن ذلك فيقول :

نعَم كان لي مَيْلٌ إلى النّظم نُزْهة
وأبكار فكري ما لهنّ بعُولُ
فشعّب منّي فكْرتي عبءُ منْصِبٍ
تحمّلْته في كاهليَ ثقيلُ
وفصْل قَضايا في تَفاصِيْل أمْرها
فصُولٌ وكم عند الخُصوم فضُول
ومجْلس إمْلاءٍ وخطْبة جمْعةٍ
ودرسٌ وتعْليلٌ له ودليْل
حديثٌ وتفْسيرٌ وفقْهٌ قوامها
عقُولٌ تعاني فَهْمها وتقُول
لِمُسْتنبطاتِ الفِكر مُسْتبطناتها
تَزور فإنْ لم أضْبطنّ تَزول
ذوابلُها في روض أفكار ربّها
تسلّ مَواضِ برْقها فَتسيْل
وطالبُ أسماع وفُتْيا وحاجَةٍ
وطالبُ علْمٍ في البُحوث سَؤول
وكلّهم يَرْجو نَجاز أمُوره
ويَصْخب إنْ أرجأْته ويَصُول
وهذا إلى أوقات نَومٍ وراحةٍ
وأكْل وشُرب يعْتريه ذُهول (١)

---

(١) الديوان ص ٢١٧

وإذا كان الشعراء فى عصره قد تغزلوا بالعنصر التركى وتغزلوا بالأوصاف التركية كحمرة الوجه ، وشقرة الشعر وضيق العينين وزرقتهما وغيرها من الصفات غير العربية ، فإنّ تغزل الحافظ بن حجر بالعنصر التركى قليل • مثال قوله :

يقُول عَذولٌ ما رأى وجه قاتِلى
ولم يَدْر أنى منْه نلتُ أمانى
تُرى هل وقاكَ الصَّد من أنتَ صبّه
وهل هو تركىّ فقلتُ وقانِى(١)

أما الأوصاف التى تناولها فى غزله فهى الأوصاف العربيةُ من سواد الشعر ، وجمال العينين وسحرها ، وسهام الألحاظ وتقوس الحاجبين ، وهيَف القد ، وعذوبة الثغر وغيرها • مثال ذلك قوله :

سألتُ مَن لحْظه وحاجِبه
كالقَوس والسَّهم موْعدًا حسَنا(٢)
فَفَوّق السَّهم مِن لواحِظه
وانْقَوّس الحاجبان واقْتَرنا

وقوله :

ولقد رَنا لِى لحظُه
ففتنت بالسِّحر الحلال(٣)
ولقد بَدا لى ثغْره
فاشتقتُ للعذب الزُّلال

---

(١) الديوان ص ٣٣٢
(٢) نفس المصدر ص ١٢٣
(٣) نفس المصدر ص ٣٥٧

وقوله :

مُهفْهفٌ لو رآه الغصْن مُنعطِفًا
لمَا تَثنَّت به أعطافُ مَيَّاسِ

كم قال لِى حلْيُه لمَّا رآى ولَهِى
خُذ فى وقارِك واتْركنِى وَوَسْواسِى

لاطعْن فيْه وقدٌّ الرُّمح قامتُه
لكنَّ قلْبى له أضْحى كمُبرجاسِ

ساقٍ كبدرٍ يُدير الشمس فى يَدهِ
قد لان عِطْفًا ولكن قلْبه قاسِى

أضحى لِعُشاقه من رُمْح قامتِه
طعْنٌ ذكرْنا به طاعُون عَمْواسِ

وخدِّه إنْ تَبدَّى تحْت عارضِه
حَسِبتهُ فى الدُّجى لألاءَ نبُراسِ

وقدُّه قد رسَا من تحْته كفَلٌ
كالغُصن فوق الكثيب الرّاسِخ الرَّاسِى

بَسَّام ثغْر فيا فوز المشوق إذا
لم يلْقه عِنْد رؤْياه بِعَبَّاسِ

(١) الديوان ص ١٨٦

الإخـــوانيات :

الإخوانيات من الاغراض الشعرية التى شاعت فى هذا العصر وأقبل عليها الشعراء . والشعر الإخوانى يعكس علاقة الشاعر بغيره من شعراء وكتاب كما يعكس علاقة الشاعر بأصدقائه وأسرته وشوقه اليهم وتلهفه عليهم فى حال غربته وسروره بهم فى حال أوبته .

وكان للحافظ ابن حجر فى الإخوانيات مشاركة فعّالة فأبيات الإخوانيات فى الديوان تزيد عن ثمانية وخمسمائة بيت منها ماهو فى الشوق إلى أهله ، ومنها ماهو فى المراسلات مع اصدقائه ، ومنها ماهو فى المطارحات والاستدعاءات . فهاهو يتشوق إلى اهله وأولاده فى مصر وقد سافر إلى الحجاز يقول :

متى يَتجلّى أُفْقُ مصْر بأقمارِى
وأَرْوى عن اللقْيا أحاديثَ بشّارِ
وأقرأُ آىَ الوصْل من صُحْف أوجهٍ
مواضعَ ختْم اللثم فيها كأعشار
واهتز كالنّشوان مِن فرَح اللقا
بلا مِنّة عندى لكاسات خمّار

ويعبر عن وحشته لفراق هذا البلد الذى بشر اللَّه داخله(١) بالأمن ، فقال تعالى ﴿ ادْخُلُوا مِصْر إن شَاءَ اللَّهُ آمِنِيْنَ ﴾ يوسف ٩٩. فيقول :

ويواحْشَتِى يامصْر منْكِ لبَلْدةٍ
لداخِلها بالأمن بشْرى من البارِى(٢)

(١) الديوان ص ٣٢٣

ويفخر بمصر وهوائها ونيلها ويذكر أنها موطنه الأول فيها ولد وفيها نشأ وأنها منزل أحبابه ومنزه مقلته ، ويصف وسيلته في سفره وهي السفينة فليس فيها خيرٌ يسر ولا انيس سوى كتبه التي يجلو بمطالعتها همه فيقول :

ولا خَيْر فيها غَيْر أنَّ نَزِيْلَهَا
نديمٌ لقُرآنٍ مُديمٌ لأذكارِ
وأعجب ماأَحكيه أنّي مُسافِرٌ
مقيْمٌ ولكن منْزلي أبدًا سَارِي
وفي سفَرى لم ألْق لِي مِن مُؤَانسٍ
سِوى الكتْب أجلو الهَمَّ منْها بأَسفَارِ

ويصف حاله ومايعانيه في بعده عن أهله ووطنه ، فقد نأى أحبابه عنه فأظلمت الدنيا في عينه وأصبح يجر ذيل الدمع وإن كان أحبابه قد غابوا عن عينه فغيابهم ليس إلا حذف إضمار لانهم في ضميره ، وهم مني روحه ، وهدى بصيرته وعمار قلبه فيقول :

لبستُ ثِيَاب الليل حزْنًا علَى اللقا
وصرتُ لذيل الدّمع أَيّة جرّارِ
وما في ضَميرى غيْركم مذ فقدتكم
فحذفكم عن مُقْلتي حَذْف إضْمارِ
وأَنتم منَى رُوحِي وهدْى بَصيرتي
وتنْوير أبصارِي وتيسير إعْسارِي

ويتلمس الرسول وهي الريح فيحملها رسالته إلى روحه المقيمة في داره وأُم أولاده • فيقول :

فيا نَسمات الرّيح باللّه بلّغي
سَلامي علَى روحي المُقيمة في داري (١)

وإذا كان في إخوانيّاته حنين وشوق كما سلف فإنّ في هذه الإخوانيات غزل ومدح ، وفيها اعتذار ولوم وعتاب وتذكير وتذكر وتهان وشكر ، وفيها ألغاز ومطارحات •

فهاهو الشيخ إبراهيم الجحافي يرسل اليه قصيدة يهنئه فيها بسلامة الوصول الى تعز ، فيرد عليه شاكرًا له بقصيدة يقول في مطلعها :

أهلًا بها حسناءَ رُود الشَّباب
وافتْ لنا سافِرة للنّقاب
مُفْترَّة عن جوهرٍ رائع
لكنّ مأْواه الثَّنايا العِذاب

ويصفه فيها بالعلم والحلم والفضل • كما يظهر من خلالها ماكان يتمتع به من تواضع وكرم اخلاق • يقول :

مَولاي هذي خدمة قصّرت
بالعجز عن نظْمٍ إذا طَال طاب
بتّ بها في ليْلتي ظامئًا
أروم تعْويض الشَّراب السَّراب
أضْرب أخماسي بأسْداسها
ولا يدور النَّظم لي في حساب
أثبتُ عن مرجانكم بالحصَى
فاللّه يوليكَ جزيلَ الثّواب(٢)

ثم يختتمها بلغز على عادته في كثير من إخوانياته •

(١) الديوان ص ٤٣١ •
(٢) نفس المصدر ص ٤٠-٤١ •

وكتب الى الشيخ زين الدين الخوافى مهنئًا له بقدومه مصر :

قدمتَ لمصْر يازيْنَ المعَالِى
فوافتْها الأمَانِى والعوافِى
وما سَرَت القَوافِل منذ دهْرٍ
بمثْل سُرى القَوادم بالخَوافِى(١)

وهاهو يعاتب احد اصدقائه بسبب هجره وإعراضه مع شدة اشتياقه له . فيقول :

مَولاىَ مالكَ معْرضًا عن صاحِبٍ
عمّا تُحبُّ وترتَضِى لا يعْرِضُ
أغمضْتَ جفْن الوصْل عنْه فطرفُهُ
ممّا جرى منْه البُكا لا يُغمِض
ماذا دعاكَ لهجْر مشتاقٍ له
وجْهُهُ بحبِّك والتّعفُّف أبيض
قد كان يَحْسب وصلكم لا يَنْقَضى
ويَظُنُّ حبْل ودادكُم لا يُنقَض(٢)

وكتب فى سنة عشر وثمانمائة لقاضى القضاة جلال الدين البلقينى ، يعاتبه على تركه عيادته وهو ضعيف(٣) :

قل لقاضى القُضاة ما ضَرّ لو
عُدتَ فتًى جسمه ضنًى مجْذوذُ
لِى عليكم دونَ الأنامِ حقوقٌ
سَبْعَةٌ ذكرهنّ عنْدى لذيذُ

(١) الديوان ص٢٣٥ الجواهر والدرر جـ٢ ق٢٣ ب .
(٢) الديوان ص٢٠١
(٣) الديوان ص١٣١ الجواهر والدرر جـ٢ ق٢٠ ب .

صاحِبٌ تابِعٌ مُحِبٌّ نَسيبٌ
بَلَدى مُجاوِرٌ تلميذُ

وكتب إليه العلامة البدر محمد بن إبراهيم البشتكى قائلاً :

حمَى ابنُ علِىٍّ حوزةَ المَجد والعُلا
ومُذْرام أَشتات الفَضائِل حازها
وكمْ مِن مشْكلات مِن بَيان بفهْمه
يُبيِّنها من غيْر عجْبٍ ومازَها

فأجابه الحافظ بن حجر :

بِرُوحى بَدْر فى النَّدى ما أَطاع من
نَهاهُ وقد حاز المَعالِى فَزانَها
أُسائِلُ أَن ينْهى عن الجْود كفَّه
وهاهو قد برَّ العُفاة ومانَها (١)

وكتب إلى القاضى مجد الدين بن مكانس قصيدة تغزل فى أولها ومدحه فيها وعزّاه بوالده . يقول فيها :

آيات وصْلِكَ يتْلُوها علَى النَّاس
صبٌّ تُحَرّكه الذِّكْرى إلى النَّاس
ووعْد وصْلِك دَيْن لا وفاءَ له
فليْته كان بالهجْران يا قاسِى (٢)

ويقول :

إنَّ السَّحائِب إذْ جارتْه أَتْعَبها
نعَم وفى النِّيل ما أَبْعَدتْ مِقْياسِى

---

(١) الديوان ص١٨٤ والجواهر والدرر جـ٢ ق١٢٢ .
(٢) الديوان ص ١٨٥

يُجانس الأصل طِيْب الذِّكر منْه فمِن
شهادَة القَلْب ذا سارٍ وذا راسِى
قد عفَّ زهْدًا فلم تُعْرف مآثمه
لكنَّ ساعاته أيَّام أعراسِ
إنْ ماس فى أرض قرْطاس له قلَمٌ
أزْرى بغُصْن من الرَّوضات ميَّاس
بَراعةٌ تطْعن الأعدا وتُطْربنا
وتُجتنى فهْى عود ذات أجناس

وكتب الى القاضى بدر الدين المخزومى الدمامينى قائلا :

إنْ رُحت تَسْأل عن خِلالِى
فى الحُبِّ جِسْمى كالخِلال
والعقْل زال مِن المطَال
بوعد محْبوبى المُطَال
والصَّحْب غرُّونى فيا
للَّه مِن صحْب كآل

ويقول :

مولَى تحلَّى بالعُلو
م فحالُه فى المجْد حالِى
ملأ العُفاة عوارفًا
فالسَّائلُ استغْنى بمَالِ
وجَلا صداىَ وشِعْره
فغَدا علَى الحاليْن جالِى (١)

(١) الديوان ص ٩٦ و ٣

وعلومـــــه كـالشـمـــس لـــ
كـــن قــــد تنـــزَّه عـــن زوال (١)

وكتب اليه الامير غرس الدين خليل :

وقـائلةٍ مَن فى القَضاة بأَشْـرهم
يـلازِمُ تقْـوى اللّــه طـرًّا بلا ضَجَرْ

فأجاب الحافظ ابن حجر :

أَيا غَرْس فضْلٍ أَثمر العِلْم والنَّدَى
فللّــه ما أَزكى وما أَطـيب الثّمر
يجـودُ ويُنْشِـى بالغًـا مـا أُرادهُ
فَمسـتطِلـعُ دُرًّا ومسْـتنزل الـدُّرر
لك الخيْر قد حرّكت بالنّظم خاطِرًا
لـه مـدَّة فـى العُمْر ولّى وما شَعَرْ
وقلّدت جيْدِى طـوْقَ نَعْماكَ جائِـدًا
فِعالاً ونطْـقًا صادِق الخُبْر والخَبَر
مناســبة اسميْنا خليلٌ وأَحـمد
لرأْس أُولِى النّظم الإمام الذى غبَرْ (٢)

(١) الديوان ص٥٦٠ ،
(٢) الجواهر والدرر جـ٢ ق ٢٠أ

الرّثــــاء :

الرّثـاء مـن الأغراض الرئيسية فى الديوان ويقع فى ثلاثة ومائتى بيت • فله قصيدة فى رثاء أخته " ست الركب " وأخرى فى رثاء شيخه سراج الدين البلقينى ، وتعرض فيها لرثاء شيخه زين الدين العراقى ، وأخرى فى رثاء شيخه زين الدين العراقى • بل أطول قصيدة له هى فى رثاء شيخه سراج الدين البلقينى ، إذ بلغت ثلاثة وعشرين ومائة بيت • وإذا كان الرثاء ليس إلا مدحا ولكنه للأموات وذكر محاسنهم وتعداد مآثرهم وفاءً بعهدهم وشكرًا لصنيعهم ، فإن فى مرثية الحافظ ابن حجر لشيخه البلقينى جَمْع بين الاثنين إذ رثاه ومدح ابنه العلامة جلال الدين البلقينى فى آخر القصيدة كما جمع بين الرثاء والهجاء فى قصيدة قالها عند وفاة شهاب الدين المحلى فى مكة المكرمة ، عندما نما إليه أنّ فى الركب من ينال منه يقول فى رثاء شيخه سراج الدين البلقينى :

يا عيْنِ جودِى لِفقْدِ البَحرِ بالمطَرِ
اذْرى الدّموعَ ولا تُبْقِى ولا تذَرِى
لِوردَ ترديدُ دمْعٍ ذاهِبًا سبقَتْ
شُهُبٌ وجمْرٌ بعيْنِى جرية النّهرِ
محدِّثٌ كم له بالفتْح من مَددِ
تَحقيق رجْوَى نبيِّ اللّه فى عمَرِ
حكَى الجُنيد مقامات بهَا كلمٌ
تذكيْر ناسٍ وتَنبيه لِمُدّكرِ
وبابه يتلَقّى فيْه قاصده
بِشْرٌ وسَهْلٌ ومعْروفٌ به وسَرِى

لو قال هذى السّوار الخُشْب من ذَهبٍ
قامت له حُجَجٌ يُشْرقن كالدُّرَرِ
لهْفِى علَى فقْد شيْخ المسلمين لقد
جلّ المصَاب وفيْه عزّ مُصْطبرى
لهْفِى عليْه سِراجًا كان مُتَّقِدا
يَسْمو ذكا بذكاءٍ غيْر مُنْحسر(١)

وقال فى مرثية شيخه زين الدين العراقى :

مصابٌ لم يُنفِّس للخناقِ
أَصار الدَّمع جارًا للمآقِ
فروضُ الوجْه بَعْد الزّهر ذاوٍ
وروح الفضْل قد بلَغ التَّراقِ
وبحْر الدّمع يَجْرى فى اندِفَاق
وبدْر الصّبر يَسْرى فى انْمِحَاق
وللأحْزان بالقَلب اجْتماعٌ
يُنادِى الصّبْر حىّ علَى الفِراقِ
فيا أَهل الشآم ومصْر فابكوا
على عبد الرّحيم ابن العِراقى
على الحَبْر الذى شَهِدتْ قُروم
له بالانْفِراد علَى اتِّفَاق
علَى حاوى علُوم الشّرع جمْعا
بحفْظ لا يخاف مِن الإباق
فيا أَسفِى عليْه لِحُسْن خُلْقٍ
أرقُّ مِن النُّسيْمات الرِّقاق

(١) الديوان ص ١٣٢

ويا أسفى عليه لحفظ ودٍّ
إذا نُسيت مودّات الرّفاق
ويا أسفى لتقييدات علْم
تولّت بعْده ذات انْطِلاق(١)

وإذا كان سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجُّع ، بيّن الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام(٢) • فإنّ الناظر فى مراثى الحافظ ابن حجر يجد أنها لا تخلو من هذه المعانى كما مرّ بنا فى الامثلة السابقة ، وكما سنرى فى قصيدته التى قالها فى رثاء أخته ست الركب التى كان يعدّها الأخت والأم والأستاذه • كيف لا وقد قال عنها : " وكانت بى برة رفيقة محسنة ، جزاها الله عنى خيرا ، فلقد انتفعت بها وبآدابها مع صغر سنها(٣) " • ويقول فى موضع اخر : "كانت قارئة كاتبة أعجوبة فى الذكاء ، وهى أمى بعد أمى أصبت بها(٤)" • فهو يعبر عن ألمه وحسرته وتلهفه ، ويطلب من رفيقيه أن يقفا وينظرا الى ما حل فى الكون من كارثة فقد كسفت الشمس وهى فى أوج قوتها وظهورها فأظلمت الأرض وأصبح الكون فى حالة من الظلمة والوحشه يعجز اللسان عن وصفها فيقول :

قِفا تَريا حالا تَجلّ عن الوصْف
وقوما انظرا شمس الضّحا وهى فى كسْف(٥)

وأصبح دمع العين لا يشفى وإنما يزيد شجى وحزنا :

---

(١) الديوان ص ٣٣٤
(٢) العمده جـ٢ ص١٤٧ •
(٣) المجمع المؤسس جـ٢ ق١٢٦ أ •
(٤) أنباء الغمر جـ٣ ص٣٠٢ •
(٥) الديوان ص ٣٣٠

وجُودا مَعى فضْلا بفيْض مَدامِع
وإن كان دمع العيْن يشْجى ولا يَشْفِى

ويذكر أنه ليس عجبا الموت تلهفا ، وإنما العجب العيش من غير تلهف ولا حسرة يقول :

ولا تعْجبا أنى أمُوتُ تلهُّفًا
بلى إنْ أعِش من غيْر لهْفٍ فيا لهْفِ

ولكن قوة الإيمان بالله لا يطغى عليها شىء فنراها تتغلب على الشاعر فيثوب إلى رشده قائلا :

إلى الله إنا راجعُون وحسْبنا
ونِعْم الوكيل الله ذو المَنّ واللطف

ثم يبكى شمائلها وصفاتها الكريمة التى غالها كثيف الثرى ويبكى العلم والحلم والعفّة ، فقد قارنت مع عز الهدى هزّة الطرف وجمعت بين المحاسن النفسية والجسدية فيقول :

بكيتُ علَى تلك الشّمائل غالها
كثيف الثّرى بعْد التّنعُّم واللطْف
بكيتُ علَى حلم وعلّمٍ وعفّةٍ
تقارن مع عزّ الهُدَى هزّة الطّرف

ويشبهها بغصن اجتث أصله قبل أن يثمر وبدينار عاجله التفرق بالصرف فيقول :

بكيتُ علَى الغُصْن الذى اجتُثَّ أصلُه
ولم أجْن من أزهاره ثمَر القطْف
بكيتُ علَى دينار وجْهٍ ملكته
فعاجلَنِى فيه التّفرق بالصّرف

ويشبّهها بالبدر وبالشمس وقد توارت بالحجاب ولكنه حجاب من تراب ، وفى ذلك خرق للعرف وخروج عن المألوف يقول :

بكيتُ علَى البَدرِ المنقّلِ للثّوى
ولكنّه مازال فى القلْبِ والطّرف
وشمسٌ توارتْ بالحِجَابِ من الثّرَى
وما الشمس تأوى للتُّراب من العُرف

ويصور حالها عند الموت صورة رائعة معبّرة مثيرة للحزن والأسى .فيشبهها بظبيةٍ تطاردها مخالب الصياد ففرت تطلب النجاة بنفسها،مخلّفة أولادها فلما أيقنت أن لا نجاة وأنها حانت ساعة الفراق لم تشغلها رهبة الموت عن التفكير بأبنائها والتعلق بهم فالتفتت إليهم التفاتةَ الوداع الأخيرة التفاتةً ملؤها اليأس والأسى يقول :

وظبية أُنْسٍ نُفِّرت والتفاتُها
لِمَا خلّفت عند التّفرّق من خَشْفِ
صغيريْن ذاقا فجْعة اليُتْم بَعْدها
وذلك حال ليْس يحتاج للكشْفِ

ففى مثل هذا الموقف الحزين تخور القوى ويُفقد الصبر ولكنه مع كل ذلك استطاع الثبات فى موقف هو أعظم هولًا من موقف القتال وأشد مرارةً من الحرب والنّزال :

وقِيْل تَصبَّر قلتُ هيْهات إنّما
غزَتْنى بجيْش من همُومِىَ مُصْطفّ
ثبتُّ وقد لاقيْت حرب فِراقِها
فيا ليتَ أنّى قد فررت من الزّحف

ثم يخبرنا عن موقفها عند الموت وما كانت عليه من إيمان بالله وهبها رباطة جأش ورضًا بقضاء الله :

تقول وقد آن الرَّحيل وشاهدتْ
دواعِى فراق لا تُدافَع بالكفِّ

أتى أمر ربّى مرحبًا بقضائه
فسُبحان مُؤْويها من الخُلْد فى كهْفِ

وإذا كان قد تمكن من الثبات وهى على وشك الفراق فانه بعد الفراق وبعد أن نفذ قضاء الله قد ذهب قلبه وفقد صبره فأصبح يتساءل عنه قائلا :

فأيَن اصْطبارى بعْدها قد فقدته
كما أنَّ قلْبى قد تولَّى بلا خُلْفِ

ثم يناديها ويصف حاله بعدها وما يعانيه :

تولُّه مهْجور وأنَّة مفْرد
وذلَّة مقْهورٍ ووحشْة مُستخْفِ

وانه فى حزن وغبن إلى أن يراها يوم القيامة فى زمرة المصطفين الأخيار :

فَقلْبىَ مِن يوْم النَّوى فى تغابن
إلى أن أرى فىالحشر شخصك فى صَفِّى

إنها مرثية تفيض حزْنًا وتتدفق عاطفة ، وتعبِّر عن نفس متلهفة وفؤاد مفجوع .

وبالنظر فى هذه المرثية وبقية مراثيه يمكن القول انها مراث غاية فى الجودة . فقد كانت عاطفته نحو أخته وشيخيه عاطفة صادقة لايشوبها زيف أوتملق ومن ثم كانت مراثيه

لهم صورة صادقة لإحساسه ومشاعره • ويرى الناظر فى هذه المراثى أنّ نعوت الجوده تنطبق عليها(١) • فقد نعت بالمعانى النفسية والفضائل المعنويةَ كالعفة والعلم والعقل والحلم وإن كانت لاتخلو من إشارة إلى المحاسن الظاهرة إلا أن التركيز كان على الفضائل النفسية اكثر • وذلك مثل قوله فى اخته ست الركب :

بكيتُ علَى تلك الشّمائِل غالَها
كثيفُ الثَّرى بَعْدَ التّنعم واللطْفِ
بكيتُ علَى حِلْم وعِلْم وعِفَّة
تقارن مع عزّ الهُدَى هزّة الطّرْفِ

وفى مرثيته لشيخيه البلقينى والعراقى نجده كذلك يلتزم بهذه الفضائل ، فينعت بالتقوى والعلم ومعرفة دقائقه وحل مشكلاته مثاله :

فى الإسْم والعِلْم والتّقْوى قد اجتمعا
وإنّما افترقا فى العَصْر والعُمُرِ(٢)

وقوله :

مَن للفَتاوِى وحلّ المُشْكلاتِ إذا
جلَّ الخِطاب وظلَّ القَوم فى فِكَر
لمن يكون اختلاف النّاس إن تَقِفَت
عَمْياءُ والحكم فِيْها غيْر مُسْتطر

(١) كما يذهب لذلك يعظ النقاد ومنهم قدامة بن جعفر انظر كتابه نقد الشعر ص٩٦ •
(٢) الديوان ص ١٣٣

لهم صورة صادقة لإحساسه ومشاعره • ويرى الناظر فى هذه المراثى أنّ نعوت الجوده تنطبق عليها (١) • فقد نعت بالمعانى النفسية والفضائل المعنويةَ كالعفة والعلم والعقل والحلم وإن كانت لاتخلو من إشارة إلى المحاسن الظاهرة إلا أن التركيز كان على الفضائل النفسية اكثر • وذلك مثل قوله فى اخته ست الركب :

بكيتُ علَى تلك الشّمائل غالَها
كثيف الثّرى بَعْد التّنعم واللطْفِ
بكيتُ علَى حِلْم وعِلْم وعفّة
تقارن مع عزّ الهُدَى هزّة الطّرْفِ

وفى مرثيته لشيخيه البلقينى والعراقى نجده كذلك يلتزم بهذه الفضائل ، فينعت بالتقوى والعلم ومعرفة دقائقه وحل مشكلاته مثاله :

فىالإسْم والعِلْم والتّقْوى قداجتمعا
وإنّما افترقا فى العَصْر والعُمُرِ (٢)

وقوله :

مَن للفَتاوِى وحلّ المُشْكلاتِ إذا
جلّ الخِطاب وظلّ القَوم فى فِكَر
لمن يكون اختلاف النّاس إن تَفقتْ
عَمْياءُ والحكم فيْها غيْر مُسْتطر

---

(١) كما يذهب لذلك بعظ النقاد ومنهم قدامة بن جعفر انظر كتابه نقد الشعر ص٩٦ •
(٢) الديوان ص ١٣٣

وقوله فى شيخه العراقى :

يُقضِّى اليَوْم فى تَصْنيف علْمٍ
وطول تهجُّد فى الليْل واقى
فبالصُّحف الكريمة فى اصْطِباح
وبالتُّحف الجَسيمة فى اغْتباق
ولم يُفْتَن لكأْسٍ بالتثام
ولم يُلْهم لِظَبْيٍ باعْتناق
ويُقْرى طالبى علْم ويَقْرى
قِرَى وقِراءةً ذات اتِّسَاق
فيا أَسَفى عليْه لحُسن خلْق
أَرَقّ من النُّسيمات الرّقاق(١)

ومن الامثلة على نعته بالذكاء والكرم قوله فى رثاء شيخه البلقينى :

لولا نداه خَشِيْنا نار فكْرته
لكنّه بنَداه مُطْفأُ الشَّرر(٢)

ويلاحظ أنه لم يبالغ كثيرًا فى مراثيه وان النعوت التى نعت بها شيخيه غير مستحيلة او مختلفة وإنما وصفهم بما فيهم من صفات الكرم وحسن الخلق والصبر والعلم والقدرة على ابتكار المعانى والقاء الدرس من غير ضجر او ملل وحل المعضلات . مثاله :

مَن للفضائِل أو من للفَواضِل او
مَن للمسائِل يُلْقِيْها بلا ضَجر

---

(١) الديوان ص ٢٤٣
(٢) نفس المصدر ص ١٢٧

مَن للفوائِـد أو من للعَوائِـد او
مَـن للقَواعِـد يبنيهـا بِلا خَـور
مَن للفَتاوى وحـلّ المُشْكـلات إذا
جَـلَّ الخِـطاب وظَـلَّ القَـومُ فى فِكَـر (١)

ونـعت بـالـعقـل والمـنـطق وقـوة الحجة والقدرة على الإقناع فقال :

لوقال هذى السّوارِى الخشْب من ذَهبٍ
قامـتْ لـه حجَـجٌ يُشْرِقْـن كالـدُّرَرِ
وإن تكلّـم يومـا فـى منَاظـرةٍ
يَـدقُّ معْنـاهُ عـن إدراك ذِى نظَـر (٢)

وإذا كـان الرّثـاء يُبنى على التلهف والجزع فإنّ ذلك مـانـلمـسه فى المـراثى التى بين أيدينا وبالأخص مرثيته فى أختـه ست الركـب ، تلـك المرثية التى تبعث الأحزان وتثير فى الـنـفس كـوامـن الأشجان • فهى مـفعمـة بـالعاطفة المخلصة والانفعال الصادق • مع سهولة اللفظ ووضوح المعنى •

---

(١) الديوان ص ١٢٤
(٢) نفس المصدر ص ١٢٥

الألغـــاز :

اللغز أو الأحجية هى " أن يأتى المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ، ويأتى بعبارات يدل ظاهرها على غيره ، وباطنها عليه "(١) • والألغاز من الأغراض الشعرية التى شاعت وانتشرت فى هذا العصر واقبل عليها الشعراء «واستخدموها فى تراسلهم وتفكههم ورياضتهم الذهنية»(٢) ولم يكن حظ الديوان الذى بين أيدينا فى هذا المجال بالهين فقد بلغت فيه الألغاز تسعة وعشرين لغزا فى خمسة وتسعين بيتا والتى أجاب عنها سبعة عشر لغزا فى اربعين ومائة بيت تقريبا

وإذا كانت الألغاز " بحاجة الى سعة فكرة وقوة ملاحظة وإحاطة بالحقائق وقدرة على المماثلة وسيطرة لغوية وحيلة على التصحيف ، وتشابه الحروف تعين على التعمية التى هى اساس الألغاز والمحاجات "(٣) ، فإن الحافظ ابن حجر قد عرف بالذكاء وسرعة حل الألغاز كما قال عنه تلميذه العلامة السخاوى : " وأما الألغاز فلم أسمع بأسرع منه حلاً لها فى عصره "(٤) • وقد وردت الألغاز فى مقطعات وقصائد كان يراسل بها أصدقاءه فى مناسبات مختلفة ، أو يجيب على الغازهم ورسائلهم • مثال ذلك قصيدته التى قالها مجيبا الشيخ إبراهيم الجحافى الذى هناه بسلامة الوصول الى تعز ، فأجابه بقصيدة ختمها بلغز على سبيل الفكاهة والمداعبة ، فقال :

---

(١) ابن حجة خزانة الأدب : جـ٢ ص٣٤٢ •
(٢) مطالعات فى الشعر المملوكى والعثمانى ص١٨٠ •
(٣) عصر سلاطين المماليك م٨ ص١٧١ •
(٤) الجواهر والدرر جـ٢ ق١٢٤ •

وهات فسّر ما اسمٌ ذاتٍ إذا
ما صحّفوه كان مأوى الرُّضاب
وإنّ تبدّل مع ذا أوّلا
منه ترى لغزًا يروم الجواب
وابق قرير العين تحظى بها
من ملكٍ عالي الذُّرى والجناب
ما لاح نجم في رياضٍ وما
أشرق في أُفق سماءٍ وغاب(١)

وأجاب القاضي مجد الدين بن مكانس عن لغز في سيف بقصيدة تبلغ أربعة وعشرين بيتا . يقول في أولها :

أمولاى مجد الدّين والبارع الذى
له الفضل إن صاغ القريض قرين
فتنت بلغزٍ منك تصحيف عكسه
فتى بثّ شكوى والحديث شُجون(٢)

وتبادل الألغاز مع كثير من أدباء وشعراء عصره مثل الأديب شمس الدين محمد بن محمد البغدادى الزركشي . والشيخ شمس الدين محمد بن على بن عبد الكريم الهيتمى ، والبدر محمد بن أبى بكر بن عمر بن الدمامينى ، والنجم محمد بن أبى بكر بن على بن يوسف المرجانى ، والقاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن عمر بن كميل ، والرّضى أبو بكر بن أبى المعالى الزبيدى الناشرى ، وشاعر الشام جلال الدين أبو المعالى محمد ابن أحمد بن سليمان بن خطيب داريّا وغيرهم ومن الأمثلة على ذلك ، ما كتبه اليه الزركشي في غزالة :

---

(١) الديوان ص ٩٤
(٢) نفس المصدر ص ٣٠٨

أيا حاوىَ العِلم منْهاجه
يَدلُّ الأنَام علَى فضْله
بِتنبيهكَ اليَوم أيقظْتنا
فما مثْل جاهد مِن أجله (١)

فأجاب :

غزالة أُفْقِ السَّما أشرقت
ولا مثْل لغْزِك أو حلِّه
وربّ الحِجَى أنتَ فارفق بنا
فشعْرك يعْجز عن مثْلِه (٢)

وكتب اليه الحافظ الصلاح ابو الصفا خليل بن محمد الأقفهيسى ، ملغزًا فى سكين :

يا سَيّدًا عن عُلاه
كلّ الأفاضِل قصَّر
صحِّف وأنت المُفَدّى
مثال منزل قَسْور

فأجابه :

لك الكلامُ رقيقٌ
والنّظم منّه محَرَّر
فاذْبَح بلغْزك من قَد
غدا يُعَادِيك وانْحَرْ (٣)

وقد تناول فى الغازه موضوعات كثيرة ، مثله فى ذلك

---

(١) الديوان ص ٢٦٥
(٢) نفس المصدر ص ٢٦٦
(٣) نفس المصدر ص ١٧١ - ١٧٢

مثل غيره من شعراء عصره . فالغز فى : مصحف ،وفى عرفه ، والعقل ، ونصير (اسم شخص) ، وإسماعيل ، وملك ، والغز فى : ناقه ، وطاسه، وسيف ، ومفتاح ، وغيرها مثاله قوله فى أنس :

لك أَخْبَار معَالٍ
خَبَرها فى النَّاس أَحْسَنْ
وسَنَاءٌ فى اطّرادٍ
بانْعكاس الضِّد أَعْلَن
أَيّما اسم هو فعْل
مع تحريف يُعيَّن
لم يَبنْ إن صحَّفوه
ومعَ الحَذْف تبيَّن(١)

وقوله فى إسماعيل :

لِىَ عامٌ ساءَ قلْبى
فيه بُعْدِى عن حبيبى
أَضمَر القَلب اسمَه عن
كلِّ لاحٍ ورقيْب(٢)

وإذا كانت هذه أبرز الاغراض فإنّ الديوان قد حوى كثيرًا من الأغراض الأخرى ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، سواء كانت أغراضا قديمة أو أغراضا شاعت فى عصره . فإلى جانب المدح والرّثاء والإخوانيات والغزل هناك الوصف . واستمع اليه يصف حديقة لأحد الفقهاء ، فيقول :

يا سيّد الفُقهاء لو رافقْتنا
لحديقةٍ أَمواهُها تَتدفّقُ

(١) الديوان ص١٦٣
(٢) نفس المصدر ص٦٤

لرأيتَ فيْها النّهر وهو مُسلْسلٌ
بيَدِ الصَّبا والمَاءُ ماءُ مطْلَقُ(١)

وقال يصف روضة :

للّه مقْصدنا البَهى بروْضَةٍ
فيْها بساط الزّهر ظَلّ مزخْرفا
حَفّت بمنظره السّعود وأبصرتْ
عيْنى به طيْر السّعادةِ رفْرفا(٢)

وهناك الهجاء . ومنه قوله :

أفٍّ لدَعْو الاتّحاد فأهلُها
منها جهُم فى الدّين أصْبح أعوَجا
إنْ قمْت أهجوهم فإنّى باتّبا
عِ السُّنّة الغرّاءِ أقْوم مَنْهجا(٣)

ومن الهجاء ما قاله فى شخص يدعى ميمون نمى الى علمه انه نال من شهاب الدين المحلى بعد وفاته فى مكه . فيقول :

أستغفر اللّه لا دِيْن ولا شَرف
لذا المشُوم الذى يُعْزى لميْمون
يقُول فرعَون قد ذاق الرّدَى فمتى
هامان يتبعُه قول المجانيْن
مهلاً أتَشْتِم فضَ اللّه فاك فتىً
سَمىّ خيْر الورَى يا شرّ مأبُون

. . .

---

(١) الديوان ص ٢٣٩
(٢) نفس المصدر ص ٢٣٨
(٣) نفس المصدر ص ٨٢

لو كنتُ مثلك مقْداما على كـذِب
لقلتُ أنّ بموسى وصْف قارون
لكنْزِك المال لا بِرًّا ولا صِلَة
الا ادّخار المعْدود وموْزون
تَبْدو مخافة أن تلْقى الفقير إذا
وافاكَ يسْأل فى زىّ المساكيْن
أضعْتَ عمركَ لا فى العِلْم تَجْمعه
ولا يِنَفْع الورَى بالبر فى الحيْن
فان تُصِبْك من الأيَّام قارعة
لم يُبْك منْك على دنيا ولا دِيْن(١)

وهناك النظم العلمى الذى يرتبط بمهنته فقد كان قاضيا وفقيها ومحدثا ومفتيا • من ذلك قوله :

من المعَرّب عدّ التّاج كزٌ وقد
الحقْتُ كدّ وضمّتها الأساطِيْر
السّلْسبيل وطه كُوِّرتْ بيَعُ
رُومٌ وطوبَى وسِجّيل وكافُور(٢)

• • • الخ

وقوله فى عد الصحابة المبشرين بالجنة :

مِن الصّحابة عشْرٌ بُشّروا برضَى
ربّ الورَى فلقُوا منّه مُنَى الأمل
سعْد سعِيْدٌ زبيْر طلْحةٌ عُمَرٌ
عَتيقٌ عامرٌ عثمن ابن عوف عَلِى(٣)

---

(١) الديوان ص ٧٧
(٢) نفس المصدر ص ١٤٨
(٣) نفس المصدر ص ٢٧٧

وقوله فى ذكر السبعة الذين يظلهم الله فى ظله :

وقال النّبىّ المصطفى ان سبعة
يظلّهم اللّه الكريم بظلّه
مُحِبٌ عفيفٌ ناشىءٌ مُتَصدّق
وباكٍ مُصلّ والإمام بعدله (١)

وقال داعيا الى التوبة :

لقد آن أنْ نَتّقى خالِقَنا
اليْه المآب ومنْه النُّشور
فنحن بِصَرف الرّدى مالنا
جميْعًا من الموت واقٍ نصير (٢)

وقال :

خليلىّ ولّى العُمْر منّا ولم نتُب
ونَنْوى فِعَال الصّالِحات ولكنّا
فحتّى متى نَبْنى بيوتًا مَشيّدةً
وأعمارُنا منّا تهدُّ وما تُبْقى (٣)

وفى الدّيوان إجابات عن أسئلة وجهت إليه بلغت سبعة وثمانين بيتا فى عدة قصائد ومقطوعات من قوله مجيبا عن إحدى المسائل :

مِن بعْد حمْد اللّهِ مَن لا يَعْزب
عن علْمه بادٍ ولا مُسْتغرب
ثم الصّلاة علَى النّبى محمد
والآلِ والأتباع صحبٍ يَصْحب

(١) الديوان ص ٣٨٠
(٢) نفس المصدر ص ١٥٧
(٣) نفس المصدر ص ٣٢١

قال الفقير العَبد أحمد من غدا
بيّن الأنام لِعَسقلانٍ يُنْسب

العلم أفضل ما اقْتناه مكلّف
لاسيّما الشّرعى فهو المَطْلب

ولقد وقفْتُ علَى سُؤال مهذّب
فى النّظْم يَقْرب من عُلاه الكوكبْ

مُسْتكشِفًا عن حكْم مسْألةٍ لهَا
غورٌ وعلّةٌ حكْمها تُستصْعب

إنْ كان ذو الزّوجيْن يُحْجب عنْهما
أو كان عن إحداهمَا يَتَحجّبْ

فالأوّل العِنّين والثّانى كذا
فى الحُكم كالأُخرى التى لا تُقْربَ(١)

وهناك الشعر الذى يناجى فيه ربّه ويشكو اليه ، أو يذم نفسه. من ذلك قوله محاكيا سلفه من علماء الأمة مثل الإمام ابن القيم الجوزيه فى قوله :

بُنَىّ أبى بكر كثير ذنُوبه
فليْس علَى من نال من عرضه وِزْر(٢)

فيقول فى قصيدة تبلغ ثلاثين بيتا :

بُنىّ علىّ قد تَفاقَم وزْرُهْ
فليْس علَى من خاضَ فى عرْضهِ وزْرْ

بُنىّ علىّ مثل ما قال ربُّه
ظَلُومٌ كنُودٌ شأْنه الغدْر والمَكْر

---

(١) الديوان ص ١٧
(٢) انظر الديوان هامش ص ١٤٠

بُنيّ على خاب والله سعْيه
إذا لم يكن في الصّالحيْن له ذِكْرُ(١)

ويقول :

مَن للغريب مُساعدٌ ومُداري
غير اللطيف بجُوده المِدْراري
يارَبّ دعوة مذنب أوزارهُ
عَظُمت فليْس لها سِوَى الغَفّار
مَن للغريْب سِواكَ يجْبُر كسْرهُ
من قِلّة الأصحاب والأنصار

• • •

حَسْبي رضاك رِضىً ولَو سَخِطَ الوَرَى
إنّ الرّضى حقّاً يُقيل عِثاري(٢)

ولا يخلو الدّيوان من بعض أبيات السخرية والنقد الاجتماعي والسياسي والنصح لبعض فئات المجتمع . مثال ذلك قوله :

قُل لأمْرِ النّبيّ سَمْعا وطاعه
فهو قد أوْجَب الإلهُ اتّباعه

• • •

إنّما أفسَد الرّعايا ولاةٌ
مالهُم في حلالِ رزْقٍ قناعه
وقديْماً قد قِيْل إن الرّعايا
تَبع للمليْك فيْما أذاعه

(١) الديوان ص ١٤٠
(٢) نفس المصدر ص ١٥١
(٣) نفس المصدر ص ١١٧

إنّ فى كثرة الشّرار منَ النّا
س دليل على اقتراب السّاعة

ويقول :

حاكمٌ يأخذ الرّشا
مِن شهود مُبهذله
فمتى قال زنْ يقل
هاك فى الحال عدّ له (١)

وقال :

الدّويدار قال لى
أنا أقضى مآربك
قم زن المال قلتُ لا
ستر اللّهُ جانبك (٢)

وقال :

رأينا مُعيدا جالسا وسط حلقة
فقالوا تعالوا تسمعوا الأوحد الفَرْدا
سيُبدى لكم لمّا يُعيد فضائلا
فلمّا رآنا لا أعاد ولا أبْدا (٣)

ويقول ناصحا للتجار :

يا معشر التّجار أموالكم
أدوا زكاتها ولا تكابروا
منْ قبل أنْ تُصيبكُم قارعة
لأنكم ألهاكُم التّكاثُر (٤)

---

(١) الديوان ص ١٧٢
(٢) نفس المصدر ص ٦٧
(٣) نفس المصدر ص ١١٤
(٤) نفس المصدر ص ١٥٣

المؤثرات فى شعره :

لا شك أنّ أى شاعر مهما كان موهوبا لم يصل إلى ما وصل إليه ولم تتكون شخصيته الأدبية حتى أخذ نفسه بالثقافة الشعرية من قراءة واستظهار لشعر غيره سواء كان ذلك الشعر تراثا أم إبداعا معاصرا • ومهما كانت قدرة الشاعر على الابتكار فان ابداعه لابد أن يكون خاضعا لما فى مخزونه من ثقافة ومحفوظات كما لا يخلو من التأثر والتأثير ببيئته ومجتمعه •

واذا نظرنا الى شعر الحافظ ابن حجر نجد لثقافته الدينيه وتضلعه فى علوم القرآن والحديث والفقه أثرا لا يخفى على إنتاجه الشعرى • ومن الأمثلة على ذلك قوله :

فليحذر المَرءُ المُخالفُ أمره

من فتنة أو من عذاب يؤلم (١)

استلهم المعنى من قول الله تعالى : ﴿ فَلْيَحذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُون عن أمره أنْ تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أو يُصِيبَهُم عَذَابٌ أَلِيم ﴾ النور٦٣ • وقوله :

تَبوّؤُ الدَّار والإيمانَ قبْل وقدْ

آووا وفوا نَصَروا فازُوا رقوا شَرَفا (٢)

من قوله تعالى : والّذِينَ تَبوّءُوا الدّارَ والإيمَٰن من قَبْلِهم يُحِبّونَ مَنْ هاجَرَ إليْهِمْ ولا يَجِدونَ فِى صُدُورِهمْ حَاجَةً مِمّا أُوتُو ويُؤْثِرونَ علَى أنْفُسِهمْ ولَو كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ومَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فأُولئِكَ هُمْ المُفْلِحُونَ ﴾ الحشر٩ •

---

(١) الديوان ص٩٤
(٢) نفس المصدر ص١٥

وقوله :

أنتَ المكوَّنُ جوهرا

وقديمُ أصلكَ كانَ مِنْ ما (١)

من قوله تعالى : ﴿ واللَّهُ خَلَقَ كلَّ دابَّة منْ مَاءٍ ﴾ النور ٤٥ .

وقوله :

أزال عنكَ تكاليفَ الحَياةِ فما

تتلُو إذا شِئتَ إلا آخر الزُّمَرِ (٢)

من قوله تعالى : ﴿ وسيقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلى الجَنَّة زُمَرًا ﴾ الزمر ٧٣ .

وقوله :

طويتَ عنَّا بساط العلْم مُعْتليًا

فاهْنَأْ بمَقْعد صِدْقٍ عنْد مُقتدرٍ (٣)

من قوله تعالى: ﴿ فى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيْكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ القمر ٥٥

وقوله :

فقلتُ كيْف أيا شمْسى ويا قمرى

وإنّما خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عجَلِ (٤)

من قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنْسانُ من عَجَلٍ سَأُوريكم ايتى فَلا تَستعجلون ﴾ الأنبياء ٣٧ .

ومن مظاهر تأثره بالحديث الشريف والمغازى والسير قوله فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الديوان ص ٣٨٩
(٢) نفس المصدر ص ١٢٦
(٣) نفس المصدر ص ١٢٦
(٤) نفس المصدر ص

من بعض ما أُوتيت خمس خصائص
لم يُعطها الرُّسل الذين تقدَّموا
جُعلت لكَ الأرض البسيطة مسجدًا
طُهْرًا فصلَّى النَّاس أو فتيمَّموا
ونُصرت بالرُّعب المُروِّع قلبَ مَن
عاداكَ مِنْ شهر فأصبح يُهزَم
وأُعِيدت الأنفالُ حِلًّا بعد أن
كانت محرَّمةً فطابَ المغنم
وبُعثتَ للثَّقليْن ترشدهم إلى
الدِّين القويم وسيْف دينك قيِّم
وخُصِصْتَ فضلًا بالشَّفاعة فى غدٍ
فالمُسلمونَ بفضْلها قد عُمِّموا
ومقامُكَ المحمود فى يوم القضا
حيْثُ السَّعيد رَجاهُ نفْسٌ تَسْلَم (١)

وقال :

روَى وأشار مُقْتبِسًا إليكم
خيارُ النَّاسِ أحسنهم قضاءً (٢)

من الحديث الشريف : ((خِيارُ النَّاس أحسنُهم قضاء))(٣) .

وكان لمصطلحات العلوم وأسماء الرجال والمؤلفات دورها فى شعره ، فكثيرا ما تطالعنا فى الديوان أسماء الأعلام والمؤلفات . أو الكلمات الاصطلاحيه . وذلك تأثُّر بعلم الحديث الذى يعنى بالرجال وتوثيقهم وترجمتهم ومعرفة أخبارهم .

---

(١) الديوان ص٥٥ وانظر نفس المصدر هامش ص ٥
(٢) الديوان ص٣٣
(٣) انظر الديوان هامش ص ٣٣

ومن المصطلحات التى وردت فى الديوان • قوله :

على التُّقى والنَّدى والحلْم مقتصر
فاعْجب بِمقْصُور شيءٍ وهُو مَمْدودُ (١)

وقوله :

يَرْوِى أحاديثَ النَّوال صَحيحة
بِمديَّح من جوده ومسلْسل (٢)

وقوله :

لأَفوز بالغُنْمين جاهك والنَّدى
ويكون فرْضى كاملا بتَنقُّلى (٣)

ومن الأسماء • قوله :

وحدَّثت فى يوميْه فىالبأْس والنَّدى
صحيحَ حديْثٍ عن عطَا ومُجاهدِ (٤)

وقوله :

فكعْب الجُود لا يرضَى فِداءً
لِنَعْلكَ وهو رَأسٌ فى السَّخاءِ
وسنَّ بمدحك ابنُ زهيْر كعْب
لمثلى منْك جائِزةَ الثَّناءِ (٥)

وقوله موريا :

لئِن كان فى الأقمار أصْبح كاملاً
فإنَّ عذولِى فيْه أمْسى مُبَرَّدا

---

(١) الديوان ص ٩٦
(٢) نفس المصدر ص ٢٤٤
(٣) نفس المصدر ص ٢٤٦
(٤) نفس المصدر ص ١٠١
(٥) نفس المصدر ص ١٠٢

حَلِيْم فقَيْس فى النَّدِىّ مجهَّل

كريمٌ ودَعْ ذكرَ بن مامة فى النَّدى(١)

وقوله :

وقد تَعلَّى على كيوان مَنْزلةً

وفاقَ ملكًا فمن كِسْرى وإفْرِيدُ

. . .

وفسَّرت لِأَمانِيْنا مكارمةٌ

ولابن عبَّاس فى التَّفْسير تَجْويدُ(٢)

وقوله :

ففىالبيْن لاتَبْغُوا له القَتْل إنَّ مِنْ

علامة أهْل البغْى مَقْتل عمَّار(٣)

وقوله :

سأَجمع فى ذَمّ الزَّمان وذمِّهم

كجمْع أَبى جاد الحُروفَ مِن الهجَا(٤)

وقوله :

مَنْ لو رآه بن إدريْس الامامُ إذًا

أقرَّ أوقرَّ عيْنا مِنْه بالنَّظر

حكَى الجنيد مقامات بها كَلِمٌ

تذكيرٌ ناس وتَنبيةٌ لِمُدَّكِر

. . .

---

(١) الديوان ص ١٠
(٢) نفس المصدر ص ٩٧
(٣) نفس المصدر ص ١٣٤
(٤) نفس المصدر ص ٨٢

سَل بن عدلان عن تَحقيقه وأبا
حيَّان واعْدِل إذا حكّمت واعْتبر

وقوله :

إنْ فُهتَ بالفقْه فُقْت الأقدمين ذَكا
وصُلْت بالحقّ صوْل الصّارم الذَّكر
وإن تكلّمت في الأُصليْن فاعْلُ وطُلْ
وقلْ ولا فخْر ما الرّازي بمُفتخر
وإن تُفسّر تُحقّق كلّ مُشْتبه
فسيْف ذهْنك شقّاق على الطّبري
وليْس يرفَع سيْبَويْه إذا
نصَبْت للنّحو طرْفًا غيْر مُنْكسر
ومن قديْم زَمانٍ في الحديْث لقَد
رقيْت في الحِفْظ والعَلْيا إلى الزُّهُر(١)

---

(١) الديوان ص ١٣٠

اسفاره ورحلاته :

ولأسفاره ورحلاته دَورها . فقد تركت طابعَها على شعره. فكثيرًا ما اشتاق وحن إلى أهله ووطنه ، وكثيرًا ما شكا من عنت البعد ومشقة الأسفار .

فها هو يتشوق الى ابنته الصغيره قائلا :

تُرَى هل أُلاقِي زين خاتونَ بَعْدما
تناءَت بنا السُّكْنَى وعادَ المُودِّعُ
وهل التقى تلكَ الطُّفيْلة فرحةً
قريْبا كمَا فارقْتُها وهى ترضعُ
صغيرة سنٍّ نابها أمْر فُرْقتي
فمن أجلها سِنُّ النَّدامةِ يُقْرع(١)

وقال :

مُصابى بسهْم وافرٍ مِنْ فراقِهِمْ
سريع فقَلْبى منْه شَرُّ مُصابِى
تركتُ شَراب النِّيل حلْوًا وبارِدًا
فكم خدْعةٍ لِى بعْده بِسَرابِ
وفارقتُ ما لا طاقةً بفراقه
فما طرَق السُّلْوان ساحةَ بابِى
وكم قَطعتْ عيْسِى وواصلَت السُّرى
مهَامِه فى البَيْداءِ جِدَّ صِعَابِ(٢)

ومن ذلك قوله :

عاد المُتَيَّمَ شَوْقٌ كان قد ذهَب
وزاد فى قلْبه طُول النَّوى لهَبا

(١) الديوان ص ٣٠٩
(٢) نفس المصدر ص ٣٩

. . . .

بيْن الفُؤادِ وبيْن الصَّبْر فاصِلَةٌ
واسأل رحيْلى عنْهم تَعْرف السَّببا
رفعْتُ صبْرِيَ عنّى إذ رحلْتُ وقَد
لقيْت فى سفَرى مِن بعْدهم نَصَبا

. . .

قد اتخذتُ شهُودًا بالذى صنَعت
أيدى النّوى بيَ إنْ أنكرتُم النُّوبا (١)
الحُزْنَ فالهَمّ فالدّمع المُورّد فالطّ
رْف المسهّد فالأَوصاب فالتّعَبا (1)

ومن خلال هذه الأسفار التقى بالكثير من الفقهاء والمحدثين والأدباء واللغويين . وكان نتيجة لذلك الكثير من القصائد الاخوانية والمراسلات الشعرية والمطارحات والاستدعاءات والألغاز . من ذلك قصيدة الشيخ إسماعيل الجحا فى الذى هنأه بها بسلامة الوصول الى تعز . فأجابه الحافظ ابن حجر بقصيدة قال فيها :

أهْلا بها حسْناءَ رُوْد الشّباب
وافتْ لنا سافِرة للنّقاب
مُفْتَرّة عن جوهَر رائِع
لكنَّ مأْواه الثّنايا العِذاب(٢)

وبلغت سبعةً وعشرين بيتا .

وكتب إليه العلامة إسماعيل بن أبى بكر المقرى ، صاحب عنوان الشرف الوافى :

---

(١) الديوان ص ٤٥
(٢) الديوان ص ٤٠ وانظر الجواهر والدرر جـ٢ ق ١٨ أ .

قُل للشِّهاب بن علىّ بن حجَر
سُورًا علَى مودّتى من الغِيَر
فسُور ودّى فيك قد بنيْته
من الصّفا والمَروتيْن والحَجَر

ثم التقيا فى مكة فأجابه بقصيدة يقول فى أولها :

عوذْتُ سُور الوُدّ فيك بالسُّور
فهْو على العَلْياءِ بالحُكْم حجَرْ
يا من رقَى فى المجْد أنْهى غاية
بالحَقّ أعْيَت مَن مضَى ومن غبَر (١)

وكتب اليه العلامه البدر ابو عبد الله محمد بن أبى بكر ابن سلامة (٢) الماردينى الحنفى ، نزيل حلب ، يستدعى تقريرا على تصانيفه قائلا :

لبَدر سَنا علْياك أبْهى من البدْر
وطلعتكَ الزّهراءُ كالكوكب الدُّرّى
مُحيّاك بَدْر بالجمال مُنوّر
ويُمْناك بحْر بالجميل مع اليُسْر

... الخ

فأجاب الحافظ ابن حجر بقصيدة بلغت تسعا وعشرين بيتا . منها قوله :

بدتْ فى سَماءِ الحُسْن تُزْهر كالدُّر
منورة تَرْوى الحديثَ عن الزُّهْر

---

(١) الديوان ص ١٤٤-١٤٥ ، وانظر الجواهر والدرر جـ٢ ق ١٢٠ .
(٢) انظر الديوان ص ١٧٦

بَديعَةُ حسْنٍ قد سَبا وجْهُ طرْسِها
القُلوب ورقْم النقْش كالخال والثّغر (١)

وكتب اليه الرضى ابو بكر بن ابى المعالى الزبيدى الناشرى (٢) ملغزا :

حبيْبى فى لُباب القَلْبِ منّى
إذا ما آخرًا صحّفت مِنْه
فيامَنْ فاقَ فى فهْمِ المعَانى
لقد أعربْتُ عنْه فاعْرِفنْه

فأجابه :

لكَ الرّأْى الرّشيد بحُبّ بدْرٍ
إذا سفَر اسْتضاءَ البَدر منْه
تأمّل نوره بالقَلب تجلى
علَى الرّسم الذى ما حلْتُ عنْه (٣)

وكتب إلى العلامة شاعر الشام جلال الدين (٤) ابى المعالى محمد بن احمد بن سليمان ابن خطيب داريا ، ملغزا ، منها قوله :

يا إمامًا قد اغْتَدى
للأحاجِى مُمارِسا
وجلالا مع المهابة
لم يلق عابِسًا
وذكا لمصْعب اللغْز
كالليْث فارِسًا (٥)

... الخ

(١) الديوان ص ٧٧١
(٢) ستأتى ترجمته فى الديوان (٥٨١) ص ٣٢٧ .
(٣) الديوان ص ٣٢٧
(٤) ستأتى ترجمته فى الديوان (٢٨٦) ص ١٩٠ .
(٥) الديوان ص ١٩٠ وانظر الجواهر والدرر جـ٢ ق ١٣٣ .

تأثره بالشعراء :

أما تأثره بغيره من الشعراء فلا خلاف فيه . فإن الناظر في الديوان يرى مدى تأثره بغيره سواء ممن سبقه من الشعراء أو من المعاصرين له .

فممن تأثر بهم المتنبي وأبو تمام وابن سناء الملك والبوصيري كما نسج على طريقة العلامة ابن القيم الجوزي في ذمه لنفسه ، والعلامة محمد بن كثير المصيصي في قوله :

بُنَيُّ كثيْر كثير الذُّنو
ب في الحلّ والبلّ مَن كانَ سَبَّه
بنيّ كثيْر دهَته اثنتان
رِياءٌ وعجْب يخالِطْن قلْبه

فقال :

بُنَيُّ عليّ قد تفاقم وزْره
فليْس علَى من خاض في عِرْضه وِزْر
بنيُّ عليّ مثْل ما قَال ربُّه
ظلومٌ كنُود شأنه الغَدر والمكْر (١)

وقصيدة الحافظ ابن حجر التي مطلعها :

آيات وصْلِك يتْلوها علَى النّاس
صبٌّ تحركه الذِّكْرَى إلى النَّاس (٢)

تذكِّر بقصيدة أبي تمام :

ما فِي وقُوفك سَاعةً مِنَ بأْس
نقْضي ذِمام الأرْبع الأدْراسِ (٣)

---

(١) الديوان ص ١٩٠
(٢) نفس المصدر ص ١٨٥
(٣) أبي تمام ديوانه ص ٣١٢ .

وهذا أبو تمام يقول :

فرع نَمَا مِن هاشِم فى تُرْبة

كان الكفِىءُ لهَا مِن الأغراسِ (١)

فيقول الحافظ ابن حجر :

فرعٌ نمى مِن هاشِمٍ فى روضَةٍ

زَاكِى المَنابِت طيِّب الأغْراس (٢)

ويقول أبو تمام :

كم نعْمة للّه كانتْ عِنْده

فكأنّها فى غرْبةٍ وإسارِ (٣)

فيقول الحافظ ابن حجر :

كمْ نعْمة للّه كانتْ عنْده

فكأنّها فى غرْبة وتَناسِى (٤)

ويقول أبو تمام :

مازال سِرُّ الكفْر بيْن ضُلوعه

حتى اصْطلَى سِرَّ الزّناد الوَارِى (٥)

فيقول الحافظ ابن حجر :

مازال سِرّ الشّر بيْن ضلوعِهِ

كالنّار أو صَحِبَتْهُ فى الأرماسِ (٦)

---

(١) ديوان أبى تمام ص ٣١٣ .
(٢) الديوان ص ١٨٦
(٣) ديوان أبى تمام ص ٢٨٩ .
(٤) الديوان ص ١٨٦
(٥) ديوان أبى تمام ص ٢٩١ .
(٦) الديوان ص ١٨٤

ويقول أبو تمام :

إقدامُ عمرٍ في سماحة حاتمٍ

وحلم بن قيسٍ في شجاعة خالد (١)

فيقول ابن حجر :

حماسةُ قيسٍ في سماحة حاتمٍ

وحلم بن قيسٍ في شجاعة خالد (٢)

وقال أبو تمام :

فارتدَّ منِّي ارتدا

د الأسيرِ عاينَ قِدًّا (٣)

فقال بن حجر :

حسدوا الفتىَ إذْ لم ينالوا سعْيه

غيظ الأسير على قساوة قِدِّه (٤)

وإذا كان المرء لا يدرك كل ما يتمنى على لسان المتنبي فيقول :

ما كل ما يتمنى المرءُ يُدْركه

تجري الرِّياح بما لا تشْتهي السُّفن (٥)

فان المرء لا ينال كل ما طلب على لسان الحافظ ابن حجر فيقول :

طلبتُكم فاسْتحال القُرب لي بعدًا

ما كل يومٍ ينال المرءُ ما طلبا (٦)

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٣١٤ .
(٢) الديوان ص ١٠٠
(٣) ديوان أبي تمام ص ٨١٦ .
(٤) الديوان ص ١٠٦
(٥) المتنبي ديوانه جـ ٤ ص ٢٣٦ .
(٦) الديوان ص ٤٦

وهذا قريط ابن أنيف ، يقول :

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحْ إبلى
بَنُو اللقيطةِ مِنْ ذهْل بن شَيْبانَ(١)

فيقول الحافظ ابن حجر :

لو كنتُ من مازنٍ لم تَسْتبح ذهَبى
يا بْنَ اللقيْطة لكن قومنا ذهبُوا(٢)

ويقول القاضى الفاظل :

رَجعْتُ عنه بلا سمْع ولا بصَر
ولا فُؤادٍ ولا دمْعٍ ولا نفَس(٣)

ويقول الحافظ ابن حجر :

رحلتُ بِلا قلْبٍ ولَا أنَسٍ ولا
لذيذَ منَامٍ وهْى أُنْسى وتَذْكارِى(٤)

وإذا كان الشاعر قد عُدَّ(٥) احد ابناءالمدرسة الفاضلية فإننا نجد انه تاثر باكبر اعلام هذه المدرسة وهو ابن سناء الملك واستمد منه فى كثير من شعره .

من ذلك قول ابن سناء الملك :

دخلتُ جنَّة عدْنٍ فى الحَياة به
فلسْتُ أقرأُ إلا آخر الزُّمَرِ(٦)

فيقول الحافظ ابن حجر :

أزال عنْك تكاليْف الحَياة فَما
تَتْلُو إذا شِئْت إلا آخِر الزُّمَرِ(٧)

---

(١) انظر ابى تمام : ديوان الحماسة جـ١ ص٤ .
(٢) الديوان ص٤٩
(٣) القاضى الفاظل ديوانه جـ١ ص ٥٦ .
(٤) الديوان ص١٣٤
(٥) انظر عصر سلاطين المماليك م٣ ص ٣٥٤ .
(٦) ابن سناء الملك ديوانه جـ١ ص٥٨ .
(٧) الديوان ص١٢٦

وقال ابن سناء الملك :

مكمّلٌ وسواهُ ناقصٌ أبدا

كأنّه إنّ قد جاءتْ بلا خبر (١)

فقال ابن حجر :

فَضلٌ سواك مُدّعى وناقِصٌ

كأنه إنّ أتتْ بلا خبر (٢)

وقال ابن سناء الملك :

كالغيْث في السّلْم

أو كالليْث يوم وغى (٣)

فقال ابن حجر :

الليْث والغَيْث في

يومَي ندَى وردَى (٤)

وقال إبن سناء الملك :

في كفّه قلَم إنْ شِئْت أو قدَرٌ

يُصَرِّفُ الخَلْق بيْن النّفْع والضّرَر (٥)

فقال الحافظ ابن حجر :

له قلَم في مدّة من مِدادِهِ

يُعَظِّم أحبابًا وللضِّد يَقْمعُ (٦)

---

(١) ديوان ابن سناء الملك جـ٢ ص ١٤٣ .
(٢) الديوان ص ١٤٥
(٣) ديوان ابن سناء الملك جـ٢ ص ١٤٤ .
(٤) الديوان ص
(٥) ديوان ابن سناء الملك جـ٢ ص ١٥٦ .
(٦) الديوان ص ٢١٠

وقال ابن سناء الملك :

حفَّت به من عَواليِّهم أسنتها

كأنّها الشُّهْب إذ يَحْففنَ بالقَمر(١)

فقال ابن حجر :

لم آنس لمّا تَحفُّ الطّالبُون به

مثل الكواكب إذْ يَحْففن بالقَمر(٢)

وقال ابن سناء الملك :

ثم التفتُّ إلى عيْشِي فقلْتُ له

يا آخر الصَّفْو هذا أول الكدر(٣)

فقال ابن حجر :

وقل لأسْود عيْشِي بعْد أبيضه

يا آخر الصَّفْو هذا أول الكَدَر(٤)

وقال ابن نباتة :

نَم فى مقَام نعيْم غيْر مُنْقَطع

ونحْن فى نَار حُزْنٍ غيْر مُتَّئِب(٥)

فقال ابن حجر :

يا مَنْ له جنَّةُ المَأْوى غدَتْ نُزُلاً

ارقد هنِيْئًا فقَلْبى مِنْك فى سُعُر(٦)

وقال ابن نباتة :

أُقَلِّب قلْبا بالأَسى أيّ واجب

وأَندبُ شخْصًا فى الثَّرى أيّ مندوب(٧)

---

(١) ديوان ابن سناء الملك جـ٢ ص ١٤٢ .
(٢) الديوان ص ١٢٧
(٣) ديوان ابن سناء الملك جـ٢ ص ١٤٢ .
(٤) الديوان ص ١٢٩
(٥) ابن نباتة ديوانه ص ٤٢ .
(٦) الديوان ص ١٢٦
(٧) ديوان ابن نباته ص ٤٣ .

فقال ابن حجر :

أُحَرِّك حظًا بالنَّوى فى تسافُلٍ
أُسَكِّن نفسًا بالبُكا فى تصاعُدِ (١)

بل مرثية الحافظ ابن حجر لشيخه سراج الدين البلقينى تذكر بمرثية العلامة ابن نباته للعلامة تقى الدين السبكى .
والتى يقول فيها :

مَنْ للهُدى والنَّدى لولا بُنُوه ومَنْ
للفضل يَسْحبُ أذيالاً على السُّحب
مَن للفتُوَّة والفَتْوى مجانسة
فى الصِّيغتيْنِ وفى الآداب والأدب
من للتَّواضُع حيْثُ القَدر فى صعدٍ
على النُّجوم وحيث ان العلم فى صَبَبِ
مَن للتَّصانيْف فيْها زِيْنَة وهُدًا
ورجْم باغٍ فيَا للّه مِنْ شُهُبِ (٢)

... الخ .

ويقول الحافظ ابن حجر :

مَنْ للفَضائِل أو مَن للفَواضِل أو
مَن للمسائل يلقيها بلا ضجر
مَن للفوائد أو مَن للعَوائِد أو
مَن للقَواعِد يَبْنيها بِلا خَوَر
مَن للفَتاوى وحل المشكلاتِ إذا
جلّ الخِطاب وظَلّ القَوم فى فِكَر (٣)

... الخ

---

(١) الديوان ص ٩٩
(٢) ديوان ابن نباته ص ٤١ - ٤٢ .
(٣) الديوان ص ١٢٣

كذلك فقد تأثر بالإمام البوصرى وسلك مسلكه فى مدائحه واستمع الى البوصرى يصف ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم وما حصل فيها من البشارات .. فيقول :

وتوالتْ بُشْرى الهَواتِف أنْ قَد
ولِدَ المصْطفَى وحُقَّ الهَناءُ
وتداعى إيوانُ كسْرى ولولا
آيةٌ مِنْكَ ما تَداعَى البِنَاءُ
وغَدا كُلُّ بيْتِ نَارٍ وفيْه
كُرْبةٌ مِن خمُودِها وبَلاءُ
وعيُونٌ للفُرس غارَتْ فهَل كا
نَ لنِيرانِهِم بِها إطْفَاءُ(١)

وهذا الحافظ ابن حجر يقول :

إيوانُ كِسْرى انْشَقَّ ثُمَّ تَساقطَتْ
شُرفاته بلْ كادَ رعْبًا يُهْدَمُ
والمَاءُ غاضَ ونَارُ فارِسَ أُخْمِدَتْ
من بعْدِ مِا كانَتْ تُشَبُّ وتضْرم
هذا وآمنةٌ رأَتْ نارًا لها
بُصْرَى أضاءَتْ والدّياجِي تُظْلِمُ(٢)

---

(١) البوصيرى ديوانه ص ٥٠ .
(٢) الديوان ص ٤

الخصائص الفنية :

من خلال الديوان الذى بين أيدينا نجد أن الحافظ ابن حجر كان شاعرًا مكثرًا طويل النَّفَس ولاسيما فى المدح والرثاء. فنجد له قصائد تبلغ المائة بيت وتزيد على ذلك . مثل مرثيته فى شيخه سراج الدين البلقينى التى بلغت ثلاثةً وعشرين ومائة بيت . وهناك قصيدة فى المديح بلغت مائة بيت وعشرا .

وكما سبق فى الأغراض ، فإن قصائد المديح عنده تبدأ بالغزل ثم تخلص الى المديح ، ونَظَمَ قصائده إلى جانب الغزل والمديح الشكوى ، والشوق ، والحنين . وقد يتغزل ويمدح ثم يعود فى آخر القصيدة ليصف حاله وما عاناه فى رحلته حتى وصل الى ممدوحه . ففى أول قصيدة مدح بها الملك الأشرف إسماعيل بن المجاهد ، بدأها بالغزل :

صَبٌّ للقْيَاك بالأشْواقِ معْمودُ
فقيد صبرٍ عَنِ الأحباب مفْقُودُ

ثم انتقل الى المديح ، فقال :

أو كان دَهْرِىَ مذْمومًا لِفُرقتكمْ
فإنَّ قصْدى لإسماعيل مَحْمودُ
الأشرف الملك بن الأفضلِ بن علِىّ
بن المؤيَّد حامِى الملكِ داوُدْ
المانح الفضْل صفْوًا فيْض راحتهِ
والغيْث إنْ جاد تعْبانٌ ومَكْدودُ (١)

---

(١) الديوان ص ٩٤-٩٨

ويستمر فى المديح الى البيت الأربعين فى القصيدة ، ثم يبدأ بوصف رحلته وما عاناه فى سفره حتى وصل الى ممدوحه ليبدى اعتذاره لممدوحه وعجزه عن ايفائه حقه من المديح بسبب ما لاقاه فى رحلته من عناء ومشقة • فيقول :

يا من تَطَوَّل جودًا ها بضائِعُنا
عرض المدائِح والتَّقْصير مَوْجُودُ
إِلى عُلاك قطعْت البَحْر فى سفرٍ
يُواصِل القَلْب دأْبا فيْه تنْكيدُ

••••

وفكْرتى عَقُمتْ مِمَّا لقيْت فلَم
يَنْتج لها مثْل ما أَرضاهُ تَولِيْدُ (١)

حسن الابتداء وحسن التخلص وحسن الختام :

ويجد الناظر فى الديوان أن الشاعر كان حريصا على حسن الابتداء ، وحسن التخلص ، وحسن الختام ، وكثيرا ما يكون فى الدعاء للممدوح بالدوام والبقاء •

ومن الامثلة على ذلك ، قوله فى مطلع قصيدة مدح بها الملك الأشرف إسماعيل بن المجاهد :

صَبٌّ للقْيَاك بالأشْواق معْمود
فقيْد صبْرٍ عن الأحباب مفْقودُ

وفيها يتخلص الى المدح ، كما مر بنا • ويختم القصيدة بقوله :

ودُم مليْكا علىٰ الجَدِّ ترتَع فى
رَبيْع عدْلكَ شاةُ القَوم والسِّيدُ (٢)

---

(١) الديوان ص ٩٨
(٢) نفس المصدر ص ٩٨

ويقول فى مطلع قصيدة أخرى :

أَيا بصَرى خالِفْ عيُون الفَراقد

فذ والسُّهد وجْداً لا يكن إِلْف راقِد

وفى التخلص ، يقول :

فها أنا قلْبى فى التَّجلد والأُسى

ولكنّ طرْفى فى الأَسى والتجالد

أُحرِّك حظّاً بالنّوَى فى تَسافُلٍ

أُسكّن نفْساً بالُبكا فى تَصاعُدِ

مُجاهد نفْسى لا أَرى مُتفضّلاً

سِوَى الأَشْرف بن الأفضل بن المُجاهد

مليكٌ نداه فجّر الصّخْر أَعيُناً

كما بأْسه قد هدَّ صعْب الجَلامِد

.... الخ ، ويختمها بقوله :

فدُمْ مَلِكاً للدِّين خيْر مُمَهّدٍ

بحلْمٍ لمَولى أَو سُطاً لِمُعَانِد

بقيْتَ لِتَحْصين العُلا خيْر شائدٍ

ودمتَ لتحسين الحُلَى خيْر سائِد (١)

وفى مطلع قصيدة اخرى ، يقول :

لا تَقْطعوا باتّصال الهَجْر أَوصالِى

ووافِقونِى فقَد خالفْتُ عُذَّالِى

ويتخلص فيها بقوله :

واللَّه ما اشتغلتْ عن ذكركُم فِكَرى

إِلا بِمَدْح المَقام النَّاصِر العَالِى

---

(١) الديوان ص ٩٨

النَّاصر المَلِكِ بن الأَشرف المَعْـ
روف عُرْفًا بِمفْضالِ بن مِفْضال

ويختمها بقوله :

ودُمْ كما شِئْتَ فيما شِئْتَ مَقْتَبلًا
فى عِزَّة وسَعادات وإِقْبال (١)

ويقول فى مطلع قصيدة أخرى :

سرَى والدَّرارِى شعْره وعقُوده
خيَالٌ وفىٰ لى بالوصال عقُوده

وما زارنى إلا كلمحة بارِقٍ
وعدتُ إِلى سُهْدى وعادَ صُدوده

وتخلص الى المديح بقوله :

ويا وعد من أهواهُ مالكَ مخْلفًا
وانتَ منى قلْب المشُوق وعيُده

عسى قلْب من يهْوى تُنعِّم بالَهُ
أَيادِ الرِّضى عبْد العَزيز وجودُهُ

فللملك المنْصور فى الأرض كلِّها
ثناءٌ إلى أُفْقِ السَّماءِ صُعُوده

....

وختم القصيدة بقوله :

فعزُّك لا ذلٌ يلاقيْه دائمًا
وملككَ فى الدُّنيا يَدوم خلُوده (٢)

---

(١) الديوان ص ١٤٩
(٢) نفس المصدر ص ١٠١

التكرار :

وإذا كان التكرار سواءً فى المعانى أو الألفاظ أو فيهما معا من المآخذ التى يؤاخذ عليها الشعراء ، فان الديوان الذى بين أيدينا لا يخلو من التكرار سواء فى الألفاظ أو فى المعانى أو فيهما •

بيد أنه بالإمكان إيجاد المبرر لذلك • فما يوجد من ذلك لا يعتبر مأخذا كبيرا على شاعر مكثر ، ديوانه يبلغ تسعة وستين ومائة وثلاثة الاف بيت من الشعر ، وبخاصة فى عصر انحدر فيه الأدب وأقبل الشعراء على التقليد والمحاكاة ، ولم يبال الشاعر بالتكرار فى الألفاظ أو المعانى سواء أكانت تلك ألفاظه ومعانيه ، أم الفاظ ومعانى غيره من الشعراء وإنما كان جل همه التلاعب بالألفاظ والزخرفة البديعية •

ومن أمثلة التكرار فى الديوان :

يَحْبُوكَ ربُّكَ مِن محامدهِ التى
تُعْطى بها ما شِئْتَ من مطلوب
ويقُول قل يُسْمَع وسَل تُعْطَ المُنى
واشفَع تشفَّع فى رهيْن ذُنُوب(١)

تكرر ذلك فى قصيدة أخرى :

يَحبُوكَ ربُّكَ من محامدهِ التى
تُعْطَى بِها ما تَرتَجيه فتغْنَمُ
ويقول قل يُسْمَع وسَلْ تعْط المُنَى
واشْفع تشفَّع فى العُصاة ليُرحَمُوا(٢)

---

(١) الديوان ص ١٩
(٢) نفس المصدر ص ٦

وتكرر اللفظ والمعنى فى قصيدة أخرى :

ويقول قل يُسمع وسَلْ تُعط المُنَى

واشفع تشفّع وانتجز مَوعُودا (١)

ومن التكرار :

وخُصِصْتَ فضْلا بالشّفاعة فى غَدٍ

ومقامِكَ المَحْمودِ والمَحْبُوب (٢)

وقال فى قصيدة أخرى :

وخُصِصْت فضْلا بالشّفاعة فى غَدٍ

فالمسْلمون بفضْلِها قد عُمّمُوا (٣)

وقال فى إحدى قصائده التى مدح بها الملك الأشرف إسماعيل بن المجاهد :

له قلَمْ فى مَدّة مِن مِداده

غِنى الدّهر أو قمْع العَدوّ المُكايد

يفُوح ويُجْنَى يُطْرب الصّحب يطْ

عن العِدَى فهْو عودٌ فى جميْع المَشاهدِ (٤)

وكرر المعنى عند مدحه للملك المنصور عبد العزيز صاحب تونس فقال :

له قلَمْ فى مدّة من مداده

غنَى الدهر أو قمعًا يراه حسوده

يفُوح ويُجْنَى يطْرب الصّحب يطْ

عن العِدَى فعلى الأحوال بورِكَ عودُه (٥)

---

(١) الديوان ص ٩
(٢) نفس المصدر ص ١٩
(٣) نفس المصدر ص ٥
(٤) نفس المصدر ص ١٠٠
(٥) نفس المصدر ص ١٠٣

وكرّر اللفظ والمعنى فى قصيدة أخرى ، فقال :

لـه قـلـم فـى مـدّة مِـن مـداده
يُعظّم أحـبابا وللضّد يقمع
يفُوح ويُجنى يُطْرب الصّحب يطْ
عن العِدا فهْو عودٌ فضله مُتنوّع (١)

وقال :

إذا زمّزم الحادى بذكْرك أو حدا
غدوتُ على حكْم الهوى فيْك أوحدى (٢)

فكرر الشطر الأول فى إحدى المقطوعات ، قائلاً :

وأغدو فريْداً فى الصّبابة والهوى
إذا زمْزم الحادِى بذكْرك أو حدا (٣)

وقال :

أضاف إلى البشْر المهابة والنّدى
كغيْث همَى مع برقه والرّواعد (٤)

تكرر ذلك فى قوله :

أضاف الى البشْر المهابة والنّدى
كغيْث توالَى برقُه ورعُوده (٥)

ومن تكرار الكلمات المفردة • قوله :

فارفق بمشْتاقٍ بحبّك مفْرد
يا صاحِب الحسْن الغَريب غريْب (٦)

---

(١) الديوان ص ٢١٠
(٢) نفس المصدر ص ٢٠
(٣) نفس المصدر ص ١٢٠
(٤) نفس المصدر ص ٩٩
(٥) نفس المصدر ص ١٠٣
(٦) نفس المصدر ص ١٧

وفى إحدى القصائد كرر كلمة سلام خمس مرات • على سبيل التلهف والتشوق الى أهله ، فقال :

سَلَامٌ علَى مَنْ لا يردُّ جَوابِى
سلام مشُوقٍ بالفِراق مُصَاب
سَلامٌ كأنفاسِ النَّسيم بِسُحْرة
سرتْ فى رِياضٍ منْهمْ ورِحاب
سَلامٌ مُقيمٌ مِن معنّى مسَافِرِ
تبدّل من غزْلانه بذئَاب
سَلامٌ على أهْلِى ودارِى وجيْرتى
وأُنسى وقلْبى والكَرى وشَبابى(١)

كما ترددت كلمة لهفى عشر مرات فى مرثيته لشيخه سراج الدين البلقينى • مما يعكس روح التفجع والأسى عند الشاعر • فيقول :

لهْفِى علَى فقدشيخ المسلمين لقد
جلَّ المصاب وفيه عزَّ مُصْطبرِى
لهْفِى عليْه سِراجًا كان متّقدًا
يسْمو ذكًا بِذكاءٍ غيْر مُنْحسِر
....
لهْفِى وهَل نافِعى إبداع مرثية
وكيْف يغْنى كسيْر القلْب بالفِقَر
لهْفِى عليْه لليْلٍ كان يُقطعُه
نفْلًا وذكْرًا وقرآنًا إلى السّحرِ
لهْفى عليْه لعلم كان يجمعُه
تشُقُّ فيْه عليْهِ فرقةُ السّهر

(١) الديوان ص٣٨

لهفى عليه لعافٍ كان ينفعه
فِعلا وقولاً فما يُؤتى من الحَصَر
لهفى عليه لضرّ كان يدفعه
عن الخلائق من بدوٍ ومن حضر

....

لهفى علَى حافظ العصر الذى اشتهرتْ
أعلامهُ كاشتهار الشمس فى الظُهُر

....

لهفى علَى فقد شيخىّ اللذيْن هُما
أعز عندىَ من سمْعِى ومن بصَرى
لهفى علَى من حديثى عن كمالهمَا
يُحيى الرّميم ويُلهى الحىّ عن سمَر (١)

(١) الديوان ص ١٢٧

الألوان البلاغية :

وإذا كان الحافظ ابن حجر قد عاش في عصرفشت فيه الصنعة ، وأقبل الشعراء على البديع وفتنوا بالمحسنات اللفظية والتلاعب بالألفاظ ، فإنّ ديوانه الذى بين أيدينا لا يخلو من بعض تلك المحسنات البديعية والصور البلاغية ، فنجد فيه التورية ، والجناس والاستخدام • وإلى جانب ذلك نجد الاكتفاء والمقابلة والطباق والتفريع والاستدراك والاحتراس واللف والنّشر ، كما أُولع بالتضمين والاقتباس •

فمن التوريه قوله :

بَيْنى وبيْنك فى المحبَّة نسْبةٌ
فاحفَظ عهُود تغَزُّلٍ ونسيْبِ(١)

وقوله :

وقد عصَى كلَّ لاحٍ
فما لها ولِعَتْبه(٢)

وقوله :

بكاىَ عليْه لوعَتى فيْه والأسَى
ونار الحشَى من خدّه ولهيْبهِ(٣)

وقوله :

حبيبةُ قلْبى للعَواذِل باعِدِى
إذ اجتمعُوا مِن كلّ قطْرٍ وجانبِ(٤)

(١) الديوان ص ١٧
(٢) نفس المصدر ص ٦٤
(٣) نفس المصدر ص ٦٧
(٢) نفس المصدر ص ٦٨

وقوله :

فقُلت أعد وصالى قال كلّا
فها أنا ذبْتُ من ردّ الجواب(١)

وقوله :

وأوصى الضَّنا والسُّقم لا يبْرحان بى
حبيبٌ رمَى قلْبى بسقْمٍ وأوصاب(٢)

وقوله :

حياتِىَ لو مُدَّت لزادتْ سَعادتِى
فيا ليْت أيَّامِى أُطِيلت ومدّتى(٣)

وقوله :

قد فارقَ الهَمّ فى دارٍ سكنْتَ بها
وباب فضْلِك مذْ آوى لَهُ ولجَا(٤)

وقوله :

لا تخلّى جسْمِى المعذَّب فرْدًا
بلْ خُذِى إنْ رحلْتِ جسْمِى ورُوحِى(٥)

وقوله :

إنْ لم تَجُدروض ذلك الوجْه لِى يجَنَى
فليْت لو أنّ ماء الثَّغْر مَوْرُودُ(٦)

---

(١) الديوان ص ٦٧
(٢) نفس المصدر ص ٦٨
(٣) نفس المصدر ص ٧٤
(٤) نفس المصدر ص ٨٣
(٥) نفس المصدر ص ٨٥
(٦) نفس المصدر ص ٩٥

وقــوله :

يا مالكًا ملكه العالي بسؤدده

موطّـــأ ولــــه بالعـدل تمهيدُ (١)

ومـن الجنـاس قـوله :

مادمتُ في سفن الهوى تجريبي

لا نافعي عقلي ولا تجريبي (٢)

وقــوله :

دع عنك ما تهذي به عندي فما

كلفت إصلاحي ولا تهذيبي (٣)

وقــوله :

وبدرٍ غدا في الحسن سلطان عصره

فكم باب جورٍ مذ تولّى تولّدا (٤)

وقــوله :

لو أنّ عذّالي لوجهك أسلموا

لرجوتُ أنّي في المحبة أسلمُ (٥)

وقــوله :

استسقِ يمناه يا من قلّ ناصرُه

فأنت من جود تلك الكفّ منجُود (٦)

---

(١) الديوان ص ٩٧
(٢) نفس المصدر ص ١٦
(٣) نفس المصدر ص ١٦
(٤) نفس المصدر ص ٢١
(٥) نفس المصدر ص ١
(٦) نفس المصدر ص ٩٦

وقـــولـه :

ويـاأيُهــا الأحـبـاب سُـقْيًـا لـعهُـدكم

بِعَهْـدٍ قـــريْب الـعَهْـد غـيْر مُبـاعـدِ (١)

وقـــولـه :

فقَـــدتكُم والوجْـد أصـــبح لازِمـــى

فيـــا عجـبًا مِـن واجـدٍ غـيْر واجـدِ (٢)

وقـــولـه :

وأَسْـعَد فـــى أبــوابه ألـــف رائـــدٍ

بلـفْـظٍ كأمْـثـــال الـلآلِـــى الفرائِـد (٣)

ومـــن الاســـتخدام قـــولـه :

أبكى عـقِيْقـًا وهـو دمْعِـى والـغضا

وهـو الــذى بيْــن الجـوانح يُضْـــرَمُ (٤)

وقـــولـه :

وانشـــقّ بـدْر الـتّـم معْجـزةً لــه

وبـــه أتـــاه الـنّصـــر قـبْل مَغيْبِ (٥)

وقـــولـه :

والـعَيْن أوردهـــا وجَـاد بـهـا كما

قـــد ردّهـــا كالـشـمــس بعْـد غُـروب (٦)

---

(١) الـديـوان ص ٩٨

(٢) نـفـس الـمصدر ص ٩٩

(٣) نـفـس الـمصدر ص ١٠٢

(٤) نـفـس الـمصدر ص ١٠٧

(٥) نـفـس الـمصدر ص ١١٨

(٦) نـفـس الـمصدر ص ١١٩

وقوله :

بالعيْن قد جاد إفْضالاً وأوردها

وردَّها بعْد ما أرخت لها سجُفا (١)

وقوله :

تهتزُّ كاليزنيِّ اللَّدْن قامتُه

وإنَّما لحظُه سيف بن ذى يَزَن (٢)

وقوله :

ذكر العَقيق وسَفْحه فدموعه

تَحْكيه عنْد السَّفح من جَفْنيه (٣)

ومن الاكتفاء ، قوله :

فَهو كفَّارة ما قدَّمته

من صغير الذَّنب إنَّ الحسنات (٤)

وقوله :

فإن سألنا الوصل قال اقرؤا

جوابكُم قد خَطَّه الحُسْن لَنْ (٥)

ومن الاستعارة ، قوله :

إذا ما شَياطيْن السُّلو تعَرضتْ

فإنَّ بعيْني أىّ رجْم شِهاب (٦)

---

(١) الديوان ص ١٤
(٢) نفس المصدر ص ٣٠٦
(٣) نفس المصدر ص ٣٩٦
(٤) نفس المصدر ص ٧٧
(٥) نفس المصدر ص ٣١٣
(٦) نفس المصدر ص ٣٩

ومن الاستدراك ، قوله :

تَشكّ إذا وافاكَ فيَّه لِبعْده
فقُلتُ نعَم لكن صُدورَ وُشَاتِى(١)

ومن اللف والنشر ، قوله :

فَما البَدْرو الأغصان و الليْث و الرّشا
إذا مارنا أوصال أو ماس أو بدا(٢)

وقوله :

الواهِب الهازم الآلاف من كرَم
وسطْوة للعِدى والصّحب قد عُرفا(٣)

ومن المقابلة ، قوله :

بِقُربك لِى المسَرّة فى صَباحِى
وبُعْدك لِى المَساءة فى مَسَائِى(٤)

وقوله :

إنْ واصلُوا فالليْل أبيض مشْرقٌ
أو قاطَعُوا فالصُّبح أسود مظْلِمُ(٥)

ومن التفريع ، قوله :

فما كؤوس الشُّرب ملا طلا
أرفعْ مِنْها للنُّهى بِا مُشْهاب(٦)

---

(١) الديوان ص ٣٧
(٢) نفس المصدر ص ٣١
(٣) نفس المصدر ص ١٢
(٤) نفس المصدر ص ٣٨
(٥) نفس المصدر ص ٣٢
(٦) نفس المصدر ص ٤١

ومن مراعاة النظير ، قوله :

يا كاملَ الحسْن وجدي وافرٌ وأرى
حزني طويلًا وصبري عنكَ مُقتضبا (١)

وقوله :

عاملته ببسيط الغدر مُنسرحًا
فحزنه وافرٌ والصبْر مقتضب (٢)

وأما الإقتباس : فقد اقتبس من قول الله تعالى ﴿ والَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ والإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ ولا يَجِدُونَ فى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا ويُؤْثِرُونَ علَى أَنفُسِهِم ولَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر ٩ .

قوله :

تَبَوَّؤُا الدَّارَ والإيمانَ قبْل وقد
آووْوفَوا نَصَر وافاز وارقَو شَرفا (٣)

وقوله مقتبسا من الآية الكريمة ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ ولِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ لا يَسْتَوِى مِنكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وقَٰتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وقَٰتَلُوا وكُلًّا وعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ الحديد ١٠ .

لا يَستوى مُنفِقٌ من قبْل فتحهمُ
بِمُنفق بعْد بالإنفاق قد خلفا
والكلُّ قدوعَدالله المهيمنُ بالحُسْنى
وأولاهُمْ مِنْ برِّه تُحفا (٤)

---

(١) الديوان ص ٤٥
(٢) نفس المصدر ص ٤٩
(٣) نفس المصدر ص ١٠
(٤) نفس المصدر ص ٩

وأمـا التضـمين : فإنّ ما يطالعنا فى الديوان من تضمينات ليست بالقليلة لتدل على ما كان يتمتع به الحافظ ابن حجر من ثقافة واسعة فى مجال الأدب ، ووقوفه على كثير من دواوين الشعراء ، وإفادته منها ، فى عصر أولع شعراؤه بالتضمين والمحاكاة .

ومن أمثلة التضمين قوله :

نَظمتُ غريبَ الشِّعر فيْه تَغزُّلاً
وكلُّ غريْبٍ للغَريب نَسِيبُ(١)

وقوله :

لئِن كنتَ قد بُلِّغْت عنّى مقالةً
لمبلغُكَ الواشِى أغشُّ وأخدع(٢)

وقوله :

لو كنتُ مِن مازن لم تستبح ذهبى
يابن اللقيْطةِ لكن قومنا ذَهبُوا(٣)

وقوله :

هذى المكَارمُ لا قَعْبانِ مِن لبَنٍ
لِجَائِدٍ بدَوىٍّ شابَها ماءً(٤)

وقوله :

وعدتُ لِمَدْحى فى النَّبىِّ وإنَّما
لكلِّ امْرئٍ مِنْ دهْرِه ما تعوَّدا(٥)

---

(١) انظر ديوان امرىء القيس ص ٣٥٧ .
(٢) انظر ديوان النابغة الذبياني ص ٧٢ .
(٣) انظر ديوان الحماسة جـ١ ص ٤ .
(٤) انظر طبقات فحول الشعراء جـ١ ص ٥٨ ، ديوان ابن سناء جـ٢ ص ١٥٦ .
(٥) انظر ديوان المتنبى جـ١ ص ٢٨١ .

وقوله :

أزالَ عنكَ تكاليفَ الحياةِ فما

تَتلُو إذا شئتَ إلا آخرَ الزُّمَرِ (١)

وقوله :

فَضلُ سِواكَ مدّعىً وناقِصٌ

كأنّه إنْ أتتْ بلا خَبَرْ (٢)

وقوله :

لا تعْجبوا مِن أياديه العظيمةِ لى

فإنّ لِى ذمّةً منّه بتَسْمِيتى (٣)

وقوله :

يا سائِلى جهْرةً عمّا أُكابدهُ

عدتْكَ حالِى ما سِرّى بِمُسْتَتِر (٤)

وقوله :

وأصْعَبُ مِن لَوْمِ العَواذِلِ قولهم

هو الحبُّ فاسْلَم بالحشَى ما الهوى سَهْلُ (٥)

---

(١) انظر ديوان ابن سناء الملك جـ٢ ص ١٥٥ .
(٢) انظر نفس المصدر جـ٢ ص ١٤٣ .
(٣) انظر ديوان البوصيرى ص ٢٤٨ .
(٤) انظر نفس المصدر ص ٢٣٩ .
(٥) انظر ابن الفارض : ديوانه ص ٧٠ .

الأوزان :

أما الأوزان التى نظم فيها ابن حجر فنجد أنه فضّل الأوزان الطويلة وبخاصة فى مدحه ورثائه . فالمديح لا يكاد يخرج عن الكامل والطويل والبسيط والوافر . والرثاء لا يكاد يخرج عن الطويل والبسيط والوافر. وأكثر قصائده فى الغزل والشوق كانت فى الطويل والبسيط .

غير أنه لم يقتصر على تلك الأوزان بل نظم فى أغلب الأوزان المعروفة ومجزوءاتها .

فنظم فى الخفيف والسريع والرَّمل والوافر والمجتث والرَّجز والمتقارب والمنسرح والهزج أما مجزوءاتها ، فهى : مجزوء الرَّمل ومجزوء الكامل ومجزووء الخفيف ومجزوء الرَّجز ومخلَّع البسيط .

وإذا كانت قد وردت بعض الألفاظ العامية فى الديوان فهى من القلة بحيث لا تذكر .

مثل قوله :

دَرْوَزْتُهُ وصَلِى فلَم

وسألْتَه لثَمِى فمَا (١)

وقوله :

والفُرْن والطاحون لم يَعْمُرهُما

حتى أفات عِمَارةً وتقَاوِيا (٢)

---

(١) الديوان ص ٢٩٨

(٢) نفس المصدر ص ٣٧٧

وقـــولـه :

عـــارٌ علَيْنـا يـا خـونْد مقالـــهم

فـى الـشَّـرق من فـى مصْـرا صـبح عـاريـا (١)

وقـــولـه :

بتْـنـا بمنْزلـكَ السّـعيد فَصـدّنـا

عــن نـومِنـــا بِبَعُوضـــه المَنْحـوس (٢)

وقـــولـه :

حــاكـــمٌ يـأْخـــذ الرُّشـــا

مِـــــن شُـــــــهودِ مبهْـــــذله (٣)

ونـجد أن الـديـوان قد خلا من الألـفـاظ الـغريـبة و الـحوشية كـمـا تـرفـع عن الألـفـاظ السوقـيـة و المبـتذلـة إلا فيمـا نـدر ، فـجاءت الـفـاظه فـصيـحة سهلة •

كـــمـــا نـــجد فـى الـديـــوان مـــن الاســتـعمـــالات الـلـغويـــة والـتـــراكـيـــب والـمـصطلحـات ، مـا تـجعل الـنـاظر فيه لا يـتردد فـى الـحكم بـسعة ثقـافـة الـنـاظم الـلـغوية والأدبـية •

---

(١) الـديـوان ص ٣٣٧
(٢) نـفـس الـمصدر ص ١٩١
(٣) نـفـس الـمصدر ص ٢٧١

الأصالة والتقليد :

عاش شاعرنا فى عصر أقبل فيه الشعراء على تقليد الشعراء السابقين ومحاكاتهم والنسج على منوالهم • ولا بدع أن يحذو شاعرنا حذو غيره محاكاة وتقليدا فلكل عصر أسسه النقدية ومعاييره • فإذا كنا اليوم نرى ذلك عيبا فى الشعر فان شعراء ذلك العصر يرونه أمرا لا غبار عليه بل ربما افتخر أحدهم بذلك •

فهذا ابن الوردى يقول :

وأَسْرِقُ ما استطعتُ مِن المَعانِى
فإِنْ فقْتُ القديمَ حمدتُ سَيْرِى
وإن ساويتُ من قَبْلِى فحسْبِى
مُسَاواة القَديم وذا لِخَيْرِى
وإنْ كان القَديم أَتمّ معْنى
فذلك مَبْلَغِى ومطَار طَيْرى
فإنّ الدّرهم المضْروب باسْمِى
أحب إلىّ مِنْ دِيْنار غَيْرِى(١)

وإذا كان شاعرنا قد سلك طريق المحاكاة والتقليد كغيره من شعراء عصره ، إلا أن ذلك لا يعنى الجمود أو أن شعره كان صورة من شعر غيره ، فقد كانت له شخصيته الأدبية وله منهجه وأسلوبه فى إطار أسلوب عصره •

والناظر فى شعره يحس فيه روح التوثب والميل الى التجديد ، وقد ابتكر ما يقرأ على قافيتين ، كما ذكر ذلك تلميذه العلامة السخاوى ، فقال : " واقترح صاحب الترجمة

---

(١) ديوان ابن الوردى ص ٢٦٤ •

(الحافظ ابن حجر) فى سنة سبع وتسعين على الصدر على بن الأمين محمد بن محمد الدمشقى ابن الأدمى أن يعمل على نمط قوله مما يقرأ على وزنين وقافيتين من كلمة ، وهو مما انفرد بالسبق به ، واقترحه على غيره من أدباء عصره"(١) .

ويؤيد ذلك قول الحافظ ابن حجر فى إنباء الغمر عند ترجمته لابن الأدمى ، فقال : " ومن نظمه ما انشدنى لنفسه وكنت اقترحت عليه أن يعمل على نمط قولى :

نَسيمكُم يُنعشُنى والدُّجَى
طال فمَن لى بِمَجىءِ الصَّبا ح
ويا صِباح الوجْه فارقتكُم
فشِبْتُ همًّا إذْ فقَدتُ الصِّبا ح

فعمل ذلك فى سنة سبع وتسعين ، وانشدنيه عن جماعة ثم لقيته فأنشدنيه لنفسه :

يا متْهمِى بالصَّبْر كن مُنْجدِى
ولا تُطِل رفْضِى فإنِّى عَلِى ل
انت خليْلِى فَبحقّ الهَوى
كنْ لِشُجونى راحِمًا يا خَلِى ل(٢)

ومن قول الحافظ ابن حجر فى ذلك :

ثويتُ فيكم راجيًا منْكُم
أجْر الهَوى دهْرًا فضَاع الثَّوا ب
ردُّوا جوابى ودعُونى أمُت
جوى فما منُّوا ولاَ بالجَوا ب(٣).

(١) الجواهر والدرر جـ٢ ق ١٦ / ب .
(٢) انباء الغمر جـ٧ ص ١٣٦ .
(٣) البتر المسبوك ص ٣٥

وقوله :

عَدمتُ رشْدِى ووجدتُ الجَوى
من لائِمٍ لى فى مليْح وشَا د
ظَبْى نقَا ولَى وفى أَسْره
قلْبى فقَد ضلّ سَبيل الرّشا د(١)

وقد تأثر به كثير من الشعراء المعاصرين له ونسجوا على منواله • أشار إلى ذلك العلامة السخاوى ، فقال : " وتبعه(٢) غير واحد من الشعراء منهم الصدر على بن الأمين محمد بن محمد الدمشقى بن الأدمى ، والتقى أبو بكر بن حجة ، وأبو الفضل بن وفا ، وبن مكانس ، وخليل بن الغرس ، والشهاب الحجازى ، والبدر بن التنسى •

قال التقى أبو بكر ابن حجة :

يقُولون صفّ أَنفاسَه وجبينَهُ
عسى للقا يصْبو فقُلتُ لهُم صَبا ح
وغالطْتُ إذ قالوا أَباح وصَالَهُ
وإلا أَبا قرْبًا فقُلْتُ لهم أَبا ح

وقال أبو الفضل بن وفا :

لقد تعطشْنا فرّوحوا بِنَا
نَرْوى فهَذا الوقْت وقْت الرّوا ح
وإنْ نأَى السّاقى فنُوحوا مَعِى
عوْنًا فإنّى لا أُطيْقُ النّوا ح

(١) الديوان ص ١٩٩
(٢) انظر التبر المسبوك ص ٢٣٤ - ٢٣٦ •

وقال ابن مكانس :

قُم منشِدًا فى الجَمْع شعْرى الذى

نظَمته أشْكو الجَفا والمَلا ل

وخَل إذا استحلاه ذَوّاقه

هذا لعَمر اللّه سحْر حلا ل

وقال خليل بن الغرس :

إن جاءكم صبٌّ بكُم فاكْرمُوا

مثْواه تُجْزون خِيار الثّوا ب

وجاوبُوا العُذّال عمّن غدا

مِن سقْمه لا يَسْتطيعُ الجَوا ب

وقال الشهاب الحجازى :

رمتْ قِراةٌ فجَلا طلْعةً

مع طرّة ترْقى بأُم القرا ن

أَبْصَرتُ ليْلًا ونَهارًا معًا

يا قومُ ما أَعْجَب هذا القِرا ن

وقال البدر ابن التنس المالكى :

جفوتُ مَن أهْواهُ لا عن قِلَى

فظَلّ يجْفونى يَرُوم الكِفا ح

ثم وفَا لِى زائِدًا بعْده

فطابَ نشْر من حبيْبٍ وفا ح

وإذا كان قد نظم مثل غيره من شعراء عصره فى الموشحات والدوبيت والزجل .

فعارض الموشحة الأندلسية :

هل ينفَع الوجْد أَو يفيد
أَمْ هل علَى مَن بَكا جُناح

فقال :

سقمتُ مِن بعْدكم فعُودوا
فمَا علَى محْسنٍ جُناح
عشقْتُ بدْرًا بِلَا سَرارِ
افلحْتُ فى حبّه فَلاح

فقد ذكر تلميذه السخاوى انه تذاكر مع المجد فضل الله بن مكانس (احد شعراء العصر) الموشحات والخرجات (الزجليات) وما اقترحه القاضى السعيد من جعل الخرجة بالفارسية ولكن اغرب بها واذهب رونقها • فقال الحافظ ابن حجر : انى اريد ان انظم موشحا اجعل خرجته تركية ولكنها مفهومة معلومة • وتفارقا على النظم • فنظم المجد :

هم حمّلُوا وساروا — بَلِ اعتدوا وجاروا
فاشتكيهم لِمَنْ
ساروا بِمَنْ سَبَانى — عن رشْف ظَلْمه

•••••••

••••

ظبْى بديع حُسْن — كالبَدر فى التّمام
عذارهُ مسنى — وطرفه حسَامِى
فرُحْ إليْه عنّى — بالكتْب والسَّلام
وانظُر الِى عذارو — وبهجة اخْضِرارو
وقل لو يخشى مسَن

ونظم الحافظ ابن حجر :

صِلْ قاصداً قد أمّلك ... إذْ لم تجد فتًى حُرْ
فأنتَ عقدٌ مثمنٌ ... لا يفتقر لواسطه
وأنتَ شكلٌ حسنٌ ... والجود فيك ضابطه

....

وشادنٌ من الخطا ... يقتلني بالعمد
زار فقلتُ إذْ سطا ... بلحظه كالهندي
واصل وكنْ مشترطاً ... ما شئتَ فهو عندي
قال هاتَ ذهبْ ودور لكْ ... فقلتُ لو يخش دُرْ (١)

قال وولد لي هذا المعنى أن قلت :

يا بارِي الحسن صلني ... مسّ قلبي بالجفاضُرْ
بالذي يبقيك يامالك ... رقّي يا بهادُرْ (٢)

. . . .

---

(١) الجواهر والدرر جـ٢ ق ١٧ أ - ١٧ ب ، الديوان ص ٣٤٩.
(٢) الجواهر والدرر جـ٢ ق ١٨ أ .

محتويات الفصل الثالث

المحتويات	الصفحة

منهج التحقيق

قضايا التحقيق : ـ

١ ـ نسبة الديوان .

٢ ـ اسم الديوان .

٣ ـ مخطوطات الديوان .

(قضايا التحقيق)

قبل الشروع بذكر منهج التحقيق لابد من الإشارة السريعة الى ثلاثة أمور :

الأول : نسبة الديوان .

الثاني : اسم الديوان .

الثالث : مخطوطات الديوان .

(١) أما نسبة الديوان الى ناظمه فلا يوجد خلاف حولها وليس فيها شك فنصوص الديوان الكبير الذى بين أيدينا تثبت ذلك ، وتؤكد صحة النسبة وكل المصادر والمراجع مجمعة على أن للحافظ ابن حجر ديوان كبير ، يقول العلامة السخاوى عن شيخه : " ديوان شعره كبير بيضه الشريف السيوطى ثم كتبه من خطه الشهاب الحجازى ومختصره المسمى ضوء الشهاب وآخر يسمى المسبعات ، وربما قيل السبع السيارة ، وقد قرأته عليه وكذا غير واحد من جماعته وقال فى آخره : وكان الفراغ من تحريره فى أوائل جمادى الآخره سنة إحدى وعشرين وثمانمائة "(١) .

وقال ابن تغرى بردى : " وله ديوان شعر كبير وآخر صغير وقد انتخب من ديوانه الكبير قطعة ورتبها على سبعة ابواب وسماها السَّبعة السيَّارة النيرات . فكتب إليه الشيخ الشهاب الحجازى يطلبها منه .وذكر قول الشهاب الحجازى :

سماء الفضل تحوى نيّرات
وقد حُجبت بِسُحْب المَكْرمات

---

(١) الجواهر والدرر جـ ١ ق ١٥٧ .

وكدتُ أضل يامولاى فامنن
لعلّى أهتدى بالنيّرات(١)

وقال الإمام جلال الدين السيوطى : " وديوان شعر ومختصر يسمى ضوء الشهاب ومختصر منه يسمى السبعة السيّارة "(٢) .

وقال العلامة ابن خليل الدمشقى : " ديوان شعره ومختصره المسمى ضوء الشهاب وآخر يسمى المسبّعات "(٣) .

وقال العلامة شمس الدين بن عمر السفيرى : " ديوان شعره الكبير بيّضه الشريف السيوطى ثم كتبه من خطه الشهاب الحجازى ومختصره المسمى ضوء الشهاب وآخر يسمى المسبعات وربما قيل السبع المنيرات ، وربما قيل السبع السيّارة "(٤) .

وقال ابن العماد الحنبلى عند ترجمته له : " وله ديوان شعر "(٥) وشهد له العلامة الشوكانى بطول باعه فى الشعر فقال : " وكان للمترجم له يد طولى فى الشعر "(٦) وفى كشف الظنون : " ديوان صغير وكبير وقد انتخب من الكبير قطعة ورتبها على سبعة ابواب وسماها السبعة السيارة النيّرات . اول المنتخب المسمى بمنظوم الدرر : " اما بعد

---

(١) المنهل الصافى جـ٢ ص ٢٧ .
(٢) نظم العقيان ص : ٥٠ .
(٣) جمان الدرر: ق ١٧٦ .
(٤) مختصر الجواهر والدرر ق ١٠١ أ .
(٥) شذرات الذهب جـ٧ ص ٢٧٣ .
(٦) البدر الطالع جـ١ ص ٩١ .

حمد الله على احسانه "(١) .

وفى هديّة العارفين عدّد موءلفات الحافظ ابن حجر فذكر منها : منظوم الدرر . ثم السبع السيارة النيرات فخلط بينهما وبين كتاب آخر إذ قال: " السبع السيارة النيرات فى سبعة اسئلة عن السيد الشريف فى مباحث الموضوع "(٢) .

وفى فهرس الفهارس والإثبات يذكر لابن حجر ديوان شعر ، ومختصر يسمى ضوء الشهاب ، ومختصر منه يسمى السبع السيارة (٣) .

كذلك نجد كثيرا من المتأخرين ممن ترجم للحافظ ابن حجر قد ذكر الديوان أو نوه بشعر الإمام . يقول د. عمر فروخ : " وابن حجر العسقلانى شاعر مكثر فى ديوانه بديعيات الـخ "(٤) .

وعدّد صاحب معجم الموءلفين بعضا من موءلفاته فذكر منها : ديوان شعره (٥) . وقال محمود رزق سليم : " له ديوان مخطوط أغلب الظن أنه لم يطبع حتى اليوم "(٦) . وفى دائرة المعارف الاسلامية قال : " وأجاد ابن حجر فى فنى النثر

---

(١) حاجى خليفة جـ١ ص ٧٦٥ وفى عبارته نوع من الخلط . فيلاحظ أولا انه سمى المنتخب السبعة السيارة ثم عاد فقال المسمى بمنظوم الدرر . ثانيا الثابت من خلال الاستقراء أن عبارة " أما بعد حمد الله على احسانه " هى أول المنتخب المسمى السبع السيارة : وليس أول منظوم الدرر " .
(٢) البغدادى جـ٥ ص ١٢٩ .
(٣) عبد الحي الكتانى جـ ١ ص ٣٣٧ .
(٤) تاريخ الأدب العربى جـ٣ ص ٨٥١ .
(٥) عمر رضا كحالة جـ٢ ص ٢٠ .
(٦) عصر سلاطين المماليك المجلد٣ ص ٣٤٧ .

والشعر . وعدّد مؤلفاته فذكر منها ديوانه (١) . وورد ذكر الديوان في كثير من الفهارس . مثل فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الازهرية (٢) وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (٣) وفهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل (٤) وغيرها .

(٢) وأما اسم الديوان :

فانه ومن خلال هذه النصوص يمكن القول إن للحافظ ابن حجر ديوانًا كبيرا ، ودوانين صغيرين احدهما ضوء الشهاب والآخر السبع السيارة .

وإذا كان هناك من شَكّ(٥) فى اسم هذين المختصرين فإن عبارة السخاوى واضحة : " ديوان شعره كبير ... ومختصره المسمى ضوء الشهاب " . يؤيد ذلك قول الحافظ ابن حجر عند ترجمته للعلامة شرف الدين ابن المقرى : " وسمع منى كتابى ضوء الشهاب المنتخب من نظمى " وبالرجوع الى الفهارس ومخطوطات الديوان لايوجد هذا الاسم وربما كان اسما ثانيا للنيرات السبع فمن خلال الاستقراء لمؤلفات الحافظ ابن حجر نجد ان كثيرا منها اطلق عليه اكثر من اسم مثل : الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة ، ويسمى ايضا : الوفيات الكامنة لأعلام المائة الثامنة (٧) . نصب الراية فى منتخب تخريج أحاديث الهداية ، ويسمى ايضا الدّراية فى تلخيص تخريج احاديث الهداية . الرحمة الغيثية عن الترجمة الليثية ، ويسمى أيضًا : مرحمة الغيث بترجمة الليث وغيرها كثير .

وقال د. شاكر محمود بعد أن أورد نص السخاوى ونص ابن تغرى بردى : " ولا يخفى على حصافة القارىء ارتباك

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٥١ .
(٢) جـ ٥ ص ٨٥ .
(٣) د. عزة حسن ص ٣٨٧ .
(٤) جـ ٤ ص ١١٣ .
(٥) انظر الصفحة التالية .
(٦) المجمع المؤسس جـ٢ ق ١١٨ ا .
(٧) انظر الجواهر والدرر جـ١ ق ١٥٠ ب ، ١٥٤ ا ، ١٥٤ ب .

النصوص اعلاه فالسخاوى ذكر ديوان شعره الكبير ، الذى بيضه الشريف السيوطى ، ثم كتبه من خطه الشهاب الحجازى .
على حين قال ابن تغرى بردى : إن الشهاب الحجازى كتب السبع السيارة النيرات ، ودعم قوله بدليل شعرى واورد البيتين(١) .

والذى يُلاحظ انه ليس هناك ارتباك فى النصوص وإنما هناك لبس لدى الدكتور شاكر فقد توهم من كلام ابن تغرى بردى انه قال إن الشهاب الحجازى كتب السبع السيارة . ومن خلال النسخة المحققة نجد ان ابن تغرى بردى لم يقل ذلك بل قال:" وقد انتخب من ديوانه الكبير قطعة ورتبها على سبعة ابواب ، وسماها السبعة السيارات النيرات ، فكتب اليه الشيخ الشهاب الحجازى يطلبها منه .
وكتب ما انشدنا الشيخ شهاب الدين الحجازى لنفسه إجازة "(٢)
واوردها دكتور شاكر كما يلى : " فكتب اليه الشيخ شهاب الدين الحجازى يطلبها منه وكتبه " والظاهر انه ليس هناك خلاف بين نصى السخاوى وابن تغرى بردى فالشهاب الحجازى كتب الديوان الكبير الذى بيضه الشريف السيوطى كما ذكر ذلك السخاوى ثم ان الحافظ ابن حجر اختار من هذا الديوان الكبير منتخبا سمّاه السبع السيارة النيرات فكتب اليه الشهاب الحجازى يطلبه منه كما هو واضح من عبارة ابن تغرى بردى ، وكما يدل على ذلك شعر الشهاب الحجازى فى البيتين السابقين .

اما فيما إذا كان الديوان الصغير السبع السيارة مختصرا من الديوان الآخر المسمى ضوء الشهاب ، ام من

(١) د. شاكر محمود عبد المنعم : ابن حجر العسقلانى ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده فى كتابه الاصابة جـ١ ص ٦٣٢ .
(٢) المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٧ .

الديوان الكبير، فإنّ النيّرات السبع التى بين أيدينا واضحة فى انها مختصرة من الديوان الكبير. فمن خلال تحقيق الديوان الكبير وُجِد أنه يحتوى على النيرات السبع كاملة دون نقص مما يدل على أنها مختارة منه .

إذًا فما اسم الديوان الكبير ؟ هل أُطلق عليه اسم الديوان الكبير مجردًا أو هو الذى يسمى منظوم الدرر ؟ .

ورد ذكر منظوم الدرر لدى حاجى خليفة فى كشف الظنون، وفى هديّة العارفين، وفى بعض فهارس المكتبات الحديثة . أما فى هدية العارفين فقد ذكر أن للحافظ ابن حجر ديوانًا هو منظوم الدُّرر، ثم ذكر السبع السيارة وخلط بينها وبين كتاب آخر. وأما فى كشف الظنون فقد وقع لبس آخر فبعد أن ذكر أن للحافظ ابن حجر ديوانا صغيرًا وكبيرًا ، وانه انتخب من الكبير قطعة ورتبها على سبعة أبواب وسماها السبعة السيّارة النيّرات عاد فقال : أول المنتخب المسمى منظوم الدرر أما بعد حمد الله على احسانه .
ففى العبارة الأخيرة نوع من الخلط . فقد خلط بين منظوم الدرر والسبع السيارة ثم ذكر أن أول المنتخب : أما بعد حمد الله على إحسانه . ومن خلال نسخ الديوان التى بين أيدينا نجد أن المنتخب هو السبع السيارة وليس منظوم الدرر . فقد سطر هذا الاسم " النيرات السبع " بخط الحافظ ابن حجر على الديوان المنتخب والذى أوله : أما بعد حمد الله على إحسانه .

وإذا نظرنا الى بقية نسخ المنتخب نجد أنها تزيد على عشر نسخ، ونجد أن النسخ القديمة التى كتبت فى عصر

الناظم أو بعيد عصره ورد عليها اسم النيّرات السبع ، أو الديوان فقط.فمثلاً نسخة الموصل رقم ١١ شعر كتب سنة ٨٤٠ هـ وكتب على لوحة العنوان بخط صغير : السبعة السيارة • ونسخة الخزانة التيمورية رقم ٨١١ شعر كتبت سنة ٨٥٢ وعنوانها ديوان ابن حجر . ونسخة كوبريلي رقم ١٢٨٢ كتبت فى القرن التاسع وعنوانها ديوان ابن حجر . ونسخة المكتبة الظاهرية رقم ٥٧٩٦ كتبت من أصل الناظم سنة ٨٤٩ هـ وعنوانها : النيرات السبع.ثم نجد نسختين متأخرتين إحداهما فى مركز إحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى رقم ٦٠/٣ مجاميع كتبت فى القرن الحادى العشر والأخرى مصورة عن المكتبة الأهلية بباريس رقم ٥٩٩٤ وواضح من خلال الخط أنها كتبت فى مرحلة متأخرة عن التى قبلها . وتحمل كل منهما عنوان منظوم الدرر • وبالنظر فى النسختين نجد أنه ليس فيها سوى النيرات السبع .

وفى فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية نجد اسم منثور الدرر تحت رقم ٣٩٧٤ . وبالرجوع الى المخطوط نفسه نجد أنه يحمل عنوانًا غير العنوان الذى ورد فى الفهرس بل اسم المخطوط هو كما يلى : هذا ديوان الحافظ العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ، تغمده اللّه برحمته وأسكنه فسيح جنته،وكاتبه،والمسلمين أمين.وقد سمّاه السبع السيارات فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم •

ومما تقدم ، ومن خلال استقراء نسخ المخطوط يجد الباحث أن جميع نسخ المنتخب سواءً أكان العنوان الذى تحمله السبع السيّاره أم منظوم الدرر ، إنما هو ديوان واحد ولا

تختلف نسخه إلا اختلافات طفيفة ترجع إلى أعمال النسّاخ ويجد أن هذه النسخ تبدأ بقول الناظم : " أما بعد حمد الله على إحسانه والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد الذى اجتمعت أنواع المحاسن فى ديوانه " • ويجد كذلك أنها رُتّبت على سبعة أنواع من كل نوع سبعة أشياء ، ثم الموشحات ثم المقاطيع . فليس هناك أى اختلاف لا فى الشكل ولا فى المضمون .

وعلى هذا فيمكن القول : إن هذا المنتخب هو السبع السيارة وليس منظوم الدرر . والدليل على ذلك النسخة التى بين أيدينا المصورة عن نسخة المدينة رقم ٣٢٨٥ التى كتبت بخط الناظم نفسه سنة ٨٥٠ هـ التى حملت عنوان النيرات السبع وهكذا فالمختصر الأول هو ضوء الشهاب ، والمختصر الثانى هو النيرات السبع . إذًا فما هو منظوم الدرر ؟ باستقراء نسخ الديوان الكبير نجد أن عنوان نسخة المدينة : " عارف حكمت رقم ١٦٧ أدب " هو : " ديوان الشعر " وعنوان نسخة الاسكوريال رقم ٤٤٤ هو : " ديوان ابن حجر الكبير وهو الكبير المرتب على حروف المعجم " . وفى نسخة برلين رقم ٧٩٠١ نجد أن العنوان هو : " ديوان شيخ الاسلام عمدة العلماء الاعلام مولانا العلامة أحمد بن حجر العسقلانى " • وفى الصفحة الثانية كتب : " كتاب منظوم الدرر لشيخ الاسلام قاضى القضاه " وكتب تحت العنوان : " وعليه مقابلة تصحيحه بخط المؤلف " ونجد خط الحافظ ابن حجر فى هوامش المخطوط وقوله : " قرأ وعرض على " وتوقيعه على ذلك .

ومعنى هذا أنه يمكن إطلاق لفظ منظوم الدرر على الديوان الكبير الى أن يوجد دليل أقوى من هذا فيؤكد هذا أو ينفيه .

(٣) مخطوطات الديوان :

ان المتتبع لنسخ الديوان فى فهارس المكتبات يجد الكثير من هذه النسخ موزعة فى كثير من مكتبات العالم مثل مصر وسوريا والعراق وفرنسا واسبانيا والمانيا وتركيا .

وبالوقوف على هذه النسخ نجد انها ليست سوى نسخ الديوان المنتخب " النيرات السبع " وقد اجمتع لدى ما يزيد على ثمان نسخ من هذا المنتخب .

أما نسخ الديوان الكبير فلم اتمكن من الحصول على اكثر من ثلاث نسخ : نسخة المدينة (م) ونسخة برلين (ب) ونسخة الاسكوريال (ن) .

فبدأت بالتحقيق معتمدا عليها مضيفا اليها نسخة من المنتخب (النيرات السبع) بخط الناظم . وجعلت من بقية نسخ المنتخب مساعدة فيما هو فيها . وقد رمزت لكل نسخة برمز خاص كما يلى :

١ ـ نسخة المدينة النبوية : (م)
٢ ـ نسخة برلين : (ب)
٣ ـ نسخة الاسكوريال "اندلس" : (ن)
٤ ـ نسخة النيرات السبع : (ع)
٥ ـ نسخة جامع الباشا
فى الموصل رقم ١١ : (ص)
٦ ـ نسخة مجاميع الاسكوريال
وهى مصورة فى مركز احياء
التراث الاسلامى رقم ٣ / ٦٠ : (نا)

٧ ـ نسخة كوبريلي
رقم ١٢٨٢ (تركيا) : (ك)

٨ ـ نسخة دار الكتب
المصرية رقم ٨١١ : (د)

٩ ـ نسخة في مركز احياء
التراث الاسلامي عن المكتبة
الاهلية بباريس رقم ٩ر٣٢ : (ف)

١٠ ـ نسخة المكتبة الاهلية
باريس رقم ٥٩٥٤ : (فب)

١١ ـ نسخة الجامعة العثمانية
(الهند)رقم ٨٩٣،٧١٣ ع ده: (هـ)

وفيما يلي وصف النسخ المعتمدة :

١ ـ نسخة مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة رقم ٣١١٦(م) ٠

كتب في عصر المؤلف بخط معتاد

(٢٥) س

(١٨٨) ص

(٢٦ × ١٨) م

وهي مقابلة بالأصل وبهوامشها تبليغات وعليها تصحيحات وتعليقات وشروح وبيان أسماء البحور والأوجه البلاغية مما يدل على أن ناسخها أو الناظر فيها من اهل العلم الامر الذي وثقها وجعلني اتخذ منها أصلا ٠ يضاف الى ذلك انه أمكن مقابلة صورة النسخة بأصلها في مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة ٠ وهذا ما لم يحصل لغيرها من

بقية النسخ .

٢ - نسخة المكتبة الوطنية فى برلين الغربية رقم ٧٩٠١ (ب)
(١٧) س
(١٩٤) ص
(٢٣×١٥) م
وهى خط معتاد وفى هوامشها تبليغات بخط الناظم .
وعارضها ناظمها بأصله يساعده الشريف السيوطى كما يبين ذلك خط الناظم فى آخر النسخة . ولذا فقد جعلت منها أصلا بجانب النسخة السابقة . وعليها تملكات باسم محمد كمال الدين ابن الغزى ومصطفى الحلبى ، و الشيخ عبد الرحمن الكزبرى .

٣ - نسخة الاسكوريال " اندلس " رقم ٤٤٤ (ن) خط معتاد وهى منقولة عن نسخة قرئت على المصنف .
(١٥) س
(٣٠٠) ص
(٢٨ × ١٨) م
وعليها تملك باسم محمد بن الحاج محمد زيتون البرلسى .

٤ - نسخة المنتخب و النيرات السبع مكتبة عارف حكمت المدينة المنورة رقم ٣٢٨٥ .
وقد كتبت بخط الناظم سنة ٨٥٠ هـ
(١٧) س
(١٢٠) ص
(١٧ × ١٤) م

منهج التحقيق :

قمت أولا بجمع المخطوطات ثم شرعت في دراستها فوجدت أن نسخ الديوان الكبير (م ، ب ، ن) ، متشابهة ، ولا يوجد بينها اختلاف بل إن بعض ما في هامش (م) من التعليقات هو في هامش (ب) . فالنسختان (م ، ن) منقولتان عن (ب) بل يمكن القول إنّ الثلاثة منسوخات من أصل واحد .

فجعلْت النسختين (م ، ب) أصلا . أما النسخة (م) فللأسباب السابقة في وصف المخطوطات ، وأما النسخة (ب) فلأنها أقدم النسخ وعارضها الناظم بأصله وعليها تبليغات بخطه ، ثم أضفت نسخة من المنتخب " النيرات السبع " بخط الناظم فجعلتها أصلا ثانيا فيما هو فيها . إذ فيها مايقرب من نصف الديوان الكبير ، وجعلت بقية نسخ المنتخب مساعدة .

ثم قمت بالنسخ والمعارضة متبعا الخطوات التالية :

١ - الإبقاءُ على ترتيبِ الدّيوانِ كما رتبه ناظمه ، أولاً المدائحُ النبويّة ثم ترتيبُ القصائد والمقاطيع على حروف المعجم .

٢- لم أُثبتْ الألفاظ غير المقبولة أو المذنبة في أسلوب الشاعر، وتركت مكانها فراغاً، مع الإبقاء على رقم المقطوعة.

٣ - أثبتُّ في المتنِ مافي الأصلِ ما لم يكن بيّن الخطأ وأشرتُ في الهامشِ إلى الصوابِ .

٤ - تصحيحُ الأخطاءِ البيّنةِ والتصحيفاتِ الناتجة عن عملِ الناسخِ بعد الرّجوعِ الى المعاجمِ اللغويّة ، ومقابلتِها ببقيّة النسخ .

٥ – الإشارةُ فى الهامش إلى اختلاف النسخ وتعليل ما فى المتن بما يدعم معناه من المعاجم اللّغوية .

٦ – وضعُ أرقامٍ للقصائد والمقّطوعات .

٧ – ذكرُ ما انفَرد به الديوان الكبير وما ورد أيضا فى المنتخب .

٨ – ضبطُ النصّ وتقويمُه وقد أفدت فى هذا الصدد من كتب اللغة والمعاجم .

٩ – تفسيرُ المفرداتِ الغريبة .

١٠ – شرحُ ما يحتاج إلى شرح .

١١– التعريفُ بالأعلام والأماكن وبعضِ المصطلحات .

١٢– الإشارةُ الى الآيات القرآنية الكريمة فى موضعها من القرآن الكريم وتخريج ما تيسر تخريجه من الاحاديث الشريفة .

١٣– توثيقُ ماتيسر توثيقه من القصائد والمقطوعات التى وردت فى مصدر ما وذلك بالاشارة الى ذلك المصدر وذكر مكانها فيه .

والله أعلم .



الصفحة الأولى من النسخة «ب»

بسم الله الرحمن الرحيم قال

شيخنا العلامه الامام الدرى الفهامه شيخ الاسلام عمدة الاعلام من

يصوب كلمه نتأدب ونمد دمداد قلمه نستمد ما يرتب شهاب الدين

العسقلانى الاصل قاضى قضاة الشافعيه بالديار المصريه اطال الله

بقاه مقرونًا بالاسعاد ولطف به فى الدنيا والمعاد يمدح النبى

صلى الله عليه وسلم ويذكر ختم صحيح البخارى قال وذلك فى شهر رمضان سنه ٧٩٨

لو أن عذالى لوجهك اسلموا لرجوتُ انى فى المحبه اسلم

كيف السبيل لكتم اسرار الهوى ولسان دمعى بالغرام يترجم

لام العواذل كل صادٍ للقا وملامهم عين الخطا ان يعلموا

لم يعلموا بالهوى لكنهم لاموا لعلهم بانى مغرم

لاموا ولما يانهم تاويلها لاموا عليه لانهم لم يفهموا

ان يرمونى بالملام فان لى صبرًا سينقض كل ما قد ابرموا

ما شاهدوا ذاك الجمال وقد بدا فانا الاصم عن الملام وهم عموا

وليس دروا انى عشقت فانه لهوى القلوب سريرة لا تعلم

والصمت اسلم للجوى فى الهوى لكن قلبى بالجوى يتكلم

ولقد كتمت هواك لكن مقلتى شوقًا الى مغناك ليست تكتم

ابكى عقيقًا وهو دمعى والغضا وهو الذى بين الجوانح يضرم

وحديث وجدى فى هواك مسلسل بالاولية من دموع تنسجم

والدمع فى ربع الاحبة سايل باو بحر سايل الابرح

ولئن عزمت على السلو فليس لى يومًا على ذاك الجنون بعزم

يا عاذلى ان جئت بحبهم ولى سوى اوطانهم لا العزم

وهم الاحبة ان رجعوا اوو اوصلوا او اقصدوا ان سعدوا او ان تم

ان واصلوا فالليل ابيض مشرق او قاطعوا فالصبح اسود مظلم

فالليل يظلمنى فيظلم بعدهم لكن عدولى فى هواهم اظلم

والصبح يشرق لى بغير ملامح لم يحك نور الغيض منها الانجم

احبابنا كرمى عليكم وقفة وعلى وصلكم الحلال محرم

وانتم فكم طالبًا فجيتم ورحلت عنكم ذاهبًا فسفرتم

ما عجب الدهر المفرق بيننا يتجانسا اذ كنت بنت فيلم

ولقد اقول لعذلى وحبكم والناس بين جوانحى تتضرم

يا ايها الملا الذين تغرغوا من حالة المضنى دعوه عنكم

كيف السبيل الى الحياة لمغرم والموت ان هجر الاحبة مغنم

يا هاجرى وحياة حبك من شوق اليك نعيش انت وتسلم

جسمى اخف من النسيم نحافة وثقلت من سقمى المبرح منكم

اركان دينى لانقطاع مديحكم فهواكم باقٍ وان تم لمتم

لم تنس افكارى قديم عهودكم الاحاديث المصطفى المستعظم

آثار خير المرسلين بها شفاء الذنوب لخايف يتهوم

هو رحمة للناس مهداة فيا ويل المعاند انه لا يرحم

نال الامان الموسوم به اذا شبت وقودًا بالطغاة جهنم

الله ايده فليشرع الهوى فى امره ونهيه يتكلم

فليحكم الجمال العامر من سنة اومن عذابه يولم

الورقة الثانية من النسخة "ب"

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله على احسانه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اخجل كل محاسن

في ديوانه وعلى آله وصحبه الذي كان [illegible] وحده في [illegible] زمانه فقد [illegible]

ان اجرد من منظومي منتخبا فكتبت في هذه الاوراق سبعة انواع من كل نوع [illegible]

الا الاخير فانتخبت النبويات ثم بالمعلقات ثم بالموشحات ثم بالدوبيتات ثم بالاعراض

المختلفة ثم بالموشحات ثم بالمقاطيع وقلت مضمنا اخاطب من [illegible] عليه

يا سيدا [illegible] ان [illegible] [illegible] ان تجد عيبا فسد

والسادس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قال [illegible] مدح النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ختم البخاري

لو [illegible] الجهال [illegible] لرجت [illegible]

[illegible] الهوى ولسان دمعي بالغرام [illegible]

[illegible] العواذل [illegible] [illegible] عن الحنان [illegible]

[illegible] الهوى [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الهوى [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الهوى [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

يا عاذلي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

واذا [illegible] السلو [illegible] على ذاك الجنون معزم

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

والصبح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الانجم

احبابنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

جسمي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] المصطفى [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الهوى [illegible] [illegible]

[illegible] المرء [illegible] [illegible] [illegible]

ذو المعجزات [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وقال وكتبه الى بعض الرؤساء ... [illegible]

رفعت اليك ... اشكو ... [illegible]

اليك المشتكى من ... [illegible] ... عنا

يخادع نفسه بالشعر جهلا ولم يشعر ... [illegible]

ولا يدري النحو السهل حتى اخلطه بالفاظ الهجاء

وقال من يخول الشعر منثور ... [illegible]

... [illegible] ... اجاويد الدرر

... [illegible] ... والسلام على الحي

وقال ايضا

يا عين ... [illegible] ... في الحدود والاراء

من ... [illegible] ... عقل الرا

وقال ايضا وفيه اقتباس

يا من عذل ... [illegible] ... عن التلاقي

الليالي ... [illegible] ... وان عن البعاد ...

وقال ايضا

... [illegible] ... على ... [illegible]

... [illegible] ...

وقال ... [illegible] ... واملاها في امالته ... [illegible]

امل من اجل القيام ... [illegible]

واقض ... [illegible] ... بعدها ...

ثم لحظ العين ... [illegible] ... في الليل ...

فانه اكبر من ... [illegible] ... لانه اعظم من ... [illegible]

وانه قال ادعى ... [illegible] ... وما على ... [illegible]

... [illegible] ...

وقال

... [illegible] ... قال ... [illegible]

... [illegible] ...

احر ... [illegible]

من العصا ... [illegible]

علقه ... [illegible] ... الله ... [illegible]

حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه ... [illegible]

وشيخ الاسلام ... [illegible]

... [illegible] ... الحفاظ من اهل النظر

... [illegible] ... شيخ الاسلام الامام ابن حجر

... [illegible] ... شمس ... [illegible]

... [illegible] ... الاسلام ... [illegible]